

**THE BOOK WAS
DRENCHED** WITHIN
THE BOOK ONLY.

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190461

UNIVERSAL
LIBRARY

رواية
أنا المجاني
أو

المتهم البريء

الفصل الاول

الاستنطاق في قتل الأئمة لروج

دخل يوم الخميس في السادس من اذار عام ١٨٦٣ ليودين من المرفع نفر من نساء قرية لاجو نشار دارزعيم ثفا في بوجيفال يشكين اليه تغيب جارتهم الأئمة «ارملة لروج» منذ يومين عن منزل كانت تنقطع اليه وحدها قائلات - أننا قد وقفنا بمنزل الجارة المتغيبه فطرقنا الباب طويلاً دون جدوى وامتنع علينا النظر الى داخله لانه كان موصداً والنوافذ مقفلة فحزننا وعدنا من نهاية الحيرة ونحن في الحيرة الى باب الحكومة نسألها كشف الحجاب عما يكون وراء الباب

ان بوجيفال قرية معروفة بحسن موقعها موصوفة بانس اهلهما يتتبعها ايام العطلة والاعیاد النواتي على تضارب اجناسهم فيحدث احیاناً بينهم من الجرائم ما لا يبلغ أحد المجناية . ولعلم زعيم الثفافين بذلك كان قد ابي بادیء بدء اجابة الشكوى لكن الشاکیات ما زلن به ملهمات في السؤال الى ان حملته على

الرضوخ لمن كرمها. فدعا اليه شرطيين وزعيمها وقالا (غالاني) وسار بهم مع النسوة الى المحل المقصود

ان لاجونشار قرية صغيرة على مسافة عشرين دقيقة من الجادة الممتدة من باريس الى سان جرمان. قائمة على منحنى نجوة تكتنف السان ما بين المازون وبوجيفال يصعد اليها على طريق حلق نظر المهندسين. فاخذ الزعيم يسير بقوميه على طريق يعارض سد السان عاطفاً منه على مر يتغور بين سوزين الى ان وقفت النسوة به قبيل بناء حفير ثالث من غرفتين صغيرتين وكلاهما قائم وسط حديقة مهملة يدخل اليها من شبكة ضعيفة قد شدت الى الجدار باسلاك من حديد. وقلن مشيرات الى البناء - ذلك المنزل المقصود

فوقف الزعيم عند الاشارة وقد تألب الناس اليه من الجيرة حتى بلغوا الاربعين عدداً فاحدقوا به برومون الوقوف على وجوه الحادثة فرأى عندئذ ان يجعل الشرطيين على باب الحديقة لينمنا الزحام ودخل يتقدمه زعيم الشرط والقفال فطرق الباب والنوافذ دون طائل فالوى حينئذ الى القفال وقال له - تقدم فافتح

فالتى الصانع عدته عن ظهره واخذ منها المفتاح فبجعله في القفل بعالجه واذا بالقوم يضحجون قائلين - دونكم المفتاح انه بينما كان احد الصبيان يلعب مع اقاربه على قارعة الطريق وجد المفتاح ملقياً وسط القناة فالتقطه وجاء به الى القوم فدفعه الى زعيم الشرط ففتح الباب ودخل مع رفيقه

وكان الجمهور المزدحم قبيل باب الحديقة قد تأبأ الصبر في موقف الانتظار فستلقت فيته منه المجدران يتطال كل من الفريقين الى معرفة ما يجري داخل المنزل. فلما استبطنة الزعيان والقفال ثبت لديهم قول من قال بالجناية بدليل ما لاح لهم من اثار الاشقياء على الاثاث المشعث في

الغرف فمن صوان محطم وصندوق مخلع وإلى غير ذلك من دلائل النهب والاعتماد. واشد ما كان البغي واضحا في المصجع حيث وجدوا جثة الائمة لروج مطروحة الى جانب المستوفد وقد التهمت النار صفحاتها وفرعها فصاح زعيم الشرط عند هذا المشهد المجمع - ويل ام الجاني وأيو تبت يده. لما كان الاجدر به ان يسلب ما لها فيبقي عليها

أما زعيم الثقاتين فسأل قائلاً - ارشداني موضع الضرب فلا اري دماً فاجابه زميله - ارجوك يا اخي ان ترفعها على يدك فانظر في جنبها لانه لا بد للضارب من اثر فيه قد ذهب بالعين قبل ان تستهل دمه. ثم هوى الى الجثة بحسبها قائلاً يتبين لي من رطوبة الاعضاء ولينها ان قد قضي عليها منذ زهاء يومين

وكان زعيم الثقاتين يعلق على رقعة لديه بيان الحال اتفاقاً الى ان عدل الى زميله وقال له - خل عنك التفصيل الطبي واعمد الى ما يناط بك ألا وهو البحث عن الجانين واقتصاص اثرهم ذلك غاية ما تطالب به. ومن الراي ان نبعث الان بطلب شيخ الصلح وضابط القرية فنوجه رسالة في هذا الشأن الى محكمة باريس لتنفذ الينا المستنطق عاجلاً وفي اثناء ذلك نشغل في جمع ما نبلغ اليه من الادلة والبيانات

فساله زميله قائلاً - أأكون رسولك الى باريس - كلاً بل ننفذ اليها احد اعوانك وانت البث عندي لتدفع عني غارة الزحام وناتني بالشهود

فوجه الزعيم الشرطي الى باريس وجلس في غرفة بنظم الاسئلة التي عزم اقتراحها وهي

من الائمة لروج. ومن هي. وما كان عملها وموردها وسيرتها واخلاقها وعوائدها. وهل كان من يعادها او هم مالا في ناديا فاحضر اليهود جملة ولم يكن منهم من يثبت بحقيقة حال تلك المنكودة

الابستانية كانت تخادنها وبائعة حلب تفت ببايها كل يوم قد كشفنا له شيئاً
عن غامض سرها وهذه جملة ما صرح به الشهود تنصيلاً على كثرة عددهم
وقوله موارد

• في غرة عام ١٨٥٠ قبل عهد الحادثة بعامين دخلت ألائمة لروج
بوجيفال ووراءها عربة نقل رباشها فأوت المالزل ريشا تصادف محلاً
في الجيرة • فما طال بها الزمان الى ان عثرت على هذا المنزل فاكثرته للحال
دون مساومة بخمسة عشر ديناراً تنقدها صفتين كل عام سلفاً • غير انها
لم تلبث ان توقع موثقة الايجار • فنزلت عليه يوم الكراء وانفتحت دون ترميمه نحواً
من خمسة دنانير وكانت المرأة قد اهدفت الى الخامسة والخمسين من عمرها
وهي لم تنزل صحيحة البنية قوية العضلات • فعجب القوم من احتلالها قرية لا
تعرف فيها احدًا فمن ظن بها الزبى صباحاً نورماندية المنشأ ومن
غلطة حسن بزتها في النهار واقتنائها بالحقى الثمينة ومن قال انها نزيل
الغفور لذكرها السفن وسيرها في البحر في كل حديث • لكنهم اثناء تلك المدة التي
اقامتها بيننا لم تات على ذكر زوجها الذي قضى غرقاً فتناهي ان نبوح بشيء
من ماضي امرها معه الا انه بدر من فيها امام بائعة الحليب وعلى مسمع من ثلاثة
اشخاص هذه العبارة وهي : ما من امرأة تعاني الشدة التي عانيتها في منزلي • ثم
باحث في موضع آخر بما هو • - ان الحب لم يعقد بيني وبين زوجي الا عاماً
واحداً

وما عرف عنها انها في ليلان العيش جوادة سخية وقد قرضت امرأة من
مالزون نحو ثلاثة دنانير الى اجل مسمى ثم انكرت استرجاعها • وقد اسلفت
في موضع اخر صياداً في بورمارلي نحو دينارين وكانت تنفق المال في حاجاتها
ورغد عيشها بكل سخاء وكان من ههنا ايضا الاحفاء بالزائرين والترحب بهم
فنكرم وفادتهم وتولم لهم اللوازم وتفرهم من مجلسها فتوثر الاطراء بثروتها
وقد حفظوا عنها هذه الجملة وهي - لئن لم اكن ذات موارد طائلة وارزاق

عريضة فحسي بما عندي من المال وبما أقوى على احرازه كفاه حاجتي
 لكننا لم نأخذ عنها ما ينم بما كان من امرها مع عيالها وإهلها . وكانت
 في محاضرتها ثروة تكثر من ذم الملا والغص من شرفهم وقد دلّ تفننها في
 الحديث على سعة اطلاعها وإخبارها العالم . شديدة الحذر والخوف توءثر
 الامتناع في منزلها امتناع الجند في المعامل أن الحصار . فلم تخرج منه مساء
 ولم يقد عليها من الغرباء إلا سيدة وفتى ثم اقبل اليها على عربة فاخرة رجلان
 احدهما شيخ على صدره شارات الجلاء والآخر فتى

وبالجملة ان المرأة كانت تغامر نفسها بمحادثتها الهراء وتخط من قدرها
 بسفاسف لم تتساقط من فم ذات نقاب . وقد سمعها الناس تواضع
 ابنة الشر وتبني به اليها . ثم علمنا ان جزار بوجيفال كان قد تردد اليها في
 زيارته اذ عض الدهر عليه بنايه فصدته قائلة : كفا في ما قاسيت من شر
 الزواج

ثم تعقبه زوار آخرون منهم فتى بيان كانه من العاملين في سكة الحديد
 ومنهم شيخ اسمر اللون شقي . قتلوهما الناس احبا بها
 ولما بلغ زعيم الثقافين من بحثه الى هذه الغاية وفد عليه المستنطق يصعبه
 زعيم آخر يدعى جفرو ل ومعه احد رجاله

ان المستنطق دايرون كان في الثامنة والثلاثين من عمره وسبياً انيساً
 حاذقاً مجرباً قد احرز بديع صفاته وسداد آرائه ثقة الجمهور لم يتحر زمانه البحث
 عن معضلة او مشكلة الا وجلاها يستنبط البرهان والحجة من الوجس . ويستجلي
 الحقيقة من الخدس وكان الرجل على رغم ما تفرد به من الصفات الحسنات
 وما تحلى به من الذكاء والرصانة في مهنته بين افراد ذلك الزمان يخشى ان
 ياتي بما عنده من فنون الاستفراء وضروب الدماء ما يجلي الحقيقة بطريقة
 غير مطروقة وخليقة غير خليفة . وكان يأبى ان يسلك كرملاوته في مفاضة المهمل
 مسلك الشدة أو ان ياخذ بهجائل العنف والخياف الى نهاية الحدة لانه كان

ينفي الاحجاف مجنوق النظام في رعاية الانام . فلم يكن ليحكم ابداً على الحدس
والتخمين بل كان همهم الاهتداء الى الحق المبين فلا يفرلوا بقرار ولا بحلولة اصطبار
حتى اذا طأطأ منهم راسه للحق مختاراً . ووضح به وجارى

أما جنرول زعيم الثقاتين الثاني الذي نتوقع منه النور بهذه الحادثة
فكان حاذقاً مقداماً شجاعاً هاماً لا تصده العنبات . ولا يهاب الافلات . الا
انه كان عنيداً لا يذعن للحق اذا توهمه زوراً . وينكر وجود الظلمة اذا رآها
بعينه نوراً . وجل ما اشتهر به هذا الرجل فكان اسم مجده وعزه حسن
الفراسة فما تترس برجل وغاب عنه طويلاً الا وعرفه على رغم قلبائه مع
الزمان والمكان . وقد أيد مكانته في هذه المزية لدى من عرفه بشاهد العيان
اما معين جنرول والثقات الذي قدم معه فكان عارفاً في مهنته نحيل
البنية قوياً شديد لباس نناكل الغيرة فؤاده من رتبة زعيمو فيبغى ان
يخلقه . وكان اسم الرجل لكوك فلما استقر بهم المقام وتلا عليهم زعيم الثقاتين
الاول ما كان قد سطره وعلقه لديه قال انه المستنطق

— لقد احسنت يا اخي في ما فعلت ولكن فانك ذكر شيء جليل

— فل ما هو

— منى كان آخر عهدهم بالايمة لروح وفي اية ساعة

— كان من هي ان آتي على ذكر ما سألت وما قد دوتة امامي .

فان المرأة كانت عائدة الى بوجينال الساعة الخامسة وثلاث من مساء اخر
يوم المرفع وفي يدها قفعة (سلة) الزاد

فساله جنرول — هل تحققت الساعة

— نعم وذلك ما بعثني على الاستناد الى تصريح بعض الشهود منها مدام

تاليه وفناطسي (صانع براميل) وكلاهما من الحي . فهذان الشاهدان كانا قادمين

على الحافلة (عربة يجنفل فيها الركاب) الاميريكية التي تسافر كل ساعة من

مارلي فابصرا الايمة لروح نجوز طريقاً معارضاً فاسرعاً اليها ولا يماها يتماطيان

المحدث الى ان بلغا باب الدار

فسالة المستنطق قائلاً -- ما وعت تلك السلة

— جل ما صرح به الشهود عنها أنها كانت تحمل زجاجتين من الخمر
واحدة من العرق وهي تئذمر من الصداع الذي نابها قائلة - انني اقصد
الفرش على خلاف المعناد في المرافع

فصاح الزعيم الثاني وقال - عرفت الكمين وطريقة الامين

— أأنت على ثبوت من جليلة الامر

— وهل بقي في الحال من اشكال فضالتنا الشيخ الاسمر ورفيقه الشيخ

الثاني . أما الخمر والعرق فقد كان لاغنياقها فاتيا الائمة فأنتست بهما

فاعترضه زعيم الشرط بانكاره قائلاً - لم تكن المرأة في شيء من الجمال

فرد جنرول عليه اعتراضه وقال - اعلم يا اخي ان المرأة المثرية هي

جارية الشباب والجمال ما آلتها وحالتها المال

فقال المستنطق متوسطاً بينهما - لا انكر صحة ما نصرحنا به ولكن

الغاية التي قضت بعجي انتهت عند هذه العبارة التي باحت بها الائمة لروج

وهي «كانت لي الزيادة متى طلبتها كذا حاجتي»

وتلاه الزعيم الاول - ذلك ما وقفت عنده ايضاً

اما جنرول فحول اذنه عن سماع ما دار من الاحاديث وصرف النظر

الى البحث في الغرف متقباً في زواياها وخباياها ثم عاد الى قرب الزعيم الاول

وقال بخاطب زعيم الشرط

— اما تأبدت الغيوم عندكم يوم الثلاثاء فامطرتم السماء الغيث سيولاً

- بلى

— فمتى كان عهده

الساعة التاسعة ونصف وقد كان غزيراً حتى سالت الطرق باقل من

بضع دقائق

- كان من الواجب ان ننظر في أثر نعل الرجل لنتحقق الساعة التي دخل فيها الدار

- صدقت وقد فائنا دليل في سبيلنا

ثم استطرد الزعيم الاول كلامه الى ان قال - فطنت الآن الى دليل آخر من مثل ما طلبت وهو في الغرفة الثانية اذ لم نبدل شيئاً من اوضاع الاثاث وحال المبلط

فعدل الى الثانية وقيل ان يفتح الزعيم الباب اعترضه جنرول قائلاً - لا تفعل قبل ان تستاذن المستنطق في التنقيب منقطعاً عن الآخرين

فأذن له ذايرون فدخل وغادر الآخرين وراءه بالباب. فدار في الغرفة يدقق النظر في اثاثها على حدة وكان وسط الغرفة طاولة عليها سفرة بيضاء وكاس من البلور الفاخر والى جانب الصفحة الصينية سكين بديع الصنعة وزجاجانا المخمرو والعرق لم يفرغ منها سوى خمس كاسات وكان ايضاً في تلك الغرفة صوانان خاليان من خشب الجوز قد تشعث ما كان فيها من المناع على المبلط وسهون (خزانة الاكل) حذاء المستوقد قد وعت الصنف والجفان وادوات المائدة وصندوق تلعب غطاؤه وجرد من سحابة فالتفت على الارض. وكان السرير عن يسار الغرفة وقد انقلبت أدوائه فتمزقت حشاياه وافرغ ما كان حشوها. فقال جبرول في نفسه - لا أثر لنعل الشقي فلا بد ان يكون قد دخل الدار قبل الساعة التاسعة ونصف ولما فرغ من تنقيبه دخل الواقفون بالباب فدنا عندئذ الزعيم جنرول وهوى الى جثة الميت قائلاً

- ان الجاني لصناع اليدين

ثم نفذ الغرفة مينة ويساراً قائلاً - لا ريب ان الجاني قد فاجأها اثناء اشتغالها في ارضاد الطعام فنقطع بها قبل ان تذوق منه شيئاً. فحرمها وحرّم نفسه من لذة الفاكمة التي كانت مزعمة ان تنفكه بها على المائدة فاعترضه الزعيم الاول اثناء تنقيبه وقال موجهً الخطاب الى المستنطق

— ما اخال الجاني عليها إلا لصاً

فاجابه جنرول ساخرًا من بيانه — صدقت ولذلك لم أر على المائدة شيئاً من الادوات الفضية . فتلاه لكوك قائلاً — أأني تنكرو وجود الفضة وقد لقيت في هذه السجاية ذهباً بقيمة نحو ثلاثمائة وعشرين فرنكاً

فدهش جنرول من حديثه برهة ثم قال — لا غرو اذا دهم الجاني عند تنفيذ اربعمائة درهم غيره من الفشل من قبل فكم من اللصوص الذين يتغللون المنازل قصد السرفة فيفاجئهم اثناء وقوفهم فيها ما يذهلهم احياناً عن الغاية التي دخلوا من اجلها فيتردون عنها بخفي حنين . فلربما شعر الفاتك عند تنقيبه بمجرعة ازعجته ففعل ما فعله عجبلاً وفاز بنفسه من اقرب الموارد وما يؤيد حكمي بالسرقة ان الشمعة التي كان قد اشعلها لهدايتي لم يذب منها الا القليل

فقال له لكوك ذلك برهان لو عصرناه لما بلل صدى مسألة فقدر ان الرجل كان من ذوي الاقتصاد والحرص فاطفأ الشمعة ضناً بقيمتها فما اغنى البحث والتنقيب الثنافين شيئاً فانقلبوا عنه خائبين وجنرول يهجم قائلاً — ما رأيت قط ندأ لهذا الجاني في المحذقة والدهاء .

ولما طال بهم الامر سالم المستنطق نتيجة ابحاثهم فاجابه جنرول — لقد غرنا الرجل يا مولاي بما رأيناه منه اذ لم يبد لنا في كل هذه الآثار ما يهدينا سبيل معرفته لكنني لا اقط من السعي ورأه فسابت الليلة الشرط في مواضع الظنة واطوف بهم في كل الاحياء علي اعثر عليه بدليل ما احتمل معه من الحلي والادوات الفضية

فقال له دايريون — اننا لم نزل الان عند النقطه التي وقفنا عليها ساعة دخولنا اي ان بحثنا ذهب سدى

— مولاي وهل تكاف نفس فوق وسعها

قال لكوك — باليتنا جئنا بتير وكلر في صحننا

فغضب جفروا على ثقافه وقال - آثرأه كان يرينا العجائب ويستنزل
الغرائب

فاطرق لكوك راسه مشتفياً بغمز فناة زعيمه
فسأله المستنطق قائلاً - من يكون الرجل الذي ذكرت وقد سمعت
به من قبل

فاجاب لكوك - من اشد الناس باساً وخبرة
فاعترضه جفروا بقوله - ان الرجل كان عاملاً في المون دي يياته
ذا ثروة طائلة وقد تجرد مدة للسعي مسعى الثفاف واسمه الحقيقى ناباري
فقال لكوك - ما سعى الرجل سعى الثفاف طمعاً بالمال بل ميلاً مع غرضه
وهواه وقد رأيت مراراً ينفق من جيبه الدراهم في غايته حرصاً على مصلحة قريبه
وهو الذي يجده وجهده اهتدى الى معرفة السبب في دعوى امرأة الصبر في
قائلي سرها وكشف الحكومة خداعها ومكرها اذ كانت الجانية على نفسها
فعارضه جفروا قائلاً - كنت اودّ تصديق كلامك لولا ان ما اعلمه
من امر صاحبك تيروكلر ينفض ما كان منه في دعوى دريم الذي اتهمه بقتل
امراته وهو برآء من ذلك

فقاطعهم المستنطق الجدال قائلاً - لقد ذهب جدالكما بالزمان عبثاً
فاذهب يا لكوك وجئنا بالرجل نخبر دهاه

فخرج لكوك بعد وفي طريقه وقد غادر زعيمه وأقفاً منكس الرأس
فقال جفروا مخاطباً المستنطق - إن لك يا مولاي ان تستنجد في
مهمتك من شئت ولكن ...

- لا يكدر بك بالخي استدعاء تيروكلر واعتمادى عليه وتيقن اني لا انكر
حسن صنائعك ولا انجسك حنك من الدراية والحكمة في المهنة التي قمت فيها
مدة طويلة نشيطاً حاذقاً خبيراً ولكن ان كنا على خلاف في الراي انت
نستهدف الرجل الاسمر وانا لا اصدق دعواك فاخطئ مرمك رأيت ان

اجعل ثالثاً بيننا حكماً

- كلاً يا مولاي انني لم اخطئ المرمى والبرهان دون كفي فلا بد من جلائه بالاقتداء الى الصالة ايان استغفرت

- حبذا الاعتراض لو صححت نتيجة

- لكن اسالك يا مولاي شيئاً لا اعلم بما اعتذر عن الجراة في طلبه . . .

- تكلم واشرح مرادك

- مولاي المحذر كل المحذر من نير وكلا او ناباري (هو اسم الرجل

ايضاً)

- وما السبب في ذلك

- ان الرجل يا مولاي حريص على غرضه وذو هوى في نفسه يميل معه

كيف شاء . وقد جرى في هذه المهنة مجرى بعض المؤلفين الذين يعنون

بارسال الكتب بين الناس قصد الشهرة ليس غير . فتراه اذا اتدب للاستقراء

عن حادثة من الحوادث او كلف النظر في مسألة اختلف فيها الاحاديث

والروايات المتضاربة ما يوهم سامعه انه كان شاهد العيان . بل ربما اعتمد

على عرض في جنابة بنى عليه كل مظاهرها كما بنى ذلك العالم عالم الحيوان

المفقود على شظية النقطها عرضاً . وقد أبدت كلامي يا سيدي بما قدمت عنه

في دعوى دريم الخائض

- انني اشكرك على بيانك فاعتمد عليه وغناماني كما لا يخفك للحال

الوقوف على منشأ الامة اروج

فاهاب مجلس المستنطق بالشهود الذين حضروا امام الزعيم الاول مرة

اخرى فاستطلع كل واحد منهم علمه بعهد تلك المرأة فلم يستفد شيئاً ينم بغامض

سيرتها بل اطبق الكل على اتهام الرجل الاسير الذي رماه جفروا بظنهم قائلين

ان هذا الرجل كان شكماً شرساً يابى القوم الدنومنه وقد استندوا في نهيمهم الى

ما كان من امرهم احدى النساء . اذ نهدها بالقتل فنجت منه والى ما راوه

منه في ضرب احد الفتيان بغياً وعدواناً . لكنه تعذر عليهم اعلان اسم المرأة
والفتى تأكيداً للرواية

والا كان قد وهى صبر المستنطق وخافه الجلد في استجلاء الحادثة دخلت
عليه امرأة عطارة كانت تتاب الائمة لروح حانوتها لا يتبايع عطارتها يتلوها
فتي في الثالثة عشرة دفعها القوم للتصريح بما عندها من العلم بشؤون تلك
المسئلة

فقالت العطارة - انني سمعت الائمة لروح تحدث عن ولد لها لم يزل
حيّاً

فسأها المستنطق - هل انت على يقين ما تصرحين به
- وبقيني به كبقيني بوجودي وفي تلك الليلة التي جاهرت بقولها عن
ابنها كانت قد لعبت براسها الحميا فجلست عندي نحو الساعة ...
- وما كانت نتيجة حديثها كـ

- انني لم ازل يا سيدي اتمثل مجلسها امامي تمازج صياداً من مارلي
يدعى « هيسون » وهو شاهد مقنع عما كان منها في تلك الليلة . فانها اخذت
تغامز نارة بالضعف وحيثاً بالخرق قائلة له ابن انت من زوجي الذي كان
صناع اليدى خبيراً في مواضع الصيد مقدماً جريئاً طوافاً جواباً برناد لي
الطرف فياتيني بجوز الهند من اقصى البلاد . ولي من فضل الله ولد يتامى
بابه وقد تحلى بصفاته فقام الان نوتياً على احد سفن الدولة
- هل اشهرت اسم ولدها

- كلاً يا سيدي انها لم تات على ذكره في تلك الليلة ولكن قد ذكرته
على مسمع مني في جلسة اخرى فقالت انه يدعى جاك وكان قد فرق الزمان
بينها وبينه فاطال عليها نغيمة لبعده الشقة وحرم عليها مراه
- هل كانت تستغذف زوجها

- كلاً بل كانت تنهيه بالغيرة والشراسة ونشكو منه القلب في الراي

من حال الى حال وبالحكمة قالت انه كان بعباً باليوم أكثر منه في الحقيقة

— هل زارها ولدها اثنا. قيامها في لاجونشار

— لم تنبئي بذلك

— هل كانت تتوسع في نفقاتها

— انني لا استطيع ان آتيك في ذلك البيان الصريح لانه كما لا يخفى

سيدي ان النفقة تختلف باختلاف الدواعي . فان المرأة كانت احياناً تتباع في الشهر بقيمة ثلاثة دنائير واحياناً تضطر الى اتفاق ما يزيد عن ذلك قيمة المشروب . واما النفد فكان عند المحافرة

وعند هذا الكلام وقف علم العطاره بالحال فطلبت الانصراف فاتج لما ودخل الغلام اثرها وكان من خيار قوم تلك القرية ذكياً نبهاً تلوح على عياله سماء النجاة وتوقد الذهن فسأله المستنطق قائلاً

— ما عندك يا صاح من العلم بالمسئلة التي نحن الآن في صددها

— مولاي انني رأيت اول امس وكان احد المرفع رجلاً وافقاً بباب

الآية لروج

— في اية ساعة من نهار ذلك اليوم

— اذ كنت قاصداً صباحاً المعبد

— هل كان الرجل اسمر اللون طويل القامة

— كلاً يا سيدي بل كان شيخاً ربع القامة بدناً

— هل تحفته جيداً

— كيف لا وقد رأيت عن كتب فخطبته

— فقل بما عندك من امره

— انني بينا كنت ماراً برأيت بالباب اصلع وقد احمر وجهه غضباً

وكبداً

— هل بدئك بالخطاب

— نعم ياسيدي انه دعاني اليه فدنوت منه فقال — انقوى باغلام على
البحري . فاجبته نعم . فقال — اريد ان ابعثك في مهمة انفدك من اجلها فرشين
وهي ان تذهب الى السين فتلقى قبيل الرصيف سفينة فادخل اليها وقل
لصاحبها « فرجاي » ان بهم بالسفر فاوافيه قريباً فقبضت الجعالة منه وسرت
افضي امره

فقال زعيم الثغافين — اكرم به من شاهد ذكي نبيل لقد حدثنا ببيان
يقصر عنه سائر الشهود

فاستأنف المستنطق السؤال قائلاً — بين لنا ما فعلت في قضاء مهمتك
— قصدت الرجل في سفينته فابلغته المراد وكفى

واذ كان جنرول صاعياً بانتباه دنا من المستنطق فهمس في اذنه قائلاً
— اتسمع لي ان اقترح على الغلام السؤال

— سل ما بدالك دون باعث

— فسأله حينئذ الزعيم قائلاً — تستطيع ان تعرف الرجل الذي حقت
اذا مثل لديك

— نعم ياسيدي

— هل كان في هيئته شيء يمتاز به

— لون وجهه كالاجر (كالفرويد)

— وما كانت حالته

— كان عليه رداء كبير الجيوب عند ابطه يبرز من احداها مندبل

ازرق مسهم البرد المخطط

— ما لون سراويله

— لم افطن لها

— وصدرة

— لم يكن له صدره بل كان على صدره ابنة (عنفة) مسورة

— احسنت يا غلام الجواب عما سئلت فأكدت لنا نوقد ذهناك وفرط
ذكائك ولو امعنت الفكر ايضا فتمثلت الرجل جيدا لا تبتنا بما ذهلت
عنه الآن

فاطرق الغلام بشمذ ذهنة ويحدث نفسه برهة ثم قال
— فطنت لشيء آخر وهو انه كان في أذني الرجل اقراط طويلة
فتهلل وجهه جنرول بشراً عند هذا الدليل فمال الى المستنطق وقال له
— لا بد من الاهتداء الى الرجل فهات يا مولاي رقعة الطلب
فقال دايرون — ان شهادة هذا الغلام لا جل ما قيل في هذا الشأن .
ثم عطف على القتي وقال له

— هل يتسنى لك بيان ما وسفت تلك السفينة
— كلاً يا سيدي لان ظهرا حال دون مرأى شخبها
— هل كانت آخذة في مجراها صعوداً او انحداراً
— انها كانت راسية
فاعترضه جنرول قائلاً — ان المستنطق يريد بسؤاله ان تفيده هل كان
مقدم السفينة موجهاً جهة باريس او جهة مارلي
— قد استوى طرفاها فتشابهها بالوضع
— لا بد ان تكون قد ابصرت في اسمها فوعيته في ذهناك
— لم ار لها اسماً

قال المستنطق — اذا كانت السفينة كما قال قد ارسى على مقربة من
الرصيف فلا بد من ان يكون الاهلون قد رأوها فعرفوها
فصدقه الزعيم و صوب رأيه قائلاً — ومن عادة النوايب ان ينزلوا الى
البر فيفقدوا الحمايات . فعلياً ان ابحت فيها لكن ما هيئة ربانها او صاحبها
جرني

— كهيئته سائر نواني هذه الضواحي

ثم هم الغلام بالانصراف فاستوقفة المستنطق قائلاً له

— هل حدثت احداً من قبل بتلك اللقيا

— قصصت على والدني ما جرى لي مع الرجل فدفعت اليها الدراهم

— هل نطقت بالصدق ام كان ذلك منك زوراً . فاحذر ان تخادع

فالامر ذو بال فاتبه

فنكس الغلام رأسه وقد احمر وجهه اضطراباً

فاستأنف المستنطق الخطاب قائلاً - اراك قد كتمتنا شيئاً فاعلم ان

الثقاف لا يفوته العلم بما كتمت

فتاثر الغلام من حديث المستنطق فبكى وقال - لا ترمي بسوء فتصدني

عن البيان

— فبج اذن بما كتمت

— ان الرجل كان قد نقدني اربعة قروش فاعطيت والدني منها

قرشين وابتعت سرّاً بما بقي كريات

— انني اعفو عنك الآن يا فتى ولكن اوصيك ان لا تنكر مستأنفاً بيان

الحقيقة في ما تعلم من امر نطالب به فانصرف لشالك واعلم ان الحق يعلو ولا

يعلو عليه



الفصل الثاني

تاباري

ان المستنطق آنس في كلام الشاهدين الاخيرين نوراً يصدع حجاب الاشكال عن مسألة الأئمة كما بأنس الساري بالنجم اذا بان القمر . فاطال النظر في تحقيق ما قرراه ومعارضة ما اثبتاه ليستجلى الحقيقة من التلميح ويستنبط السبر من الاشارة في موضع التصريح

وبينا هو بين التدقيق والتحقيق ابتداء جفروا الخطاب قائلاً = آنسح لي يا مولاي ان انحدر الى بوجيفال

— ارى ان تلبث مكانك لنعلم بما كان من سيرة الأئمة مهارة الاحد يوم كان الرجل بياها صباحاً

ثم دعا المستنطق اليه بالشهود الذين وقفوا على سيرتها في ذلك النهار فتقدم اليه من نساء الحبي ثلاث اجعلن على القول ان جارتهم في ذلك اليوم لم تهجر الفراش وقد اجابت عن سوال احدهن تستعلم حالها . « قد فاجأني الليل الغابر عارض كاد يفضي علي » ثم انصرفن من عندها دون ان نعلم بما كان من امرها بعد تلك الزيارة

فارسلمن المستنطق وقال مخاطباً جفروا = ان اقتصاص اثر الرجل الذي دعوه بمشتف الآذان غداً امرأ لا ندح لنا عنه فعليك يا جفروا بالمجد في اثر .

— سيئبل لديك يا مولاي قبل ان تتعدى الاسبوع لان من عزمي ان
اخوض نهر السين جائزاً فيه عرضاً لطول فالتقي بربان السفينة جرفاي ومئة
اقف على البيان الشافي
وقبل ان يتم الزعيم حديثه دخل لكوك وقد نصرمت انفاً عياء
فقاطعه الخطاب قائلاً

— هوذا ناباري الرجل الذي بعثني بطلبي . فبالحقيقة انه من ذوي
الافدام والنشاط والغيرة لاني ما كذبت ابليغة الطالب حتي قام من مكانه يلي
الامر متقدماً في سببه على ساعة سفر النطار
فبئس الرجل المنوع عنه امام المستنطق وكان في الستين من عمره قصير
القامة ضئيلاً حديباً وبالجملة لا ينوسم فيه رائيه شيئاً من شارات الخدافة
والدهاء بيد انه كان حسن البزة تبرق على صدره سلسلة من الذهب المصمت
(الروباص) لا يألئها ذوق ذلك العصر . فما وقف في المقام حتي القى السلام
وسال المستنطق بذلة وخضوع قائلاً

— أأنت يا مولاي الأمر باحضاري

فاجابه المستنطق - نعم . ثم قال في نفسه . ما اراه الرجل المطلوب

— هاء نذا يا سيدي فمر بما تشاء

— انني دعوتك الي لا واضعك الراي في مسئلة ارنجت علي فاعلمك نقوي

على جلائها بدرائتك وفرط ذكائك فاجلس لاقص عليك القصة بوجوهها

— لقد ابغني لكوك المراد فكان حديث الطريق

فقال زعيم الثقافين - ومع ذلك لا بد من بيان الاسباب التي توسلنا

بها في الاهتداء الى الفاتك

— انني في غنى عن هذا البيان واحب الي ان ارجل البحث برأيي فلا انج

منهم إلاخرين . . . فدعني اتراول التفتيب مع لكوك

وبينا كان ناباري يتكلم كانت عينه تبرق من الفرح والسرور فتنبسط

المعزق والمترقة : آتة كالحصم او البرعوف الارض والمذمالة ينسب بها الطعاج
سائق - المتلوص والمغيب ان منك شئ - آتة ينسب بها اي شئ ربحها الارض ١٢

اسر جبينه من الطرب الذي استغف قلبه ثم ثقف اوده فترا الى الغرفة الثانية
وهناك استفرغ الجهد في استجماع الآثار التي تنم بانواع الحادثة حتي اجهد
لكوك في خطراته نارة بطلب الورق ونارة اخرى بالمعزق (المنكوش) وحينما
بالجص وآونة بالماء والزيت الى ان اعيا المستنطق الملل فسال عما بلغ اليه
الباحث في بحثه

فاجابه زعيم الشرط - مهلاً فانه يرغب الجص (بمعجنة) لغرض في نفسه
وعن قريب يا نيك بنتيجة سعيه

فما طال الزمان حتى عاد تاباري الى المستنطق يتהלل وجهه بشراً وفي
اثره لكوك على يده قفعة (سلة) تعنيه فقال له
- لقد زال الاشكال ووضع الامر تماماً

ثم مال الى لكوك وقال له - ضع يا صاح القفعة على الطاولة
وفي تلك الاثناء عاد ايضاً جفرول مسروراً بما صادفه في غايته . فقال
- انتي وقفت يا سيدي على التحقيق اللازم لادراك اثر المشف الآذان
اذ بلغت الرصيف عند انحدار المركب فتمتقت هيئة صاحبه جرفي

فقال المستنطق - هات يا تاباري ما رأيت
فافرغ الرجل للحال على الطاولة ما وعمت تلك القفعة من الاخبارات
الجصية وقال

- انتي ادحض بادىء بدء زعم من قال بالسرقة سبباً للجناية
فاعترضه جفرول قائلاً - اخطأت يا صاح

- لا اجازف بالقول ولدي الحقيقة الواضحة البينة وساكشف مستانفاً
السبب الوحيد الحامل على ارتكاب الجناية . اما الآن فاقنصر على ذكر ما
انتهى اليه بحثي عاجلاً فاقول ان القاتل دخل المنزل قبل الساعة التاسعة
ونصف اي قبل وقوع المطر . ولئن كنت لم اعثر على اثر الوحل في الغرفة
كما صرح من قبل صاحبي جفرول الا انه لم يفتني ادراك رسم العمل الراجح

الربيع : الرابع المجلد الثاني في القول والقصة ١٢ الجزئية : ضرب من العارية
 موعود لارتقاء يتلخ إلى نحو الركبة مرسلاً ٢٤ . جزئية بالركبة ١٣

على الأرض نحت الطاولة وبذلك نأكدت الساعة التي دخل فيها الفاتك
 المنزل . اما الأمة لروج فلم تكن بانتظاره بل كانت قد اخذت بنضو ثيابها
 وتوقيت ساعتها عندما طرقت الباب
 فعارضه الزعيم بقوله - يا للغربة

فاجابه تاباري - ما في الامر غربة وقد اسندت قلوبي الى دليل بين راجح
 انه لو تحققت الساعة المعلقة فوق الصوان لالينتها من الساعات التي توقت
 كل خمس عشرة ساعة مرة . فاقول انها كانت توقتها مساء قبل النوم . واذا
 سألت عن اتفاق وقوف الابرّة عند الساعة الخامسة فاجيب ان ذلك كان
 مفتعلاً وقد كانت المرأة آخذة بسحب السلسلة عندما طرقت الباب . وبالنظر
 الى الكرسي الموضوع اسفل الساعة ورسم القدم الموثر فيه ينضح لك ايضاً دليل
 آخر ادم به بياني . ثم ان الثوب الذي عليها لاصدرة له لانها كانت قد
 انتضتها لتوقت الساعة ففاجأها الطارق في تلك الاثناء فاضطرت ان تشتمل
 بشملتها بدل الصدرة بحكم السرعة

فحار زعيم الشرط من الامر وتعجب قائلاً - لله دره من مدقق خبير
 فاستأنف الباحث بيانه قائلاً - لا ريب ان الأمة كانت تعرف الطارق
 ودليلنا في مبادرتها وهي على تلك الحال لفتح الباب فضلاً عن ذلك سياتينا البرهان
 في نتيجة البيان . فدخل اذن الجاني دون معارض

اما الزائر فكان يرمو بقامته على الركبة حسن الهزة وكان على راسه في
 تلك الليلة قبعة عريضة وفي يده هالة شتوية (شمسية) وفي فيه سيكارة
 فأكبر جنرول تنصبله وقال - يعز علينا تصديق ما اوضحت

- ربما كان يتعذر عليك استجلاء ذلك اما انا فقد نأكدته كاتني شهدة
 عياناً . ومن جدّ يا صاح وجد . فانظر بحفك الى تلك الرسوم التي طبعنها
 على الجص وتامل جيداً رسم عنق جزيماؤ الذي اخذته عن رسم قدمو
 الراشح عند القنّاء حيث وجد المتناج . ثم دقق النظر في ارتفاع العنق وثقّر

القدم وصغر النعل ودقوتيهين لك من هذه الادلة ان الرجل يتانق في نعلو
 وبجلي لك هذا الرسم في موضعين على مدى الطريق ثم تلقاه خمسا في الحديقة
 حيث لم يدخل احد وذلك ما بوكد لك ان الجاني لم يطرق الباب بل
 الشباك لانه آنس فيو نورا . فعند مدخل الحديقة يبدو لك رسم النعل اشد
 رسوخا منه في غير موضع لان الزائر أجبر في ذلك الموضع الى ينفر حذر ان
 يطا الرطب النابت على مدى ذراعين ومن نقراته نتأكد ايضا ان الزائر كان
 فتى . واذا اعظمت الامر ليباري حجم القبة فقم الى ظاهر الطاولة وتحقق
 كلامي بالنظر الى رسم قطرها كما انني احيلك ايضا على ظاهر الصوان لتحقق
 طول قامة الرجل حيث ترى آثار يديه التي تجسس بها اعلاه . واذا اعترضت
 علي قائلا . ربما رقي الكرسي لادراك غايته . نقضت اعتراضك للحال بقولي
 انه لو رقي الكرسي لابصر بعينيه غرضه فاغتنى بذلك عن التجسس . واذا
 كان قد ادهشك قولي بوجود العالة فانظر الى هذه الرذغة (وحل جاف)
 التي طبع عليها رسم الملكة (خشب مدورة تضم قماش الشمسية) فهناك ما يذهب
 بدعشتك اما قولي بالسيكارة فدليلي بوجودها في الغرفة
 فتعجب الجميع من بيانو العجيب وتحقيقه الغريب لاسما لكوك فانه كان
 يصدي به يديه فرحا للبحاج رأيه وتبريزه على رئيسه

ثم استأنف ناباري الخطاب فقال - اني كشفت لكم عن حال الرجل
 في المنزل ولكن يقتضي ان نعلم بالسبب الذي توصل به اليو . فاعلموا اخواني
 ان الشاب وفد على المرأة بمحبة العشاء فصرّت تلك المسكنة بضافته فاكرومت
 وفادته وقامت تقدم له ما نهيا لانها كانت قد تقدمت في العشاء بدليل ما
 رأيت في السهوة من فضلاته . ولنا على ذلك دليل ما يبدو على الطاولة من
 الادوات المفردة كالسكين والجمام . واذا سالنا عن منزلة الرجل لعرفناه من
 احشاء المرأة يو قلنا انه اكرم منها لاختيارها في ضيافته احسن ما لديها من
 الآنية والادوات التي لا تبتذلها في خدمتها كل يوم وعندها منها في سهوها

ما هو دونها ثمناً وقيمة

فهبس المستنطق وأوجس قائلاً - لهربي انه قد صدق في بحثه وأيده
ثم استأنف ناباري البيان فقال - ولما جلس الضيف اخذ يتوجس
كاس الخمر بينما كانت المرأة تعرض اللحم على النار فما طاب له الخمر فطلب
العرق فترشف منه خمساً وفي اثناء ذلك حدث نفارٌ بينهما اذ كانت المرأة
جالسة الفرفصاء عند النار فطعننها في ظهرها ولكن لم نقض للحال بل تشبثت
بيدي الجاني فاحجم عنها ودفعها ثم حنّها فثبتت في موضعها حيث هي الآن
اما الآلة التي طعننها بها فهي السنان (الحربة) وقد تبيّنت لي من رسمها
على ثوب المرأة اذ مسعها به

فقاطعة جفول السلام قائلاً - ما اخال بيانه الاحلاماً او رواية
يقصها بنت الساعة

• - ما قلت ولا اقول الا الحق المسنود الى دليل العيان فانظر الى
اطراف اظافر المرأة فتجد من الآثار ما يكفيني رد افتراك ويكفيك الجدال
بلا طائل

اما مراد الجاني فلم يكن المال كما زعم الباحثون قبلي بل كان يطلب
اوراقاً يضمن بها وقد امسكت المرأة عنها فقام يشعث الاثاث باحثاً فيو عنها
الى ان وجدها . ترى فما فعل بها . انه احرقها في مستوقد الغرفة الاولى وبذلك
اشتفى ولكي يغفر فعلته وبضل الباحث في سبيل غرضه سرق ما لقيه من
النفس في المنزل فجعله في مندبل ثم اطفأ الشمعة وانصرف بعد ان اقفل الباب
والقى المفتاح في الفناء

فقال المستنطق - بالحقيقة يا ناباري انك من المخبرين بل من الباحثين
المجرمين فقد اكدت لنا الان بما اتيت من الادلة والبيانات الجلية انك على
هدى في الامر فلا يتعذر عليك القبض على الجاني والاستظهار عليه
ونفناه لكوك قائلاً - اما صدقت يا مولاي بما رويت عنه واثبتت عليه

فاعترضها جنرول ساخرًا من كلامها وقال - ترى اما لقي الرجل
عناء في احتمال المندبل بما وعى . اما تخاله خاف رقيبًا في مسيره
فاجابه ناباري للحال - ان الرجل لم يطوف بجملة البلاد ولم ينفد
موقف القطار على الحافة الاميركانية بل رجل اليو من اقرب السبل آخذًا
بطريق النهر حتى اذا بلغه النى عن يده العناء

فانكر عليه جنرول هذا البيان وقال - ما ظننتك تقطع بصحة ما تزعم
- امهني فاريك الحقيقة وقد انفذت الى السان من قبلي وعلى نفقي
الخاصة ثلاثة رجال برأسهم ضابط قصد البحث في رقبه (الماء عند الشاطئ) ^٢
عن المندبل

- هل مثلك يا حريص من ينفق من ماله الخاص في سبيل غيره
- نعم

فقال المستنطق - عساه ان يلقطوا المندبل
فما اتم المستنطق بيان ما يتمناه حتى دخل ضابط ويده المندبل الندي
بما وعاه من الآنية الفضية والحلى الكريمة فقال
- ان الذين التقطوه يقتضون جعلتهم
فاخرج للحال ناباري من مخنطو قرطاسًا ماليًا ودفعه الى الضابط
ثم نظر الى جنرول عن عرض نظر الفائز وقال مخاطبًا المستنطق
- ما رأيت يا مولاي في ما تنبأت عنه

- لا بد يا ناباري من ان تبلغ بحذقك وهديك كبد الغرض
وفي اثناء الخطاب دخل الطبيب الذي دعي لتشريح الجثة فنهض بعد
السلام باعباء مهمته الى ان قال ما كان من تيجو اسناد ما رآه ناباري فايد
النزاع قبل حدوث الجناية بدليل ما بدا من الزرق حول عنق القتيل ثم
اثبت انها كانت قد تناولت طعامها قبل ان تطعن بثلاث ساعات
وعقب إن وعى ناباري كلام الطبيب قام الى الغرفة فجمع لديه من

الاثار التي يفهمها المجاني اذا خطر له الانكار فاخذ ثوب المرأة وبقية كفوف الضارب فضعها الى المتدبل الذي التقطه رسله في السان وجعل الكل لديه اثرًا يتتبع به العين

— لا خفي ان دايرون عظم امله بما اهتدى اليه بمساعدة ناباري من اثار تلك الحادثة الغامضة فصار يتوقع السير فيها على نهج بين يقصد به الحقيقة . ومن المعلوم ان الاستنطاق في المشاكل الغامضة كثير المخاطر لاشتباه وجوه المسئلة على المستنطق فربّ بحث يلتوي مقصده عليه فيتخراه ضلالاً وكلما امعن فيه بعد عن مواطن الحقيقة

ولما دجا الليل نهض المستنطق يريد مزايلة لاجونشار فطلب اليه جنرول ان ياذن له بالبقاء فيها حرصاً على امله بالقبض على الرجل المشنف الاذان فاجاب طلبه وصرف الآخرين عنه كلاً اشانه الا ناباري فدعاه طارحيل معه

فخرجوا سوية يتفاوضان بشأن المسئلة التي اشغلت افكارها الى ان قال ناباري

— هلاً نستطيع يا سيدي الوقوف على سابق سيرة الأيمة —
— كان ذلك ادبنا سهلاً اذا صرحت به العطارة . لكن كان رجلها وابنها في جملة النواني عرفنا حقيقتهم من سجل نظارة البحرية التي اكتب اليها الليلة

فما زالا يتباحثان الى ان بلغا موقف رويال فركبا الفطار ولحسن الحمد كان تزولها منه في العربية الاولى لا ثالث بينهما فجلسا معاً بشخص المستنطق رفيقاً وقد استغرقت ذهنه الخواطر فامسكته عن الحديث الى ان تعجب دايرون من حسن اجتهاده واهتمامه في امور لا يجني منها الا الكد والعناء فساله قائلاً

— متى كان عهد اشتغالك في هذه المهنة المجهدة

— اننى ازالوها منذ تسع سنوات والغريب الان انك لم تسمع بي اثناء كل هذه المدة

— كيف لم اسمع بك وقد بعدت شهرة حذاقنك وثقوب ذهنك وفرط ذكائك ذلك ما حماني على استنجادك والاعتماد على رأيك . اما مكان العجب مني فهو عند غهورك في مهنة مجهدة لا اعلم بالسبب الذي دفع بك اليها
— ليس غير الحزن والعزلة والضجر . لان الله لم يقسم لي الراحة والهناء
— أنى تشكو العناء وقد قيل انك ذو ثروة طائلة

فتنفس عندئذ الرجل الصعداء متلهفاً تلهفاً لا ينم به الأسره وقال
— عهدي بالراحة يا مولاي قريب المدى فلم ابلغ الحال التي انا عليها
لان الآ بعد شق النفس فان ابي كان قد عبث بشبابي فاحرمني لذته فكان اظلم في عيني من بياض الشيب

من الناس من فطر على حب الاستفراء والاستفصاء في كل امر يبدو لديه فلا يزال به حتى يستجلبه ولا سيما اذا كان عارفاً بالسييل القاصد كالمنطقى دايرون فإنه رأى عند كلام ناباري ان يعمل بهمة فيتبع السؤال متدرجاً من المسبب الى السبب فساله قائلاً

— عجباه باصاح ما تدعي على ابيك ايمكن ان يكون سبب شكوك ومنشيء بلواك

— واحسرتاه نعم نعم كان لي شخص الشقاء وعين العناء وقد اضربت لان عما جناه علي وما ساقه من الهموم والغوم بين يدي عند ما علمت
آه يا مولاي لقد دعوتني بسؤالك الى سرد قصة ينقبض لها صدري وتدمي منها عيني فلا باس ان قصصتها عليك وقد تاكدت ثقتك ووزانتك

لما بلغت الخامسة والعشرين من عمري كنت اعمل في «المون دي بيانه» براتب لا يقل عن مائة دينار مساناة . ففي ذات يوم صباحاً دعاني ابي اليو وشكا اليّ فقره وشظف عيشه وبالغ بالشكوى الى ان قال . قنطت من العيش

ذليلاً فاما ان ارى ما اعلم به ففري واما المنية . فترثت لشكواه واويت لبلواه
فسريت عنه الهم وزينت في عيني الحياة باسطاً كفي ليجدته موفراً لديه اسباب
الراحة ورخاء العيش بعد اشتداد نكبته وامتداد بليته فاقمت معه على هذه
الحال زهاء عشرين عاماً وهو كل علي

— انندم على حسن صنيعك عند ابيك

— ليت كان ذلك الخبز الذي التهمه سما

فتعجب دايمون من كلام رفيقه عجباً لم يخف عليه فاعترضه ناباري قائلاً
— مهلاً يا مولاي بالحكم علي قبل ان اكمل الشكوى التي ابتدأت بها . فان
والدي عاش كلاً علي نحو عشرين سنة فطمت فيها عن الملاذ وحملت منه
اثناً ما لا تقوى على حمله رضوى من الهم والبلوى اكدر ظل ليلى وسحابة
نهارى من اجله وهو غير راض عني فكنت تراه يتململ ويضجر نادياً افول
ماضيه شاكياً حاله وآتیه . وبالجمله اني لقيت معه صنوف البلاء وضروب
العناء

وكما لا يخفك يا مولاي اني ما خلقت لاعيش منقطعاً لذاتي عن لذاتي بل
كنت ممن يرغب في العيشة العائلية ويأنس بالولد فاود من صميم فوادي
لو وفقني الزمان الى فتاة انقاس معها اعباء تلك العيشة وهناءها ولكن آتني
لي تحقبق هذه الآمال وذلك الشيخ وعنته علي عيال فكنت كلما فكرت في
الزواج ارفض الدمع من عيني اسفا وذابت حبة قلبي على زماني لهفا فاحاول
ابعاد تلك الخواطر ابعاد المخاطر وكان الله قد هداني في تلك الايام الى
فتاة تدعى اورناتس فهوئها ولكن في عمر هوى بها عني فلم يبرح حبها من
فوادي حتى الآن دون ان اعلم لها مكان فما زال بي والدي حتى ازال ريق
الشباب واعاضني منه بالهلف والعذاب

فناطعة المستنطقى القصة قائلاً — ما يفيدك الندم على ما زلت به القدم

منذ القدم

— لقد صفحت يا مولاي عما نلت منه ولكن لم انتبه بعد الى النتيجة المرغوبة
فاسمع مختاراً ما فعل بي الغيظ يوم فارقتني فقلت في سمائي صكاً بقيمة الف
دينار من الربيع
— اذن كان والدك مثرياً

— نعم يا سيدي وقد كان له اقطاعات في جيرة اورليان يأجرها كل
سنة بقيمة ثلاثمائة دينار وله الدار التي اقطعها الآن على انني لجهلي بسره كنت
انقد البواب كل ثلاثة اشهر قسطاً من اجرها
— بالحقيقة انه كان جاوراً

— بل قل كان لصاً سلبي مالي وعمري وما زادني غماً ما قرأته في وصيته
حيث يقول انه لم يفعل ما فعل الا قصد العظة والارشاد بريد ان يعلمني
ضروب الاقتصاد وحسن النظام في المعيشة وما كان اولاه ان يقول لي علمني
فنون الجنون فينزعه من فوادي حب الوالدين ليزرع فيه الحذر وسوء الظن
فتعجب المستنطق من قصة ناباري لما وعت من المضحكات المبكيات
فقال له

— هنيئاً لك فقد اتاك المال اتيان الفرج بعد الشدة
— كلاً انني لم اسر بلفياه بل كان في عيني اشأم من الشيب في عين الغادة
فما لذة الشيخ من الخبز اذا كان اردد او افرم وقد مال الشباب ولوى ونادى
حي على النوى . انما كانت المنفعة بما اصبحت من المال لقربي اذ هجرت العمل
لمن كان اشقى مني حالاً وامتنعت في منزلي اعالج الضجر والملل بالمطالعة وجمع
الكتب ولكن ربما تعترض علي قائلاً ان من يتعشق المطالعة وجمع الكتب
وجب عليه ان يكون من العلم بما وعت في شيء

— لا انتقد عليك هذه الرغبة على جهلك بالعلم وشيئك المال وكأي
من الرجال يحرزون الكتب الفخمة المفيدة والمطولات العلمية المرغوب فيها
وهم لا يعرفون من العلم الا وضع الاسم

— ربما صحح حكمك ولكنني لم اجمع عندي الا ما افادني في فن الثفاف ضاعاً قوياً فقرأت عنه الكتب والخطب والرسائل وكنت كلما تصفحت عنه كتاباً زدت فيه ولو عاً لا سيما عندما اطلعت فيه على كشف الحجاب عن المكامن والاسرار الغامضة فتوصلت منه الى ادراك الحبايا في الروايات واستنباط المسببات المهمة واشد ما سرتني منه العلم بقدر الرجال واخبار مكائدهم وابتناء سرائرهم . وكنت ادهش عندما كنت اطلع اعمال اولئك الثفافين الحاذقين الذين كانوا يسرون في مهامهم سير العدل فلا يدركهم الملل ولا يتولاهم الضجر في سعيهم حتى يبتدوا الى ضالتهم من طريق الحق في محبة العدل والصواب فشاقني دراسة هذا الفن فكلفت بها انتصاراً للحق وازهاقاً للباطل فما زلت اجد ليلاً نهاراً الى ان ادركت الغاية

— اذن تسرك مزاولتها والثفاني في انقائها

— كيف لا وقد سلوت بهذا الفن شقائي فكان في وحدتي عزائي لا سيما اذا كان الخصم الذي اطارده من اكفائي . ان الفخر يا مولاي في مطاردة الرجال كالظفر في مقارعة الابطال . لان الثفاف يستنفذ دون اقتصاص اثر ضالته وسعة من الذكاء والدهاء فيتجرب بالاليب الحكيمة ويتدرب على فنون الحيلة وبالجحيلة لا يعرف لذة هذا الفن الا من عاياه وخاض فيه فاطلع على اسرار حاضره وماضيه اما اليوم لنكد الطالع فقد ضعف العزم ووهمت القوى وقلة الحيلة لضعف الخصم فلا يكاد الجاني يرتكب الجناية حتى يدركه الثفاف عن كسب

— صدقت ولكن ما اخال ضالتنا في مقتل الائمة لروج غيباً

— ولذلك تراني اشمع عن ساعد المجد للقبض عليه ولو تكلفت من اجله النفس والنفس فانتحل المنازل وانغل فيها سعيًا وراء الجاني ولو كره مسعاي اقراني

ثم اتفق المستنطق وتاباري على ان يتعاقدا على السعي معاً في حل المسئلة

فيمتزل تاباري في بوجيفال حيث يتوفر على استكمال البحث والتحري ويتعهد
المستنطق أن يقبله عما يبذلونه من خصوصياتها لا سيما اذا عثر على الصكوك
التي فقدت من الائمة لروج والحق المستنطق على تاباري ان يوافيه ايان شاء
لمشافته اما في محلة جاكوب واما في دار الحكومة
وكانا قد بلغا وقتئذ الموقف فاكترى المستنطق عربية ودعا تاباري
للكوب معه فاعنذر لديه لثربو من منزله في محلة سان لازار
فعندئذ ودعه دايهرون وعاهده على اللقاء القريب

الفصل الثالث

فاتحة السعي

ان معان (وكالة) تاباري كان على مسافة بضع دقائق من موقف سان لازار
تألف من طبقات شتى اعد قسماتها للكراء ونزل القسم الآخر في الطبقة
الاولى المطللة على الطريق وكان ذلك القسم كثير الغرف حسن الموضع
والرياش جمع فيه من الكتب اثنتا عشرة واجداها نفعا لغرضه ولم يكن في داره الا
كلمة التزم خدمته زمانا طويلا وكان يخرج مرارا من داره النهار فيعود
نارة اليها المساء ونارة يبيت خارجا فلا يدري احد بما كان يخرج اليه ولا ما كان
يسعى فيه لان امارات السداجة البادية على جبينه كانت تغمر ما نقلب فيه
الرجل من ادوار الحيل والتدبير . فتقول الناس عنه لجهلهم بهما واولا

متصاربة فمنهم من قال فيه البله ومنهم من ظنه طريد الهوى وشريد الغرام
فرموه بالسوء قائلين « شتمنا له من شيخ يسود بياض لثنته ويبدل ماء صفحته »
وكان ناباري على وفرموا لثنته وكثرة محالفيو لا يخادن إلا امرأة أئمة تدعى
مدام جردي نزلت وولدها نوال في جبرته منذ خمس عشرة سنة

وكان نوال محامياً في الثلاثة والثلاثين من سنه صحيح البنية تلوح على محياه
سياء الذكاء والنهاة اسود شعر الراس والعينين بعيد الصيت مكباً على العمل
في مهنته يتظاهر بالنزاهة وسلامة المبدأ

وكان ناباري اذا دخل منزل مدام جردي اقعد فيه واقام شائه في منزله
حتى انه عن له مراراً ان يروح لها بما عنده منها على كبر سنهما فيمسكه عن
الطلب خوف القطيعة اذا قابله بالجفا والصد . فما لبث اخيراً ان ولج نوال
بصك شرعي ماله مختلفاً قسماً منه وقدره مائة دينار يدفع مساباة للثقاف الذي
يقوى على استجلاء اغمض المشاكل

فمكث ناباري في طريقه بعد انفصاله عن المستنطق نحو ربع ساعة وهو يتردد
في سيره تردد الخواطر في ذهنه قبل ان يبلغ منزله القريب وكان كلما تقدم خطوة
يحجم أخرى باحثاً في نفسه عن مفاد كلام الأئمة لروج في قولها « ولي متى
شئت زيادة ما اروم » قائلاً

— ان كل الصيد في جوف الفرا ما خلت المرأة إلا أمينه سر اودعه
صدرها بعض القوم لغرض في أنفسهم فضنت به لما لها فيه من جزيل الخير .
لكن ما عساه ان يكون ذلك السر وانى انفصل بها . اعلمها خدمت في صباها
بعض الاعيان فرأت منهم او اخذت عنهم شيئاً خطيراً بوجب الكتمان وغض
المطرف . لا بد من ان يكون ذلك السر قد انطوى على مشكلة غرام او قضية هوى
كانت فيها الرسول . وهنا تخداف وجوه المسئلة فنضطر عندئذ ان نتحرى
الاهتداء الى الحبيب والمحبوب فلا يبعد ان يكون الحبيب نفسه هو غريمها
او انفذ من ينفذ فيها غايته . لان الفاتل الذي جنى عليها كان حاذقاً مدرباً

فلم يترك لعينيه اثرًا يعثر عليه الباحث عن الحقيقة . فما كان اضلّ جنرول
لو اصرّ على عناده فجعل القتل سرقة ولكن ابي الله الا ان يظهر الحق وينصدع
الباطل فصدت الزعم وابطلت الوهم مبينًا وجه الجناية وهو الهوى ان لم اقل
البغي وكل آت قريب

فما زالت تلك المواجه تدور في خلده الى ان وقف عند دهليز الدار
فكان البواب وامرأته جالسين على مسافة فابصراه بخطو خطو الفلق الحذر
فقال البواب لامرأته

— ها ان صاحب الدار مقبل

فاجابته المرأة — ما اقباله في هذه الساعة الا دليل ازراء خليلاته به فامهين
ارسلته ضجرًا منه قبل حين

— يا للغباوة والخسة أفتى لمن كان مثله ان يتغم الذل او يلتحف العار
فيتزل على كبره منزلة الصغار . ولا عجب اذا تبهته الخالبات الفاتنات فسقته
بدلاهن الى البارستان

وكان تاباري يتقدم شيئًا فشيئًا الى ان بلغ آخر الدهليز فرفع قبعته مشيرًا
بيديه اشارة المضطرب في امره فائلاً في نفسه

— لم ادرك المراد وقد فاتني الوصول اليه . . . اكاد افوب كيدًا . . .

ثم تخطى الباحة الى باب منزله فطرق الباب والمفتاح في جيبه

ففتحت قيمته وقالت متعجبة من قدومه في تلك الساعة

— ما بال سيدي قد عاد عجلًا على غير مالوف عادته

— ما تقولين . . .

— قلت يا مولاي ان عودتك كانت على خلاف المعتاد فان الساعة الان

قد تجاوزت الثامنة ونصف وقد كان داخلي الظن بتأجيل اقبالك الى الغد

فهل تناولت طعام العشاء يا سيدي

— كلا

— اذن لقد احسنت اذ هيات المائدة وجعلت الطعام عليها احتياطاً
فانمض يا مولاي غير مامور اليها

فجلس ناباري على الطعام واخذ المعلقة ليتناول الحساء (الشورية) فما
ترمق منها شيئاً حتى وقف متردداً حائرًا يشتغل في حل ما تعقد في خاطره
فلما رآته منة القيمة على هذه الحال ارتبك بالها واضطربت قائلة — ما
بال سيدي يفعل كالمسوس وبلي ماذا عرض له ثم دنت منه ونهته بقولها
— ما بالك لا تاكل ألسنت بجائع

— كيف لا ولم اذق طعاماً منذ الصباح اضطراراً
ثم امسك عن الكلام لمعاودة الهجس فاعترضته منة قائلة
— ما الذي كان يمنعك من الطعام
فرفع قبضتيه وصاح صباح من استبشر باليسر بعد العسر وقال — بلغت
المراد ...

فنبضت فرائص منة من هول حركاته فارتدت مذعورة ووقفت بباب
المائدة

فاستأنف ناباري هتافه قائلاً — لا ريب ان في سر القضية ولدًا
فدنت منه منة متأنفة وقالت — ما نقول يا سيدي وما المقصود بالولد
ولما عاد تروكر الى رشده انكر وجود قيمته ليدو وهو في حال الذهول
فزجرها قائلاً

— أني نجات علي الدنومني تريد من مراقبتي واخلاس اسراري فاليك
عني عجيلاً والزمي مطبخك فلا تخرجني منه قبل الامر
فلبت القيمة امر مولاهما وهي تزجر قائلة — لند اشدت الحدة في حواس
مولاي حتى صرت اخشى عليه العته

ثم عاود التهام طعامه ونجواه قائلاً — ما الذي اذهلني حتى الآن عن
ادراك الغرض او ما عدل بي عن استجلاء السبب وهو واضح بوجوهه للعيان

فما ظن المحائل بيننا إلا الكبر والعناء

فاطن الجرس يدعو الخادمة فاقبلت عليه للحال فطلب اليها ان تاتي
باللحم المعروض فلبت الطالب عجباً وانصرفت لشاغلها فلبت ناباري على المائدة
بهجس قائلاً

— لقد وضحت لي القصة الآن بانحائها واحنائها وهي : ان الآيئة لزوج
ربما قامت في خدمة احدى السيدات المثرىات وكانت ذات بعل نوني قد
لفظته الاسفار الى ارض الغرب فخلاها وجه خليلها فبغت فعهدت الى تلك
الايمة بثمره الخيانة والبغي

ثم اخذ يتسأل قائلاً — ما حلّ بتلك الثمرة وابن استقرت ؟ ترى هل
اتلفت ومن اتلفها ؟ فلو عرونا الجناية الى الآيئة لزوج لبطلت دعوى الخوف
والحذر منها . كلاً فان الخليل الملائم كان حريصاً على موثمة بغية وفساده
فلا بد من ان يكون قد دفعها الى الآيئة لتعلمها وتداربها حتى اذا بلغت التمر
المرغوب استرجعها منها دون الدينات التي نثبث نشأتها ووجودها . وهذا
تأويل القصة التي قدّرت . ان صاحب الثمرة هو الرجل الذي جاء منزل
الآيئة على العربية الفاخرة ومنشأوها كان في مستودع تلك المرأة التي جاءت الى
الايمة يصحبها فتى وسيم . اما السبب الذي حملها على الفتنك بتلك الايمة الغيبة
ان هو الا الحذر من اذاعة سر كتمته طويلاً فكلف اصحابه مآلاً جزيلاً الى
ان فضجت الثمرة وباجلى عبارة الى ان بلغ المسبع (ثمرة الخيانة) اشده فحمل على
الايمة كفيئته فقتلها ليزود عن حوض امه واحرق ما كان لديها من الصكوك
ازالة للشبهات

وكانت الخادمة منة اثناء هجس سيدتها ونجواها واقفة بالباب تسترق السمع
من خصاصه وحاصل ما استفادته في وقوفها بعض كلمات كانت قد فرطت
من فيه عن حدة امته وبعض اشارات دللتها على ان بعض النساء يتوهن
سيدتها باغياً . فثارت في صدرها الحمية حتى خطر لها ان تنقم فتح الباب

فاطلت منه وقالت

— ألا ترغب يا سيدي بالهوية

— بلى

فما كان إلا برهة حتى دخلت الخادمة عليها فتناولها للحال وصرفها

قائلاً في نفسه

— لقد صدق من شهد لي بالحذافة والدهاء اذ ادركت الان من نفسي

حل معضلة تعصب قوم على استيلائها دون ان يفتح الله عليهم بكلمة . أنى

لجفول ان يبلغ مني شأواً يفصر عن مداه اعظم الساسة . فما ضرتني لو قمت

اسعى الان في مكاشفة دابرون المستنطق فاطلمة على نتيجة مسعاهي وبحتي . .

لا لا من الحكمة ان امعن الفكرة في وجوه المشئلة الليلة فافقها علمني ادرك

ايضاً ما يزيد لها وضوحاً وبيانا . لكن اخاف اذا لئمت مكاني ان اتحدى في

الاشتغال بها فاضنك جسي واقبلت راشي بما ينالني من الانزعاج بعد الاكل

فاحررني ان اقصد زيارة مدام جردي فاستعلم حالها اتر العلة التي نزلت بها

اخيراً واجالس نوال حيلة للتسلية

فصوّب من نفسه هذا الراي فتمض للحال واخذ قبعة ورداه وعصاه

فاصداً وجهة الباب يريد الانصراف فاستوقفت الخادمة بسوالها

— اتريد يا مولاي الخروج الليلة

— نعم

— هل تتأخر في عودتك

— لا اعلم

— هل تنام خارجاً

— لا استطيع بيان خاطري في هذا الشأن

وانطلق ناباري بعدو الى مثل جارتها فاما كان الا القليل حتى طرق

الباب

ان مدام جردي كانت تحسن تدبير منزلها وتتوفر على انقائه ونظامه .
 شان اصحاب البيوتات فنوثر الامتناع فيه مع ولدها نوال . ولم يكن يتردد
 الى زيارتها الا كاهن الرعية واستاذ نوال واخوها وجارها تاباري الذي كان
 كما قدمنا اليها منذ خمس عشرة سنة

فهؤلاء الزوار كانوا اذا اجتمعوا في الدار جلسوا في الردهة يتلهون احيانا
 بالحديث و احيانا ببعض الآلعيب المألوفة عندهم اما نوال فكان ينقطع في
 محدد صارقا لليلي في تصفح الدعاوي الموكول اليه فصلها او الدفاع عنها
 وكان كل من الام والابن يتفانى في حب الآخر ويفدي من اجل هذه
 الغاية اعز ما لديه حتى سرى حبهما بين القوم مثلاً . فما من واجب على الابناء
 نحو الآباء الا وكان نوال يفضيه برغبة ونشاط منقطعاً عن كل الملاذ واقفاً
 عند حد رضى والدته وسرورها ليس غير فكان الدنيا وما جمعت لديه
 آثاراً يرى فيها عين امه . وكذلك الام كانت تشهد فضل ولدها ودليل
 نجابته في كل ما كان يبدو لديها فتفهو اليه وتعطف عليه وبالجمله كأن
 ابنها لم يخلق الا لها وكأنها لم تكن الا له

فما انتظر تاباري على الباب الا برهة حتى طلعت عليه الخادمة فابتداها
 بهذا السؤال

— ايمكنني الاجتماع بـ مدام جردي

ودخل قبل ان يتلقى الجواب متخطياً الى الردهة فوجدتها على ضوء شمع
 ونعجب اذ رأى خلاف المعتاد ان ايدي الخلل قد تطرفت اليها فعبيت
 بنظام اثنائها ثم بدت له صحيفة معقدة على الملبط عند قوائم كرسي مدام جردي
 فازداد عجباً واندهالاً فسأل الخادمة قائلاً

— مالي ارى انقلاباً في نظام الردهة هل حدث عندكم ما اوجب ذلك

— بالله لا تسلفني ياسيدي السبب انقضاء الحزن وحذر القلق فقد باغتنا

هول ذهب بروعنا

— بني ما جرى

— لا خفاك ان سيدني كانت تشكو ألماً مبرحاً منذ شهر امسكت اثناءه
عن الطعام وقد قالت لي ايضاً صباحاً انها . . .

— لا اسالك ما قالت صباحاً بل اريد بيان ما كان المساء

— انها خرجت من المائدة فجلست في الردهة واخذت نتصفح صحيفة
طلبتها الى نوال فما كاد يستقر بها المكان حتى صاحت صيحة ازعجت اهل
الدار فبادر كلنا اليها فالفيناها ملقاة على الارض مغماً عليها فاخذها نوال
بين يدي واحتملها الى مضجعها . فسألته احضار الطبيب فابي قائلاً ان ليس
في الحادث من باس وهو اعلم بما يجنيه

— وما كان بعد ذلك

— فاني العلم به لان سيدي نوال كان قد صرفني حالاً من المخدع وما

أخاطها إلا في راحة وعافية لاني سمعتها تصيح صيحة غريبة

— ما نقولين وفي الغربة

— في حديثها مع سيدي

— تباً لك من خادمة وقاح الوجه أنت ممن يجسسون الحديث على

الابواب

— كلاً يا سيدي ولكن لم استطع ان اصم آذاني عن صراخ سيدي قائلة . .

— اقصري واعلمي ان التجسس على الابواب لمن شر العوائد واسالي عن

ذلك خادمي منه

فحاولت الخادمة التوصل من تبعة ما تهورت فيه فقاطعتها ناباري الدفاع

قائلاً .

— سيرني لشانك ولا تزعجي احداً فاني انتظر نوال في الردهة

فذهبت الخادمة وغادرت الزائر في مكانه يتلأه بطالعة الصحيفة التي

كانت على المبلط فما كاد ناباري يلقي انظاره على الصفحة الاولى حتى نبضت

فريسته واهتز هلعاً ما رآه عليها وكان ما قرأه في جملة الحوادث المختلفة هذا
الخبر وهو :

« حدث في لاجونشار جنابة هاج من جرائمها الاهلون وما جوا فاستطارت
« البايهم من شرها هلعاً ونصعدت افتدئهم لعظم وقعها جزعاً

« تطرقت ايدي الاعنداء الى منزل الائمة لروج امرأة عرفت بين اهل
« البلد بالسكينة والوقار ونزلت عندهم منزلة الحب والاعتبار ففتكت بها
« بغياً وعدواناً وجرعته كاس المنون ذلاً وهواناً ولما في خبرها الى الحكومة
« ارسلت للرجال البحث والتدقيق وما علمنا انهم قد اهتدوا الى الجاني ان
« كادوا يهتدون باقرب طريق »

فلما اتم تاباري تصفح الخبر صاح حيراناً - ترى آهي مدام جردى ...
وما طالت حيرته الى ان تبددت فهز منكبيه واطرق راسه خجلاً وقال

في نفسه

— ان حادثة الائمة لروج تبهني وكأن الحق يدعوني لاطالة البحث فيها
في كل مجال عجبا فابة صدفة سافنتني للاطلاع على هذه الصحيفة وتصفح ما جاء
فيها تايداً لواجبي

وبينا هو يناجي نفسه في معنى ما رآه وما بدا له عموماً فتح باب الردة
صدد مضجع مدام جردى وطلع عليه منه نوال تبدو على وجهه امارات
الاضطراب والقلق فلما رآه تاباري قام اليه وابتدئه بهذا الكلام

— رجوتك بالله ان تسكن ما جاش في فوادي من انزعاج والدتك

— ما عليها من باس

— انتكر علي يا نوال انزعاجك ما دهاها وقد نمت بو آثاره على جبينك

— لا انتكر الاثر الا انقاء شره في النفس

وكان نوال اثناء حديثه يحاول جهده تسكين اضطرابه لينسى له الجواب

على كلام زائره بصراحة تنفي كل ريب ولكن آتني لتاباري ان ينفطن لحال

مخاطبه وقد اشغلتها الخواطر حتى بعدت بانظاره عن مواطن الحقيقة الظاهرة
فسأله منعطفًا

— حبيبي ما الذي اوجب انزعاجها
ولما كان نوال مضطربًا في امره لم يقين له الحال وجه الجواب المطلوب
فتردد في نفوسهم برهة ثم قال
— انها تائرت من خبر مزيج نقلته المجريدة عن امرأة كانت تودها مودة
شديدة

فصاح تاباري متعجبًا — ما في الحادث من محل اشدة الاسف والالفة ..
ان تاباري كان قد بلغ به العجب ودفعته الحيرة ما اصابه وادعًا الى حد
الافراق بسره والسؤال عن حال الائمة اروج وامرها مع والدة نوال لكن شدة
الفرح بوصوله عند الغرض من ابجائه اشغلتها عن اقتضاح سره فلبث صامتًا
وقفي نوال حديثه قائلاً — ان تلك المرأة كانت تنهالك على خدمة
والدي وتستميت بها

— هل لك معرفة فيها
فاجابة نوال وقد تهديج صوته من الحزن — لقد طال بيننا عهد
اللقاء ولكنني ما زلت اودها لانها ارضعتني
— هل هي نفسها ارضعتك

وهنا طغى السرور على فواد تاباري حتى كاد لا يصدق بوجوده فقال في
نفسه — لا ريب ان العناية الالهية قد دعنتي للسعي في هذه الدعوى فكانت
هدايتي ودليلي فاعلمتني ببرهه وجيزة ما كاد يذهب برشدي حيرة وارتيابًا .
ولما كان امسأكة عن الحديث مظنة لدى نوال رأى ان يبطله بقوله
— بالحقيقة انها لرزية كبرى

— وبأهلها من رزية بعز علي فيها الصبر قهرًا . ويهون فيها صب الدم
لا الدمع صبا مستمرًا . آه لو تعلم بما نالني وحدي من فناء هذه الائمة لما لمتني

على الزهد من بعدها بالبقاء والناس الفناء . بها نقوضت مباني الاماني وخاب
املي من . زماني . بوجودها كنت اصد نبال الاعداء . وفي فنائها نقضت
نبالي فعدمت الرجاء . فلا ريب انني من اهل الشقاء

فحنّ تاباري متعجباً لشكوى نوال فقال له

— ما بالك تشكو الفهر والدهر وقد خانك الجلد والصبر وانت
وحيد في هنائك وراحتك وفريد في عزك وسعادتك

— امين انا من ساحة الهناء والراحة وقد شطت بيننا المساحة . آه انني
اخاف ملاقة الجور والغدر وانقي سهام الرية والمكر بل اخشى ان يقذف
الناس عرضي في العار فينتقلوا عني ما لا استطع عليه الاضطراب

فاسندهم على تاباري وجه العلاقة بين شرف نوال ونازلة لاجونشار
فتألمت الى ذهنه الهواجس ولعبت براسه الوسواس فحاول استجلائها بالمناظرة
فقال

— هوّن عليك يا نوال ودع ذكر الرية والغيبة فلا وصول لها اليك
ولا اثر لها فيك وقد كثر محالفوك وخلانك . ووفر موآلئوك واخذانك .
فاعتمد عليهم في الذود عن حوضك وخصوصاً انا صديقك الذي لا اعادل
بجبك ثمناً وعزك عندي كل رغبتني وتنام المنى لا تخف عني ما فعلت بك الاحزان
فاشرح شرك وكن من كتمو في امان

فاستخفنت عندئذ نوال نائرة الاشجان فنهض وقال بصوت اللهفان

— لا بد من الشكوى الى ذي مروءة فيسليك او يتوجع . نعم نعم

سابئك يا اخي ما كتمته صدري حتى كاد يتصدع

— اعلم يا نوال انك عندي بمكان ابني لا خدني وقد تاكد لك من قبل
حرصي على تقدمك ونجاحك وضني بكما ياول الى ترفيك وفلاحك فصريح
ما عندك دون ارنباب ولا تخرج فاني لديك خير من يدود عنك باقوى الاسباب
— فاسمع اذن ما اروي به من قصتي وشرح غصتي . . . لكن اخاف ان

بباغتنا هنا من بنم بالسر فيزيدني قهراً على قهر فلاولى بنا ان ندخل المخدع
حيث من لا ينظر ولا يسمع

الفصل الرابع

كشف السر

فدخل نوال وتاباري المخدع واقفلا الباب فاكادا يجلسان محاذاة حتى
ابتده تاباري نوال بالكلام قائلاً

— ربما دعت الحاجة والدتك اليك فما نعمل

— ان مدام جردي اذا احتاجت الى امر نفست الجرس فتوافيها الخادمة

للحال

لمن جواب نوال الجاف كان داعياً آخر لارتباك بال تاباري وارتباؤه
لان نوال لم يكن ليفضل من قبل امرأ على حاجة والدته او ان يسمع لاحد
دونه بقضاءها وتنفيذها فما لبث ان اتخذ طريقاً لاسطنبول سر نوال من هذا
القبيل فقال

— يتبين لي يا نوال من اغفالك احترام امك في حديثك ان قد حصل

بينكما نفور وقد اراه مشتداً اشتداد حديثك فاحب اليك مسالمتها ونزع
الموجدة من فؤادك الصافي فعد الى حبك الاول وذلك احق واعدل . فلا
عدت تناديه بدمام جردي كما تنادي الغريب فهي امك لا قرين ولا حبيب

— آه ما ضرّ لو ناديتها باسمها

• — وما الداعي الى هذا الفتور والاحتمار

فنهض نوال عن كرسيه وجال في عرض المخدع برهة ثم عاد فجلس الى جانب ناباري وقال له

— لانها ليست بوالدتي بل هي مدام جردي

فانقضت هذه الكلمة على راس الجاسوس انقضا الصاعقة فضضعت

وذهبت برشده فما لبث ان قال قول من يحاول دفع ما لا يريد تصديقه

— ناج نفسك يا نوال واستجلب هداك فان ما قلت لا اصدقه ولو حلما

— لا انكر ما في الامر من عجب ولكن لند وضح السبب فتأكد انها

ليست بوالدتي وان هذه المرأة منذ ثلاث وثلاثين سنة اي منذ نشأني اخذت

تمكر بودي وحي من اجل ابنها ومنفعتي فهل سمعت برواية اعجب من هذه

الرواية . وبغواية اغرب من هذه الغواية

فعندئذ استشف نابازني عين الائمة لروج من وراء الاثر الذي نشر

لديه فاحب ان يخوض في الحديث فقاطعه نوال وصدّ آذانه عن سماع كلامه

مستائرا بالخطاب وقد تجاوز حدود السكنينة التي عرف بها من قبل فالنزمها

في كل حال فكان وقتئذ كالنضاض يتملل فما لبث ان باح قائلاً

— تبأ لي انا الغر الغبي فما كان اغواني في حب تلك المرأة وما اضلني في

سبيل احترامها واعتبارها . اسفاه لقد ضيعت ايامي في رضاها وبذل ما يضمن

راحتها وهنائها . فياللو فاحة ان عهد مكرها لي وبجي كان منذ اخذتني على

ركبتها وضمتني الى صدرها على انها تمكنت من غفر زلتها فعصبت على عيني

كما بعصب على عيني الطفل فارتني المكر وداداً . والضلال رشاداً . والغدر

سداداً . والرياء صفاء . والجفاء وفاء . آه من لي بترع ما سلبتني حراماً . وما

اغضبني من عواظني برداً وسلاماً . او اه لو كنت تعلم بما كانت غايتها وغرضها

من الغدر بي . انها غرتني لتخول مسيئتها حسبي ونسي

— يا للنظافة انه لم يخطر ببالي ان مدام جردي تأتي من الافعال ما لا تأتیه اخبث النساء وادهى الرجال . ولكن ما خلنها يدًا واحدة في الجريمة بل ان لها انصارًا تاخذ بتلك البد الاثيمة وحسبها بزوجهما عضدًا . . .

— لا زوج لها يا صاح ولا قرين وقد غرتك حالها كما غرت الآخرين فان مدام جردي ليست بأئمة وانا نشأت ابن غيها وفسادها من والدٍ لا اصل له يعرف فيوصف

— لقد تبين لي الآن السبب الذي من اجله انكرت كريمة لفرنوا الاقتران بك منذ اربع سنوات

— آه لو تم لي ذلك الزواج لوقائي من شر ما اعاني ولكن عدلت عنه حبًا بتلك التي توهمتها امي وآثرت البقاء عندها اروم بملازمتها فرج كربتي وغني فيما ندمي على ما فعلت واحسرتاه على عمر طويته بالغرور والضلال . فاسمع يا اخي ان خليل هذه المرأة لما اراد هجرها وصدها دفع اليها شيئًا من المال لقاء المدة التي قضاهما عندها وتمنع منها بودها

فقاطعه تاباري الكلام يريد ان يعارض في ذهنه وجوه هذه الرواية بتلك التي توهما من قبل ليؤيد حذاقته فاضرب عن الجواب على حديث نوال قائلاً

— لا تخطب يا عزيزي في دياجير الضلال واهتدِ الى رشدك واصغِ الى ما اسالك عنه بغية ان انصحك في امرك وانت تعلم يقينًا انني اشد الناس حرصًا على منفعتك واصدقهم لهجة في مودتك . فقل لي . آني اتصل بك ما علمت وهل لديك الحجة عليه ؟

ان اللهجة التي اتخذها تاباري في حديثه مع نوال كانت كافية لكشف الباطن ولكن الاضطراب الذي كان ينقسمه وقتئذٍ والام الذي تنازع فواده الجرمج اذهله عن التماس الدلائل والامارات فقال

— ان ما اتصل بي من هذا الامر كان قد جاءني عرضًا منذ ثلاثة

اسابيع اما بيناني فاديته ليس غير فلو ابقي على الأيمة لزوج لوضح الحق وخزل الباطل بكلمة من فيها ولكن قد تلافى الغادر الحذر فانتلها . وقد كانت اخبرني سرا القصة فعرفتني بنفسي فاذا صليت الان البرهان الى مدام جردي انكرته علي دون شك ولا ارتياب واخاف ان يتحول مكر ابي الباغي الي فيبطل ما ادعيه وايته . . . لكن تاكد ان ما قلت حقيقة لا بلاسها وهم

— بالله اشرح لي المفال جيدا واسهب في التفصيل لاكون على بينة منه حتى اذا رأيت النصيحة محضتها دون اشتباه

فقال نوال - مستني الحاجة منذ ثلاثة اشابيع الى تصفح بعض الصكوك القديمة فعدت الى صحابة مدام جردي ففتحنها واخرجت منها بعض الرقاع المرصوفة فيها فاتتني انني اصبت عرضا رزمة من الرسائل فتبها لي تصفحها ففككتها ونشرت رسالة منها

— لقد اخطأت يا نوال في ما فعلت

— لا باس فاني قرانها وعرفت منها اسم ابي الذي كتمتني مدام جردي زمانا طويلا على رغم المحامي عليها باشهاره ولما رأيت ان لا بد من ان يكون لتلك الرسائل شان خطير في ادوار حياتي وحياة الخلافة جئت بها خفية الى هذا المخدع واخذت اتصفحها كلها واحدة فواحدة

— لقد لقيت جزاء ذنبك بما انطوت عليه

— صدقت وهل من كان في موقف المحرج يقوى على كتمانها او يضرب صفحا عن بيانها . كلاً فانها كانت مورد برهاني ومحجتي عند مسبب الحاجة فلولا انني اطلعت على اسرارها لعجزت عن الاتيان لديك بما اتيت

— فهل ابقيت على هذه الرسائل

— نعم ولا بد من ان اطلعك عليها فتدبرها جيدا لينها لك وجه

النصيحة على هدى

ثم نهض المحامي فعد الى الصحابة ففتحها بقفل مفتعل واخرج منها رزم

الرسائل وقال

— اسمع لي ان اصدف كئيباً على ما جاء عبثاً فيها فلا اذكر الا المنيد
منها وبالجملّة كل ما يؤيد صحة دعواي

فاستوى تاباري على كرسى يتلظى من حر نار الرغبة في اكتشاف ذلك
السر الخفي بينا كان نوال ينتفي الرسائل فيتغير منها ما كان عظيم فائدة في
شأنه . الى ان نشر هذه الرسالة وقرأ بصوت منهدج

« حبيبتى فالري »

ثم نظر الى تاباري قائلاً — لا خفاك ان فالري هو اسم مدام جردي

— عرفت ذلك فلا تنقطع

فاستأنف نوال القراءة وقال

« حبيبتى فالري »

« ان يوماً قرأ فيو رسائلك لهو من ابعج الایام عندي واجلاها . واعظمها

« واجلاها . فقد انتهت اليّ اقبال بشرى ثمرة ولائنا وإخائنا فقبلتها بالترحاب

« وقبلتها من الدهشة والطرب بلا حساب فطويت في صدري ما انطوت

« عليه وضممتها الى اخوانها حرصاً عليها من يد الحدثان وآفاتنا

« فسقياً لنا ان الدهر قد مكن بيننا الصلات واحكم بها بشرتي بالعلاقات

« فجعل لي معك عهداً الا انسى ما عشت انسه ابداً ولو طال بيننا المدى .

« آه يا فالري لبت لي جناحين فاطير اليك وارفضا عليك . فعندك راحتي

« وتمام سعادتي . جزى الله ابي وامي اللذين قيداني بمن لا اهلها فاشربا قلبي

« بغضها وجفنها فلا خفاك انما تعدني ايضاً قريباً ؛ ولود سيكون موضوع غمي ما

« دمت في الوجود

« بالشفائي اني لقد غدوت الآن بين الهناء والعناء والعز والشفاء .

« لا ادري كيف اتدبر امر الولدين في مستقبل الايام فاعدل بينها على حكم

« قلبي لا النظام انني احاذر يا فالري ان ينتزع ابني الشرعي حسي ونسبي ومالي

« وكل ما ملكت يدي فيتجرد من احبيبت واحب من آثار النعمة والسعادة
 « ليرفل من كرهت واكره في باحة الغبطة والسيادة
 « انني لا اطبق صبراً على هذا الجور والحيف وقد ضقت ذرعاً عن
 « حل الاشكال فلا اعلم بما ازيله وكيف . ارشدني فاليري ما الخيلة ؟ اهديني
 « الوسيلة ؟ »

« تيقني يا حبة فوادي انني لا ازال باحثاً متقبلاً محققاً مدققاً دون مكافأة
 « الوداد فابلغه وابلغك من حياتي وجناها كل المراد . فانا وما ملكت بين
 « يدك وراحتي في راحتك والسلام »
 — من ابن انفذ الكتاب وما عهد انفاذه

فعرض نوال لديو الكتاب وقال - « قد انفذ من فانيز في كانون
 الاول عام ١٨١٨ »

ثم استأنف الخطاب في موضوع الكتاب فقال - لا حاجة الى بيان ما
 سطر فيه جلياً وقد ادركنته ملياً ومع ذلك فهذا الجواز : ان والدي كان قد
 تزوج كرهاً فجاء في زوجته وكلف بحب خليلته وكلتاها الان حامل فداخله الهم من
 جراء النسبة بين الوالدين مستائناً فارانا في كتابه انه يسعى في ابطال حقوق
 ابنه الشرعي زوراً وكفى

— انني تباهت الامر تماماً فعرفت وجه ارتبأكه فيه فمالنا وله
 — وهاك كتاباً آخر بتاريخ ٢٢ كانون الثاني عام ١٨٢٦ ولئن كان
 مشعباً حديثاً لا غرض لنا عنده فمع ذلك لا يخلو من فائدة نفق منها على ما
 في ضميره ومسعاه . وهذا مؤداه :

« انني اطاعن يا حبيبي في محبتك صروف الدهر وانازل في القدم
 « اليك صنوف النهر . فلا تزال الايام تقعدني عنك وتمسك بي عن التقرب
 « بالجسم منك لكن وحق هواك ان لي فواداً لا يستفر جوى بين الضلوع
 « وطرقاً لا يعرف على النوى طعم الهجوع لا سيما منذ بشرتني بمملك ثمة الوفاء

«ورابطة الاخاء . فاعاهدك علي العناية بها والسهر عليها معاهدة ابـ
 «لا صديق فانك قد جرحته قلبي بانكارك في كتابك الاخير عنايتي بمن
 «حملت مستانفا وارتيابك بملحوصي الخصوصي له . فالري ما الذي يحملك
 «على الارتياب بقلبي وقد ابتليت حبه واخبرت صفاه . فتيفني انني اموت
 «بك صبا

ثم طوى نوال بعض صفحات من الكتاب قائلاً - لا حاجة لنا في قراءة
 السفساف الغرامية والثرهات الصيبانية وجل ما اتعمده الوقوف على ما يمهني
 من بيانها فاسمع ما جاء فيه ايضاً :

« ان حمل الكوننة بنمو شيئاً فشيئاً نمو الحقد والبغضاء في فوادي وقد
 «رأيتها اخيراً من الهم في حال يرثي لها فكانها قد عرفت باسراري واطلعت
 «على افكاري او كأن حظها من الزواج ي حظي من الزواج بها وسيرتها معي
 «سيرتي معها . اسمعي لي يا فالري ان احن لمصابها واشكو لما بها . لئن لم تكن
 «زوجتي فقد صارت بالحظ قريبي . وما اخالك نواخذيني بالشفقة عليها
 «والرحمة بها »

فبكى عندئذ المحامي وقال - تلك التي يسال خليفته العفو عن رحمة
 بها هي والدي

ثم منّ الدمع المسترسل من اجنبيه باطراف بنائه قائلاً - لهني عليها فقد
 ماتت

وكان ناباري على رغم ما وقع في نفسه من اثار تلك الحوادث التي
 وضحت لديو رأى ان يسك عن الكلام حباً بصديقه واحترام حزنه وغمو . اما
 نوال فانه رفع رأسه واخذ بقية الرسائل وقال

- ان هذه كلها حوت ما يشير الى اهتمام والدي بالمسبع والسبع في
 اغصاب حنوقي من اجله . فدونك واحدة منها انفذت من رومية في ٥ اذار
 ١٨٢٩م وقد انطوت على اجل ما يتعراه والدي للحال

« ان هي الوحيد ولدي او ولدنا وغاية مناي ان اوفر له اسباب الراحة
 « والسعادة في مستقبل ايامه فلا علم بما ابلغ الى تلك الغاية وقد ضاقت
 « لدي السبل في زمن بات فيه اصحاب الجلاء في ضنك شديد فهم اليوم
 « والمأمن لدى الحكومة شرع »

ثم جعل في ذيل الكتاب هذا الاطراء وهو :

« ان فوادي يا فالري بجدثني عن حسن الولد ومحاسنه فيتمثل فيه ذهني
 « صفاء سريرة امو وذكاءها واطننها ورقة شمائلها في اقدم ابيه وعلو همتها وكرم
 « اخلاقه وطيب ارومته . آه اني لا استطيع ان اتصوره دون ان تاخذني الرعدة
 « فلا ريب يا حبيبتي ان البغضاء لا تولد الا اطفال شر على مهد السوء كما ان
 « المحبة تنتج القوة والحسن على سرير الجمال »

أسمعت يا صاح ما يقول في هذا الكتاب معرضاً فانه يشير اليّ بربيب
 « السوء وينص ولد البغي بالحسن والجمال ولكن مالي ولتعريضه فان كل ذلك
 لم يكن الا مقدمة سفر فعلاته وسأنيك بذكر نتائجها

ان تاباري لم يعجب من تمادي ابي نوال في الهوى وتطويعه في مياميه
 وفيافيه لما كان عنده بذلك من آثار صباه لكنه لم يتمالك ان تظاهر بالحيرة
 ما كان يتلى عليه فيكشف له عن اسرار غامضة بتعذر عليه لولا حسنات
 التوفيق ابتلاؤها

وبينا هو في شاغل من نفسه نهته نوال بقوله اسمع يا عماء ما اثرته عن
 كتاب طويل بعث به والدي الى خليلتي عن فانيز في غرة شهر ايار وهذا
 ملخصه :

« عزيزتي فالري »

« سي لي زمان الوضع اني بانتظار الجواب على مثل الجهر ولا حاجة الى
 « ان ازيدك بيانا عما في فوادي من الاماني التي اريد تحقيقها وآمال السعادة
 « التي انتج طريقها فعماسي ان ادرك المرام فيكون لنا تمام الحظ في غرة جبين

« الغلام »

ذلك معنى الكتاب فلا ادري بما كان من مدام جردي جواباً عنه ولعلها راسلته في هذا الشأن كما يتبين لي من كتاب ابني اليها في الرابع عشر من الشهر « ان جوابك نزل على قلبي برداً وسلاماً . فارشدني السبيل الذي »
 « به امضن حياة وراحة ولدنا ويوم اقباله علي كان عهد امانني ببلوغ الاماني »
 « فاعلمي يا حبيبتي ان الغلام يدعى باسي ولن ينفصل عني بل يلازمي ويقم »
 « عندي في منزلي بل على صدري

« آه لو كنت تعلمين بما بلغت اليه درجة سروري وفرحي . فالري ان »
 « لي نفساً تقوى على معاناة الاحزان وملافة المحدثان فياترى هل يكون لي »
 « اخرى اقوى بها على استقبال الافراح . يا مالكة فوادي ويارجائي الوحيد »
 « لا نفلنا ولا نغزنا فان لكما في فوادي منزلاً يأمل بكما ولا يضيق عنكما ما »
 « طال عمري

« انني اترح غداً الى نابولي فانفذ اليك منها رسالة مشبعة . وتاكدي انه »
 « لا يعيقني عن موافاتك الى باريس في ذلك اليوم عائق لان لك بوجودي »
 « قوة يعززها الحب وراحة يصونها الوفاق »

فعندئذ اعترضه ناباري قائلاً - لا تلهي يا نوال اذا قاطعتك الكلام
 فسالتك بيان لاسباب التي كانت تمسك بابيك في ارض الغربه

— ان والدي كان على كبر سنه من خاصه كارلوس العاشر وموضع سره
 فرأى ان ينفذه الى ايطاليا في مهمة خفيه وكما لا يخفك ان ابني يدعي الكونت
 ريتو دي كومارين . ففي اثناء شهر ايار صار الى نابولي وهناك دفعه الجهل
 ومال به الهوى الى ان ابودع صدر صحيفة شفاقة ادق اسراره بل شرها
 واخطرها على رغم فطنته ودهائه في ضروب السياسة وفنونها وهذا مفاد
 تلك الرسالة بينهاها

« يا منى روجي »

« انتي انتذ اليك خادمي جرمان رسولاً أميناً وقد وجهته الى نورمانديا
« لقضاء مهمة خطيرة فهو يدفع اليك رسالتي فثني به وكوني في امن ما تودعين
« صدره من الاسرار . لقد آن الوقت الذي اطلعك فيه على مادبرت وما عولت
« عليه بشأن ولدنا العزيز وسانزل باريس بعد ثلاثة اسابيع . واذا رجح ظني
« كان موعد وضعكما سواء وان اختلف الزمان فتقدمت احداً كما الاخرى
« بضعة ايام لا يزال الراي واحداً في مادبرت وهو :

« انتي اكل تربية الولدين الى ربيبتين في ضاحية اجتمعت فيها كل
« املاكي . فاحداها وقد كفلها جرمان خادمي فصار اليها حالاً تلامم مذهبنا
« وتأخذ في الامر اخذنا واليها اعهد بتربية ولدنا الحبيب اي ولد فالري .
« وسنساقران معاً من باريس في يوم واحد فيكون جرمان في رفقة ربيبة ولدك
« وولدي

« وبحيلة دبرتها قبلاً يتفق نزول الربيبتين ليلاً في نزل على الطريق
« وقد عاهدت جرمان على ان ينزلها معاً في غرفة واحدة
« حتى اذا انتصف الليل نعد ربيبتنا الى مبادلة الولدين فتضع الواحد
« مكان الآخر وقد اخذت الالهة لذلك ليكون سرنا في مكان حرز لا ينم
« بنا احد ومن عزم جرمان ان يعوج على باريس لبيتاع الاقمطة اللازمة من شكل
« واحد فوافيه الى السوق واسعد به على اختيارها طبق المرغوب

« لا ريب ان فوادك يتقطع اسفاً لبعد ولدك منك بهذه الحيلة ولكن
« سننالين من المحظ في الاستقبال ما يسليك ويداوي كلوك واطلب اليك
« ان نقوي حق القيام بما تفرضه عليك السنن الوالدية نحو الولد الآخر
« فتودبنة مودة حقيقية فتحرصين عليه وتداربنة مداراة العين وانظري في تربيتو
« نظر الوالدة الى ولدها واعلمي ان في ذلك غاية منامي ورضاي . لانني
« لا اقصد في اسعاد الواحد شقاء الآخر بل اريد ان اوفق بينهما في الراحة والهناء

« لا نؤاخذ بني يا حبيبي بما أجرى به قبل ان تدركي النتيجة فان الزمان
 « قضى عليّ بذلك وما زلت اخشى عناده لكن المي ان ابلغ المراد فانكلي عليّ
 « بعد الله »

فقال ناباري في نفسه - ذلك ما كنت اتوقعة من جدّي
 ثم استأنف نوال الحديث فقال - أفيّ لهذا الشقي ان يتخذ الله له على
 الغدر نصيراً

فاعترضه ناباري قائلاً - هل رضيت مدام جردي عما اقترحه عليها
 والدك دون اعتراض

— انها حاولت باديء بدء الانكار غير انه توصل ببيان وقوة برهانه الى
 اقناعها كما يتضح لك ذلك في عرض الرسالة التي اجتزأتها

— مهلاً يا نوال فاني اراك قد وجهت كل الملام الى مدام جردي على
 ان العدل يقضي بشعب والدك الذي رغب بذلك اليها فارغمها عليه

— صدقت في ما قلت ولكن ارى سبباً من نفسي يدفعني للتحامل على
 ربيتي الشقية . لئن كان والدي قد اخطأ في ما دبر على شقائي فعذره واضح
 في عشقه وغرامه . آه انني لا استطيع ان اذكر تلك الشقية الماكنة دون ان
 يتفطر قلبي كيداً وحقداً عليها . فانما قد علّنتني بالمكر والخديعة نحو ثلاثين
 عاماً فارتني البهتان حقاً . جزاها الله كما جزى والدي بما جنت يداه عليّ

— هل لفي ابوك جزاه

— نعم نعم وستعلم به مستانفاً اما الآن دعني استأنف الحديث في معنى ما
 ابتدأت به معك وهو انه في غرة شهر حزيران بلغ الكونت باريس بدليل
 انقطاع رسائله فاجتمع به مدام جردي واتفق معها على تدبير الحيلة وانفاذ ما قرّر
 عليه . وهاك رقعة تزيل الريب وتميط اللثام عن وجه الحقيقة في هذه المسئلة
 وكان قد بعث بها الى الربيبة اثناء قيامه في التوبلري باعمال لم تجز له مزايلة
 المقام حتي انه اضطر ان يرقها في مخدع الملك على ورقه كما يتبين ذلك من

الشارة الواضحة عليه. وعلى مفادها نعاقد مع مدام جردي على تنفيذ المرام فابلغها
النتيجة في الكتاب الآتي

« عزيزتي فالري

« جاءني جرمان بخبر وصول ربيبته ولدنا وستند عليك نهارة فتني بها
« كل الثقة لانني وعدتها بالجزيل لقاء كتمانها فالك وماها فانها تجهل
« اطلعك على جلية الامر فاضري عن التداخل معها في شيء من ذلك
« وانكلي علي فاني اعلم بجل المعضلة منك وهي من خاصتي وفي سلطتي ولها
« زوج نوئي واسمها كلودين لروج

« اصبري على ما اسومك من المشاق في سبيل الحب صبر الحبيب علي
« جناء محبو واطمعي في حسن العاقبة »

فما كاد يتم نوال قراءة الرسالة حتى بدر من فم تاباري كلمة الاكفاء راضيا
عما تبينه من غوامض المسئلة

فاستأنف نوال حديثه قائلاً - ان تلك الرسالة كانت خاتمة مراسلة
الكونت

— هلاً احرزت غيرها من البينات

— عندي بضعة اسطر يفيد معناها فائدة ادبية في هذا الشأن

ثم عمد نوال الى طاولته فالتقى عليها الرسائل التي كانت في يده ونظر الى
تاباري وقال له

— هب ان بينائي تنتهي عندما ابنت واقتصر علي بالمسئلة على ما علمت
فاذا كان رأيك في الامر

فنكس تاباري رأسه مفكراً برهة ثم قال - يتبين لي ما سمعت انك لست
بابن مدام جردي

— تلك حقيقة لا ريب فيها وكما لا يخفاك انني قصدت منزل كلودين
فحنت الي ورقت لحالي اذ كانت ربيبتي فاطلعتني على سر الخديعة . وهوانة

بعد ولادتي بثلاثة ايام جردني والدي ونصيري بعد الله من حق الارث
فجعلني بين يدي تلك الكهنة تشبني فقيراً حقيراً الى ان بلغت الحال التي تراني
عليها بعد بذل اقصى الجهد وقد وعدتني بنجدي اذا تهيأ لي استرجاع حقوقي
ومناصبه المعتدي

فقال تاباري - لقد ماتت تلك الربيبة فطوها الرمس وانها التراب
على اسرارها

- ربما كان لي بعض الامل في ما اخلفت من الرسائل التي كان قد
انفذها اليها الكونت او مدام جردني فابرزها للعيان واقطع بها حد كل
لسان ناطق باليمنان وقد اطلعني تلك المسكينة عليها فتصفحتها كلها فرغبت
الي باحرازها فطويت عنها كشيء الجاهل بصيري. آه ليتني قبضت عليها ففزت بها
على الخصم

ان نوال كان يعلل نفسه عيباً بامل الحصول على تلك الرسائل التي
كانت علة الفتك بالكهنة في لاجونشار لان الجاني كان قد احرقها كلها ولم
يبق على شيء منها

فسر تاباري بما استفاده من الحقائق في الوقوف مع نوال وما استجلاه من
الغوامض التي يقصر عن جلائها ادبي الثنافين واشدهم خبرة وذكاء فقال
- وضع لي ايضاً بعد الاطلاع على ما كسفته من امر الكونت ان الكونت لم يبق
بمهوده المالية مع مدام جردني واخلف بوعده لها ان ياتيها خيراً من اجلك
- كان وعده لها كالبيان بزهر ولا يثمر
- انها جريمة لا تغتفر

- لا ترم والدي بالسوء ولا نصب عليه امواط الملام فان اخلافة
بواعيده كان عن سبب لم ادر به وقد طال امد قيامه قديماً على حب مدام
جردي وعلاقته معها فاني لم ازل اذكر هيئة شاب وسيم كان يقبل الي في
المدرسة معها قصد تفقد احوالي ثم تعقب ذلك انقطاع فائتي اسبابه

فتضاحك ناباري وقال - هلاً استنبطت اسرار تلك القطيعة
 - لا تفعل بالسؤال قبل ان تستوفي الخطاب. اذ كان لا بد لتلك المناوأة من
 سبب وما اخل الكونت يكفر بحب خليفته عفواً وعندي انه آتس منها اخيراً
 وحشة المكر والخديعة فعاफीها بالقطيعة فكتب اليها تلك الاسطر التي اشرت
 اليك عنها

واخذ نوال بقلب الرسائل والاوراق المطروحة على الطاولة باحثاً.
 رسالة القطيعة الى ان عثر عليها اخيراً فقال اسمع يا اخي صورة الحرمان
 الرسالة التي انكر فيها الكونت حب فالري وكفر بايمان هواها
 « ان احد الاصدقاء قد زحزح عن جبين الحقيقة لثام الريب فبان
 « لعيني خداعك . فتباً لك يا فالري من ماكرة لقد خدعتني ومكرت
 « بجبي طويلاً حتى داخلني الريب في صفة ثمرة هواي فبطل اعتقادي بنسبة
 « الولد الي »

فقال له ناباري وقد تميز من الغضب - كفى بهذه الاسطر بهرماناً قاطعاً
 على صفة دعواك ولولا ان الكونت كان حريصاً على هيلته في ابدال ابنو الشرعي
 بالمسيع لما احتاج الى بيان استيائه من سيرة فالري او مدام جردي . ولكن ابي
 الله الا ان يواخذ بذنبو

فاستأنف نوال الخطاب قائلاً - فحاولت غيب ذلك مدام جردي
 تبرئة ساحنها ما انهمت به فنعذر عليها الامر فكنت الى الكونت فرد كتابتها
 عليها دون ان يفرض خنماها فطلبت مكاشفته فانكر عليها الطلب الى ان
 ملئت المحاولة فحبطت اعمالها وخفت آمالها وقد زاد صدرها حرجاً يوم اقبل
 اليها قيم الكونت وفي يده صك بخولها من اجلي ريع خمسة عشر الف فرنك
 بعد اذ كان الولد المسيع قد اخلفني لديه واثمت امة المحيلة في استنفاد مالي
 وفي اثناء حديثه طرق الباب فامسك نوال عن اكالمه وقال - من

الطارق

فاجابته الجارية - ان سيدتي تدعوك

فابي نوال تلبية الدعوة فاعترضه ناباري وقال

• - قم يا اخي اليها ولا تسد دون ندائهما باب الرحمة

فنهض نوال اليها مكرهاً وغادر ناباري لذاته في الخدع حيث قال مناجياً

نفسه

• يا للاكتشاف الغريب الذي بدالي وادعاً وبالشقاء هذا البريء

الذي قضى عليه الهوى ان يعاني من الشدة ما يلين لحاله الجلود دون ان

يدري بالكف التي تصب عليه اسواط العذاب . فالحمد لله الذي هداني اليه

فاطلعني على الاسباب التي آخذ بها في نجاة وابناء الجاني . لكن كيف كان

كل ذلك فلا بد من الاحاطة به . ليتني اسلب احدي هذه الرسائل فاعارض

خطها بخط غيرها . فما لبث ان قام الى الطاولة فسلم احدي الرسائل وخبأها

في جيبه حينما عاد نوال على حال لا تمكن مناظر من معرفة نتيجة وقوفه لدى مدام

جردي فسالة ناباري قائلاً

• ما شأنها

• ان حالها تزداد ارتباكاً وما اخالها الا عرضة الهم فقد رممني باحاديث

لم تفقه معناها فكان شائي لديها شان الرعاع

• لا غرو اذا ادت بها الحال الى الذهول ولكن من الواجب يا اخي

ان تبعث بطلب الطبيب

• نقدم الرمول بطلي الهو

ثم عاد المحامي رهو نوال الى رصف الاوراق حسب تاريخ ورودها

ضارباً عن الراي الذي كان التمس من ناباري صادقاً النظر عن استنشاف

الخطاب في هذا الشأن فاعترضه الزائر بقوله

• كلما اطلت المكرة في قصتك ازددت عجباً وحررت في وجه تدبيرها

• ان قصتي لمن القصص التي يحار فيها فكر اعظم الرجال دهاء وذكاء

- صدقت واني لمفرّ بعجزى عن الحكم فيها لكن ما دبرت وما اجربت
فلا بد من ان تكون قد استكشفت فيها مدام جردي
- انما كانت اوّل من سالت واستكشفت
- فما كان بيانها
- هل من بيان افصح من ذلك البرهان
- اما حاولت انكار ما قدمت فبرأت نفسها
- كيف لا وقد زعمت اموراً لم تتعدّد حد البهتان فقالت ان لتلك
الرسائل نأويلاً يستفاد منها غير المعنى الظاهر الى غير ذلك من البراهين
الوهنة التي لا تكلف المدعي لضعفها ردّاً
- وكان نوال قد رتب الاوراق والرسائل دون ان يفتن للكتاب الذي
انتزعه ناباري منها فالفها في سماتها واقفلها . ثم قام بخطري في عرض المخدع
محاولاً تسكين اضطرابه قائلاً
- انما كانت قد سعت جهدها ان تصرف ذهني عن معنى الرسائل
- الحقيقي ولم تعلم بما انصل بي من البراهين الدامغة التي تؤيد حفي وتوجب
اسقاط دعوى ولدها في الارث من مال ولدي ومالي
- فاعترضه ناباري قائلاً — ربما كانت قد اطلعت الكونت على جلية الامر
- ان الكونت متغيب عن باريس فلا يعود اليها قبل نهاية الاسبوع
- من اعلمك بذلك
- انني كنت قد ذهبت لمكاشفته
- هل ذهبت انت بنفسك اليه
- وهل في الامر من عجب او موضع للغيرة ألا تخالني ممن لا يفضون
عن حقوقهم الواضحة طرفة عين . أأرض بالذل والسلب صاغراً صابراً ولديّ
من الذرائع ما تضمن مطالبي وتكفل نجاحي
- لا ارى مانعاً يمنعك من تقديمك الى ابك في كشف ما عندك

— انني لا اکتفك ما کلفني العزم على الدنومۃ اثر ما داخاني من الهم والقلق بداعي اكتشاف الاوراق التي وعت اسباب نکبتی ففمت اعمل الفكرة في ما ارتایت اياماً طويلاً احاذر فيها ذبوع السر في تعرضي للبحث عن تلك المسئلة واخشی ان احرم شهرة اسمي الحقيقي قبل ادراكه فترتب علي ان اتخذ طريقاً قاصداً خفياً

— احسنت اذ عولت على مواجهته فما كانت النتيجة

— فقصدت اذن منزلة في محلة سان جرمان وكان قصراً مشيد الاركان حسن البنيان وسط حديقة اشجارها باسقة صفوفها متناسقة يحدق بها موقفان جمعا من الجياد احسن ما كان في قصور العظام وبالجملۃ كان ذلك القصر بعد اني من نوادر تلك الايام

اما تاباري فكان يتملل صخباً اثناء اطراء نوال واطنايه راغباً في الوصول الى حقیقة ما يتناهى قبل ان تنوء الفرصة فاعترضه بلطف قائلاً — لا ريب انهم اذنوا لك بالدخول لتعهد غرف القصر ومبايته

— انني تعهدته بنفسی وطفت فيه مراراً منذ تاكدت ثبات حفي بامتلاكه فدخلت الخزانة وتصفحت تاريخ اسرتي وكنت كل مرة افق به اسكب الدمع دماً على بعدي من مسقط رأسي ظمأ وغدراً فينبهني لي احياناً ان ادخل الردهة فابتزع منها ذلك المسعول جردني واطرحه خارجاً لكن املي بالوصول الى حفي في سبيل الملاينة كان يمسك بي عن العنف والاعتداء

ولما بلغت باب القصر استقبلني الحاجب فطلبت اليه مكاشفة الكونت فاجابني انه متغيب ولم يكن في الدار الا النيكونت فانقلب رجائي بعكس آمالي . فلنبث برهة افكر في نفسي الى ان اتجه لي الراي في مقابلة النيكونت بدل كفيله وكان الحاجب اثناء وقوفي ينقد بعينه الي ليتحقق اهليتي في مواجهة النيكونت فمن كرامات التوفيق ان المحلة التي كانت ثم علي كانت تودن باعتباري فدفعني الى احد الغلمان انخطى معه الدهليز صاعداً الدرج الى باحة

للدار وهناك وجهني الى خادم غرفة البرت وهو اسم ابن مدام جردني ابي اسي
 المحبتي . فتمت لدى ذلك الخادم قيام المجاني لدى المستنطق فسالني اسي
 وشهرتي ومهنتي ومكاني فاجبته بايجاز انني غريب الدار واقصى مرادي
 مكاشفة النيكونت في امر خطير لا اتعدى في الوقوف عنده بضع دقائق .
 فاعزز الي ان اجلس منتظراً الاذن فلبثت مطيعاً الى ان عاد فاباغني رضى
 البرت بدخولي عليه . فدخلت ردهة لم يكن فيها من الرياش الا السلاح على
 اختلاف طرزهِ وكان النيكونت حينئذ جالساً على كرسيه متردباً مدرعة من
 الفطينة حسن الطلعة رشيق القد يحاكيني بهيمته الا انه كان يبان اصغر من
 سناً لرخاء عيشه وراحة باله فلما اقبلت اليه قام للسلام علي متلطفاً
 — لا ريب ان قلبك قد تآثر عند ذلك اللقاء

— ان كدري الان اشد ما كان قبلاً لان دخولي على النيكونت كان
 اثر عناء طويل ذهب بحفدي وغضبي . فما استقر في المقام حتى تقدمت سؤالي
 بهذا الكلام

« انني لا انعرض الى بيان اسي وشهرتي اذ جئت لديك رسولاً في
 « مهمة جليلة مزعجة يستدعي الحرص على شرفك النظر فيها »
 فسالني قائلاً — « هل يطول بيانها
 فاجبته — « نعم

فاستاء الامير من ذلك ونقدم الي معترضاً بقصر الوقت قائلاً — « انه
 « لا يمكنه اطالة الوقوف معي جذر فوات الاجل المضروب للاجتماع بخطيبته
 « الفتاة دارلانج وطلب الي استئناف الحديث معه في شان ما جئت به اليه
 « الى وقت آخر »

وهنا قال ناباري في نفسه — ها انتا قد توصلنا الى معرفة مثل حديث في
 هذه الرواية

فاكمل نوال خطابه قائلاً — لما آتست فيه ناجيل المكاشفة الى وقت

آخر اجبتة للحال

ان الغرض من زيارتي بدعوني الى العجلة في الامر فلا يسعني ارجاؤه
لوقت آخر ثم اخرجت من جيبى رسائل الكونت فعرضت لديو واحدة منها
فلما تحقق فيها خط ابى او كنيلى زالت عنه الوحشة فأنسني وقال امهلني الى
برهة ريثما انبى من يتوقع قدومي بسبب التأخير عنه ثم اعود اليك فقام الى
طاولته وكتب على رقعة ما هو بمعنى اشارتي فدفعها الى الغلام ووجهه بها الى
الدوقة دارلانج وعقيب ان تفرغ من عمله عاد اليه فدعاني الى الجلوس معه
في الخزانة

فسأله ناباري قائلاً - افدني عما كان منه عند رويته الرسائل
- لم يبال بشيء اصلاً بل دعاني للجلوس حذاه وقال - هات ما
عندك

- وكنت قد هيات اثناء قيامي في الخرج منفرداً اقسام الخطاب فجعلت
المتوطنة موصولة باطراف النتيجة المرغوبة دون ايهام ولا ايهام فقلت
« اني جئتكم في مهمة تعينك فكلفت ان اكشف لك الغرائب واربك
« العجائب ورجائي بك ان لا تحير جواباً قبل ان تحيط علماً بما في هذه الرسائل
« التي ابسطها ليدك مقلعاً عن الحدة والغضب مما لا يجديك نفماً
فحدجني عندئذ بعين وقفت علي ابصارها حيرة واندهالاً وقال
- انل هلي فاسمعك

فقلت - اعلم انك لست باين الكونت دي كومارين حقاً والبرهان على
يدي في ما وعث هذه الرسائل من الادلة الواضحة والبراهين المراجعة وانا
رسول ابني المحفي اليك

فتبدل وجهه بالغضب وقد المي في عين نددج ناراً وقال

- اين الرسائل

فدفعنها اليه

فاعترضه ناباري قائلاً - هل سلمت الرسائل الصحيحة

- لم لا ادفعها اليو

-- اما خشيت فقد انما

- ومن يستطيع ان يسلمنيها وانا رقيب عليها فلم انشر لديو منها الا ما
نضن المراد . وكان جالساً على طاولة صغيرة صدي يتصفح عبارتها وانا ناظر
اليو نظر المتنفذ التمس من وجهه اشارة تفيد عما يحثك في صدره من معاني
الرسائل . فما طال به الزمان حتى اخذ مندبلة فجعله على شفتيه ليستر اثر الكبد
الظاهر عليها وكان كلما امعن في المطالعة زادت كدمة وجهه وتحلب العارق
البارد من جبينه وايضت عيناه من الحزن الى ان خلت قد علمتها غشاوة بيضاء
فلميت على هذه الحال برهة لم ينس اثناءها بينت شفة فاوى قلبي لحزنه ورثيت
لشدته حتى كدت انتزع الرسائل من يده رحمة به فاكشف له نفسي قائلاً له .
« دع يا اخي ذكر ما مضى ولتعاقد على الحب والرضى »

فاعظم ناباري كلام نوال واعجب بحبانه وسلامة نية وقال له - لله درك
من فتى حليم

فاستأنف نوال حديثه قائلاً - ولم يمسكني عن فعل ما قلت الا الخوف
من انكاره حفيظي بعد تعطيل الرسائل

- اصبت في ما رأيت

- ولما فرغ من قراءته الرسائل قام قبالي وقال - اذا صحت عزوة
هذه الرسائل الى والدي كنت كما قلت غريباً عن آل كومانين ولكن ربما
كانت هذه الادلة زوراً واختلاقاً فهل ادبك برهان سواها

فاجبت - « نعم ان شاهدي جرمان فسلة يثبتك وما يثبتك مثل خبير »

فقال - « ان جرمان قد توفاه الله منذ زمن مديد »

فقلت له « عليك اذن بمكاشفة المريبة الآيعة لروح النازلة في لاجونشار

فلم يتمالك ناباري جهده ان قال - بالله خبرني عجباً بما كان جوابه

— انه اطرق برهة ثم قال « عرفنها وقد ذهبت اليها ثلاثاً مع والدي
وامامي نقدها مبلغاً جزيلاً »

فسألته عندئذ الرجوع اليها في حل المشكلة وتأيد صحة الدعوي
فامسك عن جوابي برهة ثم قال — عرفني بابن الكونت دي كوما رين

الحقيقي

فاجبته — انا هو

فنكس راسه وقال همساً — كنت في ريب من ذلك . ثم اخذني بيدي

وقال

— يا اخي وشقيقي خلّ الملام واعنصم بالسلام

ثم سألته — على م عولت وما ارتابت

قال — اسالك ان تمهاني الى ان ياتي ابي بعد ثمانية ايام فاكشفه في الامر

وافياً بمالك عليّ من الحقوق . فخذ رسائلك واسمع لي ان اقيم وحدي لان

الهم قد طغى على قلبي وتولاه الغم بنفداني سعادتي ومصدرهائي في دقيقة واحدة

وزد على ذلك انني احرم حظ الاقتران بخطيبي التي هي غاية حياتي . لكن الله

يعوضني منها بوالدة تسليني في نكبي

— هل نطق بذلك حقاً

— انني انقل اليك ما قاله بالحرف الواحد

— باله من ذليل . . .

— ما نقول

— قلت انه فني كريم الاخلاق حسن المزاج اود من صميم فوادي ان

انعرف به

— انني لم اطلع على كتاب النطبعة الذي فيه تلي سيرة مدام جردي

اجتناب الحزن الشديد

— وما تنتظر الآن

— انني انتظر الان قدوم الكونت فاعمل بما يراه وغداً اقصد المحكمة في طلب فحص اوراق كلودين. حتى اذا تحققت لديها تاكدت خلاصي والآن... ولكن قد اعلنك بحيرتي منذ اتصل بي خبر مقتل تلك الأيمة. فمن لي براشد حكيم يرشدني في هذا الامر سواء السبيل وكان قد تحفزناباري للقيام فقال: — ان الراي الذي تطلبه اليّ يسعدني امعان الفكرة طويلاً والحق يقال انك في حال برئ لها من الفلق والحيرة — وزد على الاضطراب الذي حاق بي اشتداد الازمة المالية عليّ فاني في حاجة الى الدراهم

— عجباه وعهدي بك مقتصدًا
— لقد استندت مالاّ دعني الاحوال اليه اذ انني لا استطيع ان انفق من المال الموجب عليه

— اتريد ان تصطنع اليّ جيلا
— قل فاني لديك
— ان عندي مبلغ خمسة عشر الف فرنك بث من جرائمها في هم شديد فاخاف ان اصاب بها للضعفي وكبر سني
— ربما اعترض عليّ...
— هي لي وغداً اقدمها لك

ثم فطن ناباري للموعد الذي ضربه ادايرون فقال: — انني آتيك بالمال الليلة فاخلص من هم المحرص عليه
فخرج للحال وما طال تغيبه حتى عاد الى نوال ويده قراطيس مالية بقيمة الخمسة عشر الف فرنك فقال له: — خذها واذا اعوزك غيرها فاعتمد عليّ
— فانظري ارقم لك وصولا بها
— خلّ عنك ذلك الى الغد
— ولمّ التأخير والتأجيل ربما فاجاني القدر الليلة

— كنت في جملة ورثتك فاسمح لي الان ان اودعك فاخلو في منزلي
 عاملاً الككن في تدبير الراي الذي طلبته اليّ بل ارى نفسي في حاجة الليلة
 للنزّه خارجاً لاني اشعر باضطراب شديد اثر الفصص التي رويتهالي . اما
 انت فاعنصم بالصبر واتكل على الله وهو لك خير نصير
 وانصرف ناباري بشيعة نوال الى ان تاكد بعده من المنزل . فالتقى
 القراطيس المالية في جيبه واقفل باب منزله وخرج الى الطريق

الفصل الخامس

العتاب

كان اسفل المنزل الذي تاوي اليه مدام جردي غرفة فسيحة يشرع بابها
 الى الطريق فجعل نوال قفلاً لذلك الباب واتخذة مخزناً خفياً لا يدري به
 احد من سكان المنزل

ولما كان قد وقف بعد وداعه ناباري عند الرصيف اخذ يفكر في الوجهة
 التي يقصدها الى ان اتجه له اخيراً الراي ان ياخذ بسيره الى موقف سان لازار
 وفيما هو سائر على الطريق صادف عربة تجري فاستوقف السائق وقال له
 — خذني الى محلة موفارتر عند زاوية شارع لابروفانس وجدني في

سيرك

فركب نوال العربة الى ان بلغ المحل المقصود فترجل وادى السائق ما

عليه واخذ في طريقه الى ان وقف بباب قصر في تلك المحلة فطرفة ودخل
فاستقبله البواب بكل احشاء واکرام واستمر سائراً الى ان ولج القصر فاخرج
مفتاحاً من جيبه وفتح باب الابواب وعلى رغم احترازه في فتح الباب كانت جارية
الغرفة قد سمعت قلقة المفتاح فخرجت اليه وقالت مدهوشة
— مهلاً يا سيدي . . .

فسالها المحامي قائلاً — هل سيدتك في الدار
— نعم يا مولاي وهي غضبي عليك وقد كان من عزمها صباحاً ان توافيك
فصدتها عن عصيان امرك
— احسنت

— اذ شئت يا مولاي موافقتها في المخدع وقد امرتني ان آتيها
بالشاي فاذا لاقى لدى سيدي تقدمت اليه به ايضاً
— لا بأس فهات المصباح يا شارلوت

ثم تقدم المحامي يخطى غرفة الطعام الى المخدع وكان مستكمل معدات
الاجبة والراحة فيه النمارق العجيبة والسجف المطرفة والحشايا الوثيرة الى غير
ذلك من الرياش البديع الصنعة تتلوى جدرانها برموز تاريخية تاخذ بالابصار
لاحكام تمثيلها

فعندما وقف بالباب وشق الستار فابصر خليته جالسة على متكأ في
آخر المخدع تدخن بالنعنع . وكانت تلك الفتاة تربو برقتها ولطافة ثنائها على
حسنها فلما رمقته رفعت اليه راسها وقالت
— الحمد لله الذي هداك اخيراً سبيل منزلي وقد هي جلدي في انتظارك

منذ امس

— لقد تعذر علي موافتك في الوقت المسمى

— اما علمت ان قد ان اوان الوفا بما لزمك من المال فعرضتني
بتأخيرك للمالمة ارباب الدين ولا سيما لو خزل لسان كل رجوت الذي ما لبث

منذ نفدني المال بنادي بوفي الاسواق . فاطرق نوال خجلاً ثم قال - فاضره
لو انتظر يوماً واحداً

- ان تأجل الوفاء بضري وبخفض من قدرتي وانت تعلم ان اعتباري
واجلاي انما قائمان على الدينار فاذا اوحشني جنائي الناس واكثروا من
ملائي واذلالي

- آء يا حبيبي جوليات ...

- نعم نعم انني حبيبك ساعة تنف في وحدك حبك لي عند باب الخدع
حتى اذا هجرته هجرت حي وانكرت معرفتي كأنني لم اخطر بهالك ولم يكن
بيننا عهد وداد وولاء

- بالله لا تجوري في الحكم علي وقد ابدت حيي لك مرآت عديدة
وانينك بادلة صريحة لا يشوبها ريب على ثبات عهدي معك وما انني ابط
لديك الان برهان آخر وما اخالك تنكرين حصنه

فاخرج نوال من جيبه حقة فاخرة وقال - دونك السوار الذي طلعت
بأحراره يوم جزت بمصنع الجوهر في بوكرات

فبطلت جوليات يدها دون ان تكلف نفسها عناء القيام من موضعها
فاخذت الحقة وفتحتها ناظرة الى ما فيها وصاحت عجباً

- آء ماذا ارى

- اما هو الذي ارناك باحكام صنعه

- نعم ولكنني اراه دون سوار الجوهر حسناً

ثم افلتت الحقة والفتها على الطاولة بالقرب منها شان من لا يعبأ بهيمة
مالديه

فاعترضها الهامي قائلاً - مالي ارى اجد يعاندني اليوم ويخونني التوفيق
في معاي

- بماذا نعرض

— اراك غير راضية عما قدمت بين يديك
 — كيف لا وقد اكملت به اليوم الدسنيين
 — ان كنت قد رضيت عنه فلم لا تصرحين برضاك
 — اما فنتعت مني باحرازه عندي فكأنك تطالبني بثمنه من الشكر نقداً
 وتسألني ان اهتف به في الدار منادية بين النوم بنضلك وسماحك
 فتتملل نوال وتضجر من كلامها فحكى لها عن جزعه باشارة كان لها في قلبها
 احسن موقع . فاستأنفت الحديث فاثلة

— أتريد ان ادعوا الي شارلوت وسائر الخدم فاعرض السوار لديهم
 فاثلة . انظروا ما جاد به علي خليلي وما نغني به كرمًا وفضلاً . فيا ساعد من
 كان له حبيب كحبيبي

فهرز المحامي منكبو متكدراً من صيانياتها وقال
 — مالك وللتماذي في السخرية فان كان قد ساءك مني امر من الامور
 فبوجي به دون تعريض ولا تلبس

— صدقت فاسمع اذن ما ساءني منك واعلم انه لو جئتني امس بمبلغ الثمانية
 الف فرنك لكنت في سرور اشد ما كان مني الآن في احراز السوار
 — قلت لك بهجري فلم تصدقني

— كان من السهل ارسال القيمة مع الرسل واراهم منبئين في اطراف
 الطرق

— ما اعافني عن ارسال المال الرسول وما اخرني عن القيام بوعدي
 الا خلو يدي ما نطلبين وقد كنت سمعت امس جهدي في جمعهم فلم اتوفق
 اليه الا بطريقة عجيبة فان الصدفة جادت به علي عنوا منذ ساعة فما ترددت
 برهة عن تقديم

فاجابته جوليات بنظائر بالشفقة المفرونة بالهزة فاثلة — أيتجرا من كان
 يملك ان يصرح بعجزه عن اجمع عشرة آلاف فرنك

— نعم ولا انجل

— ما اطول باعك في تمثيل حال رجل بائس معوز

— ما اتخذت في حديثي معك حيلة ولا امثل الا حقيقة ما انا عليه

— اخشى ان تاتيني غداً بينة الفقر المدقع ثم تنطرف منه الى الندم على

ما انفقت في سبيلي ولا عجب اذا رجعت علي بما وهبت لاني اراك قد دنت

حديثاً بالشخ والجمل فجعلتها صنمين تعنو لها ركبتك في الغدو والآصال

— يالك من خلية عيفة فان قلبك قد حاكي الصخر بنسوته

— كلاً فاني اشكو لشكوك وارثي لبلواك . فباليتك تنقدم بطلب

الاحسان الى الجمعيات او تكلمني فاجع لك المبرات من اكف المحسين

فضاق هنا المحامي ذرعاً عن التزام السكينة وخانة الجلد فقال

— ما قلته يا جولييات كان حقيقة لا يسعني كتبها فئاكدي ان الايام

قد ذهبت بمالي ولم تبقى لي في سبيل العيش الا الحميلة

فازدهت جولييات بكلامه وقالت — ما كنت لاصدق مقالك في بيان

سوء حالك

فاغناظ المحامي وقال في نفسه — اراها نسر بفقرتي ونعل على هجري فلو

كانت تودني حقيقة لما نظرت الي عند شرح قصتي وبليني نظر المزدحمي

الشامت

ان جولييات كان قد حدثها قلبها بواجب الانعطاف والشفقة على نوال

ففضي عليها ان تميل اليو حين الشدة والناقة اشد ما كان ميلها اليو حين اليسر

لكن الفاظها ومعانيها خانت حركة قلبها فانقلبت بها الى الجفاء والعناد .

فقالته

— يالك من غبي جاهل تدعي الاسراف في زمان ارى الكل يحسبون

نفاقهم حساب الشج فلا يسمعون بالفلس قبل ان ياخذوا لقاء النفس رهناً .

ولكن ما اخالك الا كاذباً في ما تدعيو من الفقر والعوز لان من تخلق باخلاقك

فتجاني عن اللين والانس صان ماله عن اعين الطامحين اليه

— وليس عن عبونك

— اقصر الكلام في هذا المعنى والأسفلت بك بلساني . فقد اخبرتك

وابليت شرك وجهك فعرفت حقيقة حالك وهواك فلا تحاول افناعي

بالبرهان عما ليس فوك . فما قلبك الا عارية يتقلب في صدرك تقلب الاهواء

او مناع بدور يو الدلال على يده في سوق الهوى علة يصادف طالباً بانجس

الايمان وان انكرت صحة مقالتي قدمت اليقينة بين يديك . فما الذي كان بصدك

عني اليس انني طلبت اليك علاوة عن الفرض فحاولت ان تعلمني حبك فتبيل

يو الى غيري

— ما كنت آمل يا جوليات ان التقي منك لقاء تلك المعاملة ما لقيت

أني لك ان ترميني بالشبح وقد جعلت دارك طرفة الطرف برباشها الثمين

واوقفت بين يديك الجوارى والخدم وجلبت لك احسن الجياد وانخر

العربات فنجري بامرك خلا ما طوَّقت يو جيدك من اللآلئ وما سورت يو

معصمك من الجواهر التي لا تنل قيمتها عن اربعمائة الف فرنك

— ابصح مقالك لدى البيان

— وهل تنكرين ذلك والشاهد البيان

— هلاً اغفلت في حسابك شيئاً

— كلاً

— لئن كنت اطلعك على حسامي لغدوت مدبوني

وعند هذا الكلام دخلت جارية الغرفة بالشاي فقطعت بها عن الكلام

فامسكت جوليات عن استئناف الملام على مسمع من الجارية حرصاً على شرف

خليلها . على انها لم تكن تكتف شارلوت شيئاً من اسرارها وكانت تودها كثيراً

فعاملها معاملة النظير لقدم عهدها في خدمتها

كانت جوليات شافور باريسية النشأة ولدت عام ١٨٢٩ في ضواحي

مونا رتر من والدته نكرة لا تعرف . فنشأت على هواها الى ان بلغت الثانية عشرة من عمرها

ولما كانت الطبيعة قد احرمتها حصنات الجمال رأى اهلها ان يدفعوها للخدمة في المصانع فانكر احد معارف والدتها ذلك فكفلها واحب ان يتفقد اودها ويهذب اخلاقها فدعا من اجل ذلك المعلمين فتعلمت شيئاً من الكتابة لكنها اتقنت الموسيقى وبرعت في الرقص

فما طال بها الزمان الى ان حدثها قلبها بالنزعة الى الغرام فهجرت المقام متخذة ما تعلمه حيلة للانتظام في سلك اربابها فما لبثت تجدد وتكد وتغور في سيرتها وتجد الى ان دفعنها الايام الى احد الملاحى وهناك ساق الجهل اليها نوال فهام بها وهامت به في الايام الاولى حتى اذا مر على عهد ائتملافها بضعة اشهر قلبت له ظهر المجن فاكثر من تجافيه وعنايه لاغراقه في الخسبة والتمار لهبها سنن الآداب الجارية عليها بين اقرانه . وكانت تنمو فيها الاطاع فتو بدنها فتسرف امواله وتبددها دون رحمة حتى غدا في عينها اخيراً شرفمة اما نوال فكان يودها مودة شديدة حتى انه اتفق اثناء اربع سنوات ماله ومال مدام جردى في اغراضها ورضاها . وهي تنظر اليه نظر الامر المستبد فيدين لديها صاغراً متجمللاً في حبها كل مشقة . لكنه كان اذا فصل عنها يعود الى رشده فيناجي نفسه بالعدول عن الخطة الصعبة التي جاز فيها قائلاً ما الذي يقيدني بحب هذه الغانية وقد تاكدت بغيتها علي وتجاफीها عن حي . ما الذي يسلك بي عن التصريح بخيانتها واخلافها بالعهد . عجباً للسانى كيف انه يتلعثم اذا كلف عنايتها وسيم ملامها . ما بال قلبي اذا توعده بهجران جوليات يخفق غمّاً وحزناً . آه اني اوثر احتمال ما اعاني من وخز الريب وشبابة الظنون على التصريح بمعائب جوليات والبعد منها

ولما كانت الجارية تعمل في اعداد طاولة الشاي وارصاد اللزوم لشربه اخذ نوال يجهد نفسه في تسكين اضطراره مسروراً بفريقه من جوليات

مستأنساً بانظارها التي فعلت في قلبه ولا فعل المغناطيس بالحديد
وعقيب ان خرجت شارلوت من الغرفة نهض المحامي الى خليلته فجلس
بقربها على المتكأ يريد ان يلاطفها ويسالها العذر في ما بدر منه عنواً
قائلاً لها

— لم تلجئ الليلة باجوليات في عذلي فان كنت قد أسأت اليك في ما
مضى فحسي ما لقيت منك كفارة عن ذنبي وسيلاً للرضى
فدفعته جوليات بعنف وقالت له — اليك عني اليك اما علمت بانزعاجي
وقد شرحته لك مراراً

— أسمعني لي باسندعاء الطبيب
— كلاً فان دائي لا يمتدح الى طبيب وانا اعلم منه به . لقد اتمكتي الضجر
وليس من بداويني

— مالك تصوين اليّ الملام في ضجرك فيما جلبته اليك وما السبب
— لا احتاج الى عناء جزيل في بيان الاسباب التي توجب ضجري
وكدرني فحسي بسيرتك معي سبباً يغني عن اسباب . انخالي اسرّ بمقامي لديك
خليلة لا راحة لها ولا سلى

— آتني تطلدين اليّ الانهاج والترح بقربك وقد اسكن في استقبالك
الجاف كل حركة وذهب بروعي . ولا يخفى ان المحب شديد الحذر
— كان من الواجب ان تصطنع لك خلية على هواك ومثالك فتعتلها في
سرب ولا تؤذنها بالظهور الا اذا رأيت الاجتماع بها مرة في النهار
— ما كان اغتاني الليلة عن موافاتك

— لكنت اغتيت عنك بتبغي وكتابي . أما ترى العيش على هذا النهج
لذيذاً

— نعم وهذا دأب السيدات الاديبات
— وهل انا في جملتهن لا سير سيرتهن في الزهد والانقطاع فانا لا اقع

هـرآك سلوى لى فى عناء الوحده وضجرها

— أ أنتِ ثقيمين فى عزلة

— كيف لا وهل لك عهد بانيس لى سواك

— ما اراكِ فى عزلة عن الناس

— كيف لا وهل تذكر ذلك . فمتى كان لى الحظ لآنس باحد خلائك

عندي أم متى دعوتى للتنزه معك أم رضيت فى صحبتي على العربىة

— ألا تكفين عن الجدال فى مجال العتاب والتعنيف

— لا اعلم بالسبب الذى يحملك على هجر صحبتي خارج المنزل . أنجمل

فى مقارنتى ومرافقتى ألا ترى غيرك من الشبان الذين يفوقوك قدراً ومقاماً

كيف انهم يفاخرون ويباهون بصحبة خلائلهم فيعلمون عن بينهم فى مجالس

الانس والمجتمعات والملاهي . فما اخالك من طينة خاصة وجيلة انى واسى

— قلت لك ولم ازل اقول كفى العتاب واتلى ان لى فى كتمان

حبنا أرمأ . فيما تشكين ألم أدعك تسيرين على مردك كيفاشئت ودار بك

الهوا تنقلين . ومتى قمت رقيباً على اعمالك او نعتت عليك هجاً كان لك

فيه بعض الرضى . وان كنت تلومينى لاشجابه اصحابي عنك وافرادى فى

خلوتك فما ذلك الا لاختفى عليهم ما اسرفته فى حبك فاخاف اذا اتابوا دارك

فراوا فيها اثنائك الفاخر ان يكثروا التنديد والملام بل ربما تسألوا عن

المدد الذى صدر عنه المال واخذوا بالبحث عنه منقبين تقيماً يعود على

بالوبال . لانه اذا جاز لى ان اخنار خلية فلا يسوغ لى ان اهدر مال غيرى

فى ملذاتي الخاصة ويا وبلى اذا علم الاصدقاء بشاى معك فعرفوا ان كل ما

لديك من الاثاث الفاخر وما عليك من الحلى تحفة منى تقولوا انى الاقاول

المنكرة ولا موئى على تلى فى هواك ولا خفاك انى لست من المثرين ولا كثر

لى الا اسئى ومبئى فاذا اضربها قول الناس عشت حبائى كلها فقيراً ذليلاً

فضلاً عن ذلك ان مدام جردى التى قامت لى مقام الام اوجبت على

حنوقى الالفة او احكام الزمان ان اقوم بحاجاتها ما اقامت معي
فعند هذا الكلام رأت جوليات ان تمدل عن خطه الجفاء في معاملة
خليلها فكاشفت نفسها في وجوب اتخاذ الملاينة معه خيفة الطبيعة فقالت له
بلهجة الحب ولهفة المشفق

— حبيبي انني لم آت بجد يثني معك عن بغضاء او جفاء انما كان ذلك
مني عن انزعاج فلا تلني

فماودت الهامي السكينة للجمال وفاء اليه حيلة فقال لها
— لقد تناهيت في تعنيتي وافرطت في انكسار رزائني وسكيتي في
معاشرتك الى حد العجب على انني لم ادع حيلة لتسليتك الا واتخذتها ولا طريقة
الا وطرفتها اغتنام رضاك وكفاء هواك ومناك وما اخالك اغفلت انس
الليالي التي احببتها وان المرفع حبا بك او ذهلت عن المال الذي بذلته في
الملاهي رغبة في تنزيه خاطرك

فاعترضته جوليات وقد نقطب وجهها كدرا من كلامه وقالت — اتعد
ما اجرئت من دواعي المسرة
— وما الذي يبني صحنها

— اتراني اسرّ باتهاب الملاهي وحدي واحياء ليالي الطرب بالبعد منك
او بالتجافي عنك كأنك تنكر اشهار تقربك مني لدى اصحابك وخلانك
— انني آبي التماذي في الشطط فلا تسهي في هذا الباب ولتخذ في
حد يثنا طريقة اخرى

ثم قام نوال يتخطى في عرض الغرفة برهة الى ان آذنت الساعة بالواحدة
فتقدم الى خليلته وقال لها — ان الزمان يدعوني الان للانصراف عنك
فاسمعي لي بـ

— أتنطلق الان عني وقد كنت آملة ان اراك الليل كله
— لا يسعني التاخر عن الساعة فان والدني طريحة الفراش فلا بد لي

من الذهاب اليها عجلًا ثم انتزع من جيبه الفراطيس المالبية التي كان استلها من
تاباري فالتقاها على الطاولة وقال

— دونك مالاً يزيد عن مطلوبك فيغنيك عني الى ثمانية ايام

— ما تعني بذلك هل عزمت السفر بعيداً

— كلاً ولكن بدا لي شغل خطير يستغرق المدة التي سميتها فحسب ان

انجح به فنصيب منه خيراً جزيلًا بل يكون اساس سعادتنا الوطيد في المستقبل

وهناك تنهيا لي ان ازيدك بياناً على صدق ودادي وخلوصي

— بالله اخبرني عنه

— يتعذر عليّ بيان امري لم يزل سرّاً مكنوناً

— أتكتمني باشقيق الروح سرّك ألا تثق ببحرصي عليه

— يعز عليّ التصريح به قبل النام لكن ارجوك كل الرجاء ان تعدي

عن القدوم اليّ شأنك من قبل واقصري المراسلة واعلمي ان في عصيانك

امري كل خسري . واذا دهمك امرٌ اعوزك رأيي فيه فوجهي اليّ كل رجوت

وقد ضربت له موعداً بعد غدٍ ليوافيني اليه بحاجة لي عنده

فاحجمت جوليات وهي تشير الى نوال اشارة من يتوعد الاخر بشر مكررة

عليه القول

— ألا تبوح لي بسرّك

— امهليني فاعلمك به قريباً

فاشدت كيد جوليات وعظم عليها انكار خليلها بعد ما انفتحت لديه من

اساليب التلويح والمداهنة جهدها فقالت له

— ألا تنتهي من الاسرار في سيرتك

— ذلك آخر سرّ بيننا كتم

— لقد عرفت الغاية التي من اجلها تكتمني ما في صدرك اذ تبين لي من

حديثك وانقطاعك عني حيناً بعد حين انك تبغي بي بدلاً

— أكدت لك ولم ازل اثبت . . .

— مالي والا ثبات فقد تحقق لدي امرك فسر وكن مني على حذر واعلم
انني ممن لا يغفلون حنوقهم بل ياخذون بها حتى آخر ساعة من حياتهم
— ما كنتك يا جوليات سري ازراء بنضيلتك ولكن اخشى انتقاضه علي
فرأيت ان لا اذيعه قبل ان اناكد نجاحي فيه

— افعل ما بدا لك فوداعاً الآن لانني اريد الفراش فقد اعياني السهاد
فما كاد ينصل نوال عنها حتى دنت منها جارية الغرفة فجلست الى
جانها فقالت لها جوليات

— بالحقيقة يا شارلوت ان مقارنة هذا الرجل تبهظني ولولا انني كنت
اخاف من غدره لفضيت عليه بالقطيعة وفصلته من داري
فحاولت شارلوت الدفاع عن نوال فاصمت جوليات آذانها عن سماع
كلامها فقالت لها

— ما سبب نقاعده عني مدة ثمانية ايام ترى هل عن لك الزواج . يعز علي
وعمري الحق ان يهجرني قبل ان اصدده عني ولا بد ان استقري الامر قبل
حصوله

وكان نوال في تلك الاثناء قد طوى شارع لاهروفانس فجادة سان لازار
ودخل الى منزله من حيث خرج وما كاد يستقر في غرفته حتى طرق الباب
ونادته الجارية قائلة

— مولاي بهرك اسحق لي بمشافتك

فتفتح المحامي الباب وسالها جزعاً — ماذا جرى وما الامر اخبريني عجلآ
فاجابته الجارية والدمع مل جفניה — انني طرقت الباب من قبل ثلاثاً
وما من مجيب فتعال بالله يا سيدي وانظر ما حل بسيدتي فقد اشتدت عليها
العلقة الى حد الموت

فهب نوال من غرفته يعدو الى مضجع مدام جردى فارناع اذا بصر في

هيئتها تبديلاً عظيمًا تملل تحت دثارها تملل النضاض وقد سكنت حركة
عينيهما فبات كأنه قد ذرَّ فيها ذرور فاسترسل شعرها على وجهها لمزيد هول
ذلك المشهد . وكانت حيناً بعد حين تهذي قائلة
— ما اشد عذابي

فقالت عندئذ الجارية لنوال — أتخفت يا سيدي بعينك ما نقلته إليك
— ما كان عهدى بانزعاجها ينقلب بوقت قريب علة سريرة السريان
فسيري اذن للحال الى الطبيب هرفي واخبريه عن حاجتي اليه
ثم جالس على الكرسي ازاء العليل

ان هرفي كان من اصدقاء نوال واقراءه في المدرسة لاسيما في محلة اللاتين
فهذا الشاب قصة تحاكي قصص غيره من ائمة الدين جرّدهم الدهر من
الاخوان والنصره فسايم اموالهم في مقدمة العمر فاعناضوا عن ذلك بهمة
يغالون بها سداً من عوز

فطلب هرفي صناعة الطب فبرع فيها وفاق اقراءه فرأى اعتماداً على
قوة ضلعه في هذا الفن ان يعدل عن النزول في الضواحي فيخذ باريس له
مقرّاً عسى ان يدرك فيها في مستقبل الايام شأواً يكفيه ذكاه ومهارته .
وتوصلاً لهذه الغاية اخذ يستدين المبالغ الجسيمة ليزين داره فيعزز فيها اثاثاً
ثمياً يغشي على ابصار معارفه وذويه . وقام مدة ينتظر بذهاب الصبر ايدان
الساعة بتحقيق امانيه فمرت به الايام بصروفها المتلونة . وما امرّ انتظار ما
كان يتوقّعه الطبيب على حال لا يعرف ضيمها الا من يعانها . فان التمدن
العارية لمن موجبات التاخير بل المؤذن بالتلف لاسيما اذا كان الانسان
على ضعفه يسرف ماله او يستدين ما لا قيل له بوفائو فتقلب عليه الايام
برباه حتى تستنزف بقية عمره ذليلاً مهاناً

فهرفي كان لاول ايامه في صفة الطب قد عني في تطيب الفقراء
وغيرهم من بقدر وقدر الطبيب حين المرض فقط حتى اذا نهوا وماتوا من

علمهم كنفروا بالطيب وبعلموا وانكروا عليهم بدل عنايتهم وطوبى
فما لبث صديق نوال يستند الوسع في اثنان صناعته ويبدل الجهد في
خدمة الناس على اختلاف شؤنهم الى ان احرز ثقة الكثيرين فتمكن ان يجمع
منهم ما يفي بقدر الفائض فاضطر ان يقضي حياته في خدمة غيره اسيراً ولكنه
على رغم ما مزج طبعه من الخداع والدهاء بطريق العوز وحكم اليأس كان
يتفانى في خدمة اخوانه ويستमित في خلوصهم ومواليتهم
فلما بلغ باب مضجع العليل ابتداء نوال بهذا السؤال
— ما الامر يا اخي

فصاحه نوال خفية واقتصر من جوابه على الاشارة الى السرير
فاخذ الطيب المصباح وتقدم به نحو العليل ففحصه جيداً ثم عاد الى
صديقه وقال له

— نبتني بما جرى مفصلاً فلا ندحه لي عن العلم به
فاجل المحامي من هذا الكلام واجاب متعجباً — ثم اعلمك
— بالسبب الذي اوجب النهاب دماغها وهذا كثيراً ما يحدث عن
شدة التأثر والغم او عن خطب يفاجيء الانسان على غفلة
فاستوقف نوال صديقه باشارة خفية وتلقى معه جانباً فقال له — صدقت
يا اخي فان العلة كانت على اثر غم شديد قد بلغ من نفس العليل مبلغاً عظيماً
ولا اكنم مودتك واخاءك بيبانه . ان مدام جردي ليست بوالدتي وقد سلبتني
مالي وشهرتي حباً بولدها الحقيقي فاتنق انني ادركت الحيلة منذ ثلاثة اسابيع
فعرفت بذلك فساءها الامر جداً وخافت شر الغوائل

وكان المحامي يتوقع العجب من صديقه عند كشف اسراره له لكن الطيب
وعى النصة كما بيعي عرضاً شرح حال كل مريض ليكون على هدى في طبيه ثم سال
نوال قائلاً

— هل شكنت انزعاجاً اثناء تلك المدة

— انها كانت تشعر نارة بآلم في اذنها وحيناً في راسها ليس غير فقل لي
 باهر في هل توذن عليها بخطر قريب
 — نعم وقلما يشفي المصاب بمثل هذه العلة
 — ربه ما هذه الشدة
 — انك سالتني الحقيقة فصرحت بها للحال لانني عرفت العليل ونسبته
 اليك فتأكد ان الشفاء يكون غرابه وعسى ان ياتيه الله اجلاً من عنده فما
 علينا الا بذل الجهد في شفاها والله الوافي

الفصل الخامس

خيبة امل دايمرون المستنطق

عقيب ان ودع تاباري نوال سار الى بيته فمالبت قليلاً ان انصرف منه
 عند الحادية عشرة مسروراً بما وعاه دون عناء وجهد من القصص والرسائل
 التي قرئت عليه ادراك منه من سمعاه بل هدته كما يزعم الى اثر المجاني الناد
 فيخرج بنهادي في سيرة الى المستنطق في تلك الليلة كالشارب الثمل . وبدل
 ان يركب العربية على رغم الرغبة التي كانت تنتزع به للوصول اليه سرعاً
 خطر له ان يسير رجلاً فيفكر في المسئلة سارياً . فجاز طريق (لاشوسه دانتين)
 مخطياً الساحات الى ان دخل محلة (رينيليو) وهو من خواطره في شغل
 شاغل بناجي نفحة وبكاشفها مدممًا شان الساري منفرداً لا يبالي بمن يخطر

حياله ومن حوله على تلك الطرق . فتارة يشير اشارة المعجب من الحديث الذي جلى له عن حقيقة الامر الذي سعى فيه وثارة اخرى يتقدم قائلاً في نفسه - لقد كذب التوفيق جفروا فبرهن لنا ان الصدق من اعظم الثقافين وادهاهم . فمن تراه كان يقوى على كشف الحقائق التي اتصلت بي عرضاً بعد اذ كنت وقفت عند بعض رموز منها ولكن ترى هل كنت ابلغ بجدي وكدي الى معرفة التبديل بين الطفلين لولا ان التوفيق هداني اليه وادعاً . كلاً فان هذه الحيل تقادم عهداً حتى ان الزمان ضرب عليها وكفى الثقاف موءنة المعناء في البحث عنها . وقد يتفق كثيراً ان الثقاف يضل هداه في الحيد عن التنقيب في كشف الحيل الغريبة التي بعد ظنه من حقيقة وقوعها على انها كانت ربما نقطة العمل

فالحمد لله الذي دفعني هذه الليلة الى محاسبة نوال فاصبت عنده خيراً تنقاسمة معاً في معرفة الجاني وله استرجاع ما فقدته من الحقوق المدنية . وهو اهل لا حراز المال بعد اذ نقلب في ادوار الشفاء وابتلى الايام . اما الامر الذي غني جداً فهو اختبار حال مدام جردي وابتلاء سرها بعد اذ كنت اعتقدت بها الصلاح والتقوى الى ان حدثني نفسي مراراً بالتزوج منها . فيا لله ما كان اعظم شقائي في آخر ايامي لو تم ذلك فكانت مدام جردي قريبتي على سوء سريرتها وغوايتها

ثم نخلص من حديثي عن مدام جردي ونوال الى الكلام عن جفروا زعيم الثقافين فقال

بالضباع سعيو وراء الرجل المشفق الاذان فاذا بجل يه اذا فدت نجاح اعماله لا ريب انه يتعامل علي حتى الموت . ولكن حسبي بدايرون المستنطق نصيراً بذود عني ويبعد مني كل من يدانيني بشر او يرميني بسوء . من لي بوصف دهشته عندما اطلعت على جليلة الحادث واكشف له عن حقيقة دعوى ينال فيها فضلاً سامياً . فما زال يسري مناجياً نفسه الى ان وقف على ظاهر مجاز

(السان بار) وقال - اخشى ان يطالبني بالتفصيل عما علمته جملة فيتمذر علي بيانه

ثم استأنف المسير قائلاً - كان من الواجب ان اعي كل دقائق المسئلة فاحيط بتفاصيلها كلها ولكن ما الحيلة كنت اخاف اذا امعنت في السؤال فوقفت لدى نوال موقف المستنطق ان يسلك عن جوابي حذرًا مني فيظن بي احد اعوان الثفاف فيخافيني ويحرمني من الفائدة كلها . فمالبث ناباري يعنف نفسه تارة ويسلمها تارة اخرى الى ان انتهى الى منزل المستنطق فوقف محاولاً تبديد الاوهام التي خامرت فكره

وكان دايدرون قد دخل مضجعه في تلك الساعة يريد الرقاد بعد ان اوعز الى خدمه ان يندروه عند قدوم طارق يطلب مكاشفته فطرق ناباري الباب ودخل معلنا اسمه فادخله الغلام للخال مضجع مولاه . فلما رآه المستنطق نهض من فراشه وقال له - لاريب انك قد وقفت الليلة على اثر مفيد دعاك الى مشافهي قبل

الصباح افما عندك من الدلائل

- عندي ما يقضي عليك بالعجب العجائب

- قل بالخال ما نسرته

- انني ادركت اثر الخالي

فاستفرّ الفرح المستنطق فقال - هل تسنى لك ذلك عجباً

- نعم يا مولاي وقد عرفت بالخال على تلك الآلية في محلة لاجونشار

- اذا صح قولك كنت لدي ادهى الثفافين واحذقهم بل نصبري وعوفي

في حل كل معضلة تعرض لدي مستأنفاً

- لقد بالغت في الثناء علي على ان كل الفضل في ذلك للتوفيق

والصدفة

- عجبني نادبك يا ناباري ولكن لك كل الفضل لانه كما لا يخفناك ان

التوفيق كان اسير الفوي ولذلك ترى الضعيف يحمل على الفوي غيره منه
وكيداً . فاجلس للحال وقص على القصة بوجوهها

فجلس ناباري وشرع يقص على المستنطق جلياً كل ما اخذه عن نوال
وبروي عليه مناد الرسائل التي تليت على مسمعه بالحرف الواحد . ثم قال له
— دونك ياسيدي احدى تلك الرسائل التي تمكنت من انتزاعها

بغية معارضة خطها بغيره

— صدقت يا ناباري فانك قد اهديت الى الجاني وارى الحقيقة واضحة

في عينيك فلا ريب ان الله اراد ان يوخذ الابن بجريرة الاب

— لانني بامولاي اذا اغفلت الاماء قبل ان اعلم برايك في الامر

— يح بو ولا تخش لاننا والكل لدى الشريعة شرع

— ان الرجل الذي اكنم امه فاشجل ان اجاهر بفعلتو لمن عليه النوم

وهو الكونت ربنو دي كومارين وان قاتل الائمة لروح هو مسبعة الفيكونت

البرت دي كومارين

وكان ناباري بصرح بما عنده شيئاً فشيئاً علماً منه بما يتربى على اشهار اسم

المهرمين من الاثر في نفس المستنطق

فاخذت دايرون الدمنة والعجب فاخلفت اعضاؤه واضطرب

اضطراب الارشبة وهذى قائلاً

— أ يكون الجاني البرت دي كومارين

— نعم هو الجاني وما كنت لاصدق الخبر لولا البراهين الخطية التي

جاءت بتويده باجلى بيان . ثم لاح له ان المستنطق قد أكد وجهه وارناع شيئاً

قدنا منه وساله قائلاً

— هل يشكو سدي أماً

فاجابه دايرون عرضاً دون ان يفقه جيداً معنى سواله — كلاً انما المحبرة

والعجب قد حاكاني نغمي شديداً فاقوما فيها من الاثر بما رأيت لمواضع على

وجهي

— ذلك امرٌ لا تنكر غرابته ولا غرو اذا حدث عنه من الاضطراب

ما حدث

— فعليو ارجوك ان تتخى عني قليلاً لافكر في الامر مخلياً بنفسي ولا
تنفصل عني فان لي حاجة كبرى لديك فادخل الان الى المخدع حيث اوافيك
قريباً

فلما خلا دايرون بالمقام جلس على الكرسي مقطب الوجه منقبض
الصدر يتنفس الصعداء عن حزن شديد ألم به من جراء ما تبليغه فجأة عن
اسرة تركت في فواده جرحاً لم يندمل . وكان بتاباري قد هاج في مهجوه بذكر
ذلك الاسم اثر حادثة اضنكته صبيها فكدرت صفو حياته . فتمثل في دقيقة
واحدة للعال مشهداً شخص فيه البرت دي كومارين كأن قد مر به منذ عامين
كان بظرس ماري دايرون ابن كرام نقلدوا المناصب الرفيعة في باب
الحكومة الفرنسية ثم انقضوا كلهم دون ان يخلفوا له اثراً من جلائهم او شارة
من كرامتهم يتخلى به اسمه . لكنه ورث عن ابيه قصرًا يابو وعقاراً في جيزو
لا تعدى قيمته ثمانمائة الف فربك واخذ عن امه حسباً اتخذه سبباً يصل بينه
وبين اسرة بواتفين العريقة النسب في فرنسا . فعندما رقي منصب القضاة فيها
نقرب من آلو فتردد اليهم في مجتمعاتهم فاكرموا وانزلوه عندهم منزلة من الفضل
والفضيلة . لان دايرون كان على جهله آداب الجمعيات الخاصة عربقاً
بالفضيلة ادبياً نزيهاً وفيها صادقاً في مودته حريصاً على اسرار اخوانه سليم
الطوية حسن السليقة وبالجملة ان اصحابه وخالانه كانوا يرغبون في محالته
ويضنون بالفنو

ولما رسخ قدم دايرون في المكانة التي بلغ اليها اكثر الترداد الى الناس
فقام بينهم ليلاً نهراً فحدثهم وسار على قدمهم طمعاً بالوقوف على احوالهم
وشؤونهم الخاصة لانه كان يرى من واجبات القاضي او المستنطق ان ينبث

في النوم فبالنهم على اختلاف مواضعهم ويقارنهم ليزداد ضلماً من معرفتهم
واختبار سيرتهم . فكان يرسل انظاره منتقداً حركاتهم وسكناتهم افراداً
ومجتمعات الى ان نسي له اخيراً معرفة الناس الذين تولى شؤنهم وقام حكماً
بينهم

ففي خلال عامي ١٨٦٠ و ١٨٦١ امتنع دايرون عن اصحابه وانقطع
عنهم دون سبب جلي فتعجب كلهم من هذا الانحجاب فظنوا يقبضون عن
الاسباب ويسعون وراءه فلم يدركوه وبعد الاستفراء والبحث الطويل عرف
خلاته بمكانه عند المركيزة دارلانج وانقطاعه اليها دون غيرها من الادل
والاحباب . ولا غرو اذا عجب اخوانه من مجالسة تلك المركيزة الكهلة وانفراده
بمودتها على بعدها من نقطة مركز روح العصر الحالي وخلوها من المعارف
والمازيا التي تدعو الناس الى التقرب منها . وكان الدهر لم يبق لها من حطام
الدينيا الا على الفصر الذي كانت تقطنه وبعض الربع الذي اصابتها من مورد
التعويض وكان لها دون آهها كلهم اجمع حفيذة يتيمة
وهكذا كان دخوله دار الكهلة . ان احد اصحابه الخ على يوماً ان يصحبه
الى المركيزة قائلاً له

— انني اريد ان اطلعك على اثر من آثار العصر الخوالي فيروق
لديك ويحسن في عينيك

فاذعن اليه دايرون وانقاد له طوعاً فانتاب دار المركيزة فلاطفته في
زيارته الاولى الى حد ان اطعمته في التردد اليها فما لبث المستنطق ان آلف
زيارتها كل ليلة الى ان ابطلت المركيزة ما استقبلته به من اللين والرفقة فحسبته
في جملة مساكنها

وكان دايرون عارفاً بتلك الحفيذة دون كل من يتتاب دار المركيزة
لأنها لم تكن تترأى لاحد منهم لانكار جدتها عليها مجالستها بحضرة جلاسها
ليتم لها الاختلاء بهم والخوض معهم في الحديث دون رقيب

وكان اسم تلك الفتاة كلارا دارلانج في السابعة عشرة من عمرها حسنة الطلعة لطيفة المحاضرة لبنة العريكة كانت قد اخذت بعض العلم عن احدى المدرسات الالمانيات واسمها تيمت . فهذه الصبية جل ما صرفت عنايتها اليو تنزيه الفتاة عن الشوائب التي اثرت فيها بمقارنتها جدتها فنشأتها على تحري الحقيقة وجردت عقلها للعلم وقابلها للنضيلة

فعاقى دايريون بحب الفتاة وتولى فواده هواها فاستماله الى زيارة المركيزة دارلانج كل ليلة استثناساً بصباحة وجه كلارا وصار اذا دعته الى تحوّل انظاره عنها او آذانه عن سماع حديثها لسماع حديث آخر تفجير وتمل بل ربما كان يتبّه في الجواب على خطاب الغير لاشتغال باله وذوله عما لا يأنس فيه حديث كلارا او حديثاً عنها

وكانت الكلمة كثيراً ما تعنفه على ذلك وهو لا يوهه بلامها وتعنيفها لا سيما عندما كانت تجالس على طاولة اللعب فتكلفه كل ليلة خسارة شيء من المال بداعي اضطراب افكاره وتحوّل خواطره الى من لم تبل صدأ فواده بكلمة منذ رنت اليه فارنته بمحسنتها

وكان دايريون قانعاً من حبيته بلحظة كل ليلة كان يجتمع بها فيصغى الى حديثها مع جدتها مجيلاً انظاره في جملة ذلك الجمل حتى توصل اخيراً به طول تردده الى دار دارلانج الى ان يلتمس من الحاظها الغزاة لمحّة السرور او الانزعاج فيفاسمها الحالين دون ان يتجرأ على سواها او استكشاف حالها . وكان كل مرة تحدّثه نفسه بطلبها الى جدتها يخرج صدره خيفة الصد والنفور لان المركيزة كانت نتيه بسمو حسيها فتباهي به ونطع من اجلها بصحاب المقامات المتينة . فلبث دايريون في حيرة شديدة لا يدري كيف يصرفها عنه الى ان اتجه له الراي في طلبها قبل الآخرين .

ففي ذات يوم قصد المستنطق قصر دارلانج بعد الظهيرة وقد وطد نفسه على اقتحام الخطر وركوب الحذر شان الجندي المنهبي للحرب فقال في نفسه -

لا بد ان اصرح لها او لجدتها بما عندي من الوجد عليها فاما ان افوز بسوملي
واما ان اموت قهراً وكيداً . فاتفق ان المركيزة كانت قد خرجت من القصر
صباح ذلك اليوم فعادت اليه في الساعة التي دخل دايمرون المنزل وكانت
من الغيظ والحقد عند حد الشدة . والسبب في ذلك انها كانت قد كلفت
احد جيرانها المصورين بعض العمل في دارها دون ان تنقده لقاء عنائو وتوالت
على ذلك الايام وكان المصور يتقدم اليها في اثنائها بطلب قيمة ماله عليها
فتصرف عنها بالوعد والتعليل الى ان دفعته اخيراً بتعليقها الى الحاكم فرفع امره
اليه فبعث القاضي بطلبها فلبت الامر دون ان تعلم بشانه احدًا ومثلت بحضوره
القاضي امل ان يكشفها لاجابة المصور مدلة بحسبها ونسبها فخاب املها ورجاؤها
فيه لانه بدل ان يعنف المصور على طلب حقها انقلب عليها بالملام وقصرها
على تادية الحق الذائب له عليها . فأكبرت المركيزة الامر وعادت الى منزلها
على الحال التي نوهنا عنها فصادفها عليها دايمرون عند دخوله فشق عليه
ذلك لاسيما عندما تاكد غياب كلارا من القصر في صحبة قيمتها . اما المركيزة
فاستقبلته على رغم حديثها واشتداد غضبها بكل احتفاء وهرعت اليه كما يهرع
الضعيف الى جانب القوي عند نزول الشدة فسالها المستنطق بيان اضطرابها
والخ عليها ان تاتي به عجبلاً عساه ان يصرف عنها اسبابه ودواعيه فقالت له
— ان حنفي انما ناثى عن تحامل القاضي علي في دعوى رجل صانع
كنت دعونه الي لعمل يترقى بيدله فاوى لشكواه وارسلني كما يرسل الجاني
الثلثم

وفيا كانت تشير بيديها من الغيظ اصابها يمينها زجاجة ثينة كانت في
كف المجارية الواقعة الى جانبها فالقتها على الارض فتحطمت . فازداد كدرها
واصطلت نار حديثها الى حد التعامي عن الوجود فحاول دايمرون تسكين
روعها فقاطعت الكلام قائلة

— ان اقبالك يا دايمرون في هذه الساعة كان من كرامات التوفيق

فالرجاء بغيرتك وحميتك ان تسعى بنفوذك لدى ارباب الحل والعقد في
مواخاة المعتدي والأخذ بشرفي منه وما زالت توقع بالحاكم والصانع المصور
الى ان ادركما العياء فاستلفت على الكرسي جهداً فاضطر المستنطق ان يضرب
عن الوقعة حباً بكلا لانه كان يستتبع كل شيء في حبها وهواها واخذ بلاطف
جديتها باذلاً أقصى ما عنده من اساليب الرقة والانس راغباً في ازالة الباعث
الذي اعترض دون التصريح بطلب كلارا عندما عقد النية عليه واقل بكليته
اليه . فطرق في حديثه الى ذكر الثورة وفضائلها وتأثيرها في الاحكام والحكام
وما جلبت على البلاد من المصاير الى ان وافقها اخيراً الى لوم الحاكم وتوقيع
الصانع واراها في عرض بيان واجب الوفاء بالحق على انه خير لها من التعرض
الى المرافعة مرة اخرى مع من هو دونها قدراً ومقاماً .
فلما طرقت اذن المركيزة كلمة الوفاء انتصبت في المجال كما ينتصب المجندي

في القتال وقالت

— دع ذكر الوفاء في هذا الباب فهل مثلي من يدين صاغراً للمصور
وحكم قاضيه كلاً ثم كلاً انني لا افعل ما يزيد لها طمعاً في شرفي ومكانتي فضلاً
عن ذلك ليس لدي من المال ما يقوم بالطلب

— أنتظاهرين بالعجز عن اداء مبلغ لا يتجاوز السبعة والثمانين فرنكاً

— أتزري بهذه القيمة شان المثرين فاذا كنت قد احرزت عن آبائك

مالاً توفر لديهم انشاء الثورة فاننا لا املك شيئاً بل قد استنزفت الثورة كل
مال دارلانج . وقصارى القول اني لا اليي الطلب فبه ينالونني

— أرى ياسيدي ان لا نقاومي القوة بالقوة فان الشريرة تنضي عليك

في القيام بنفقة تربو على الدين خلا ما ينالك من الحطة والخفض في الفاء
القبض عليك

— يتبين لي من خلال هذا الاستبداد ان نار الثورة لم نحمد حتى الآن

بل ما زال الشعب يلج في اضرامها لانتلاف اصحاب المجلاء فسقياً لك يا دايرون

اذ كنت في جملة العامة آمناً من شرها وما يلوح لي ان لامناص من الرضوخ
لاحكامها عجلاً ولكن أنى لي ان اجمع المال وقد بهظتني النفقات في سبيل
حنيدتي

واذ كان المستنطق عارفاً بسر المركيزة وجهرها تعجب كل العجب من
ارسالها كلمة النفقات فاضطر ان يكررها قائلاً - ما هي تلك النفقات . وما
تكون

- ان وجود كلارا عندي يلجئني الى تكبد نفقات كنت عنها في غنى لولا
انتي لبشت وحدي فما كان احوجني الى هذه الطرف وذاك العقار أما كان
في حد امكاني بيعه وايداع قيمته احد الصبارف فاعيش بر يعم حياتي كلها لكن
صوت ولدي يدوي صدهاء في آذاني فيحنُّ له قلبي اذ اوصت الي ان اجعل
ابنتها تحت حمايتي وفي رعايتي ما دمت في الحياة

فافهم كلامها دايرون واعجبه اخلاصها وبها الكمال على حب حنيدتها
ثم استأنفت الخطاب فقالت - تاكد يا دايرون ان هي الوحيد السعي في
سبيل نجاح هذه الابنة وتوطيد مكانتها في مستقبل حياتها

فعند هذا الكلام خفق قلب المستنطق فرحاً اذ وافقت بمحبتها امانيه
فهدت له طريق الخوض معها في معنى ما نواه في زيارتها فاجابها

- عجباً اراك في شاغل من امر توطيد مكانة كلارا على ان اخلاق الفتاة
ومحاسنها تكفل لها ذلك

- لا تعجب من قولي في صعوبة الوصول الى الغاية التي انعمدها حرصاً على
مصلحة حنيدتي فان الزمان الذي صرنا اليه قد وفر في سبيل الفتيات العقبات
ففضى على التي جردتها من المال ان تدبل نضارة عمرها في زوايا الخمول
فجعل الزواج تجارة يزيد ربحها بزيادة راسمالها . فعطل سوق الآداب واجحف
بحقوق المحاسب والنسب . فابن الرجل الذي يفتح باداب كلالا فيكفي
بحسنها عن مالم

— صدقت ولكن ربما كان بعض شبان العصر مبهوون الجمال المقرون
بالاداب فيرغبون بحفيدتك عن غيرها من المثرثات

— لم تبلغ يا دايبرون حد الخبرة التي بلغت اليها فقلبت الايام وعرفت
ابناءها فاعلم انه اذا نسى لي الآن ان ازوج كلارا من احد الشبان الذين
عنيت اليهم فرضي عنها لا يضي على عقد زواجهما مدة حتى يتقلب علي ذلك
الصهر بطلب حسنها وما انفتت عليها كأنه من مالها فيطلبني الى المرافعة
اذا اجبته بالانكار ويدعي علي بما يعينني ويزيد في قلبي واضطرابي مدى
عمري . فلو شاءت كلارا ان نعل برأيي لما اخترت لها مقاماً الا الدبر فائرت
نسكها وزهداها في راحة وهناء على متاعب الدنيا ومصاعبها . ولكن اراها
تحتاجني وتابي الادعان لاشارني في هذا الشأن

فعندئذ اتخذ دايبرون حديثها وسيلة يتوسل بها الى تحقيق امنيته وتوطئة
لشرح ما في نيته فاستجمع قواه وقال في فاتحة كتاب هواه
— اذا سمحت لي قدمت لحفيدتك الكريمة التي المطلوب لسعادتها
وهنائها

— ولم الابهام في المقال

— ان الفتى الذي اشير عنه يرغب بالتقرب من كلارا على الحال التي
هي عليها الآن صارفاً النظر عن المهر والمطالبة بشيء من العقار بل بحب اليك
ان تتولجى المال في ضامته نفقة حتى اذا قصر عن القيام بها تكفل صهرك في سد
عوزك غفواً

— فما الذي افعدك عن تقديم الرجل حتى الآن وانت صديقه من قدم
الزمان

— كنت اخشى صداً

— اشهر لنا هذا الصهر العزيز نبئني للحين بمقره
فانقبض صدر المستنطق اذا انتهى الى الحد الفاصل بين الحالين فتنازعه

الخوف من ألم الصدود والرغبة في نزول سرج السعود وما لبث برهة يفكر في الأمر الى ان قال بصوت ضعيف

— انا هو يا سيدني

فضحك الكهنة حتى استلقت وقالت وهي تهز منكبيها — ما اجراك يا داويرون في مجال المزاح وما اقدرك على نظم اساليبه . ثم عاودتها الرزانة فعدلت عن نهجها في الخطاب وقالت له

— هل تصدقني المنال

— لا اجازف به ولا ادعي

— أأنت من المثرين

— ان والدتي قد خصتني بربع لا يقل عن عشرين الف لبراثم اني ورثت عن احد انسابي نحوًا من مئة الف ريال خلا ما يعود لي في الارث عن والدي الذي يتفق كل ما لديه حبًا براحتي ورخاء عيشي

— لو افتحمت طلب كلارا الى ابها لصدك للخال بل ربما كان اخرجك من منزله صاغراً ولا خنك ان السبب في ذلك الحسب وهو الذي يقضي عليّ ايضاً ان امسك عليك الجواب فلا تعرض ابداً لمكاشفة حفيدتي في بل اهدك وعداً صادقاً ان لا انصدي لك بالحرمان اذا تمكنت من اقناعها

فطار فواد داويرون من الفرح شعاعاً فتقدم الى المركبة يريد استلام كفها ببيان شكره على ما تنضلت به عليه . فاعترضته قائلة

— لم تنز بعد بالمرام فشافه كلارا وبعد ذلك سرّ وازدهى وما اخاها

ترضى عن شهرة داويرون بدل دار لانج كما رضية والدتك به عن جلائها المشهور ومع ذلك فالراي في ذلك لها فعسى ان يكون لك تمام النجاح

فرسخ هذا الجواب في نفس المستنطق حتى اطربه ذكره في غرفته على تقادم العهد وانصرام الايام وكأن بصوت المركبة يردد عليه كلمة الامل بالنجاح في ما يبتناه

فانصرف عقيب ان تلقى الجواب رحب الصدر ناعم البال ظافراً وكان
لشدة فرحه ينادي بين اقراءه واخوانه وذويه قائلاً - ان المراكزة رضية عني
قريباً لحفيدتها

ومنذ ذاك الحين اخذ دايمرون بكثرة التردد الى قصر دارلانج فيسمى
جهده في استمالة الفتاة بما يتوفر عليه من الخدم مخناً لها اطائب الفصص التي
تطربها وتروق لديها وما زال يتلطف اليها ويتكلف في سبيل رضاها كل
خطلة الى ان آمنت به بعد وحشيتها وارته الرقة واللين في حديثها معه بعد
ذلك الجفاء

ففي غد ايلة كانت قد دعيت فيها كلارا مع جدتها الى المرفص دخل
المستنطق القصر فلقي فانتته في هم شديد فما تمالك ان سألها السبب . فاجابته
بعد ان تنفست الصعداء - ان سبب هي لمن الاسرار التي كتمتها الجميع حتى
جدتي

وفي اثناء كلامها رأى دايمرون عبيرة تخدر على وجنتها فاشجته
وبعد ان فكرت في نفسها برهة استأنفت الكلام فقالت - ربما تدعوني
الايام الى ان ابوح لك بهذا السر اضطراراً
فاجابها دايمرون بكل لطف ووله - وانا قد ضاق صدري بسر ارغب
في نشره لديك لتطويه في قلبك

ولما اذنت الساعة بالانصراف خرج دايمرون من القصر عائداً الى منزله
ولسانه يكرر الغد الغد كلمة اكثر تكرارها مدة طويلة

ففي ذات ليلة جالس دايمرون وكلارا في زاوية الحديقة بقروحان باناس
النسيم وازاءهما المراكزة تخطر فيها بعد العشاء لا يستطيعان بث ما في نفوسهما
من تباريح الجوى وقصص الهوى . الى ان اعياء المستنطق الصبر فاستلم كف
الفتاة الناعمة وضغط عليها وقال

... وجهي المحاظك اليّ فأتلو عليك قصتي وهي . انني كنت قد تقدمت

الى جدتك بطلبك قبل ان ارفع عيني الى نور محبتك فافهمي اذن مرادي واحكي اما بقربي منك واما بابعادي . كلارا ان في هاتين الكلمتين رمزاً خفياً لا يخفى عليك معناه . فاعلمي ان براحتك الموت والحياة . كلارا ان الحب قد ملكك قيادي . فارحميني وحفني مرادي

وفما كان دايريون يتكلم كانت كلارا ادنى ما يكون اليها الذهول لم تصدق حركات قلبها وعواطفها التي كانت تحدثها من قبل عن حقيقة ما شهدت في ذلك الحين حتى اسمعها دايريون باذنها كلمة الحب الذهبية فطوت يدها بلطف وقالت بصوت خففت انفاسها ،

— أأنت الفائل بحبي

فاضطرب المستنطق من هذا السؤال واوهم انها تردديه وقبل ان تتكشف له معانيه ورموزه رأى اسلاك الدمع تنثاثر على صفحة خد كلارا فنصرفت انفاسه وتغير قلبه . فقالت وقد سترت خديها بيديها — ويلاه ما اشفائي وما اعظم بلائي

فصاح دايريون وقد شق عليه حديثها — أنشكين مني الشفاء يا كلارا لله ما افساك كلارا اوضحى السبب قبل ان يفضى علي كيداً وقهراً ثم ارثى عند اقدامها وسط كفه يلمس كفها فتفتح لطفاً عنه وقالت — دعني اسني وجدي بالبكاء فان مصابي أليم آه انني اشعر من نفسي

بضئك شديد . اخشى يا دايريون جفاك وبعدي مني وكفرانك بايمان حبي بل ربما تزري بقدري اذا اسمعتك ما عندي وايم الله انني لم اعلم بالحب قبل الآن ولم يخطر على قلبي في سالف الزمان . دايريون انني اعتقد بخلاصك لي ولكن اخلاص الوالد نحو ولده فتقربت منك ولم ادر بما كنت تسر فاشتد الخطب على المستنطق وعظم في عينيه الخطأ الذي اتاه متطوِّحاً في حبه معها قبل ان يتمكن من رضاها فخاف ان يناله من صدودها سوء فنهض حائراً صاعراً

فأوت كلارا لحالة وإدركت اثر المرح الذي اصاب فواده بتسديد
نبالها فقالت له

— بلى انك كنت لي بمثابة ابيه استوجبت حبي وفرضت علي الطاعة
لك والرضوخ لآشارتك نعم انني كنت انظر فيك ابا لي ونصييراً ارسلك الله
للاخذ بيدي بعد فقد والدي وكل اسرتي

فتنهد دايمرون عن فواده أصباه حديث الفتاة وإشجاء
فاستطردت كلارا ببيانها الى ان قالت -- آه لو كنت افدتني خاطرك
قبل الان فكشفت لي نفسك لكنك ارشدتني سبيل مناك . دايمرون ان
اعتمادك عليك كان اعتماد والدي على ابيه بك تسليت عن اهلي وعشيرتي وفي
قلبك الفيت مستودعاً اميناً استودعته اسرارهم . لم لم تشهر لي سرّك قبل ان
اشهد تلك الليلة التي جلبت لنفواذي المحسرات فقيدته بحب غيرك

من لنا بوصف حال دايمرون هابطاً من شاطئ الامل الى وهدة اليأس
منكساً اعلام الظفر مطأطىء الرأس يمارل صدام العجز لدى كلارا ببغية
البأس . واذ كان لا يصبر على الاحجام خاسراً يهبأ له على رغم اضطرابه ان
يستر الهزيمة لدى كلارا فقال لها

— يعز عليّ ان اسمع باذني الحكم بانفصالي عنك ولكن حسبي ما احزنه
من اثار لطيفك وما عللت به نفسي من الاملاني في مقارنتك وما رويت به
قلبي من احاديث الخلوص في مجالستك ذخيرة لا تنفد مدى العمر وهي عدني
بالعسر كما كانت في اليسر

وهنا امسك دايمرون عن الكلام ناظراً الى الفتاة النظرة الاخيرة فاذا
هي تبكي بكاء الاحباب في موقف الوداع ثم استطردت الحديث الى ان قال
— قلت يا كلارا بحب شاب لم تعلم به جدتك ولا ريب انك لم تخاري
الامن كان من اكفائك فما السبب في اتجاؤه عن دارك حتى الآن وقد تعاهدتما
على الحب قبلاً

— ربما تصدت لنا بعض الموانع فاعترضت دون تردد الزيارة اما انا فلا احب الأمرة في حياتي وحي لمن يكون معيني فيها والآن رضيت بالعزلة دون كل الناس

— أتخول دون من تحبين موانع تمنعه من الاجتماع بك في دارك
— لم اقصد بالموانع ما يحول منها دون المحبة التي ولكن اريد بها التباين في احوالنا فان الشاب ذو ثروة طائلة وانا فقيرة لا املك من حطام الدنيا شيئاً وقد آوى والده ان يوفق بين الحالين

— أيدري انك تحبينه ولا يفدي واهله كلهم اجمع في سبيل رضاك اثنى شيء لديهم آه لو كان لي هذا المحظ او شملني بتلك السعادة لما حال دون اتفاقي على الحب حائل . فهل في الحب من ضحية يسومها الانسان نفسه خلا ما اعلم من السرور والجهد والصبر والرجاء

— كلاً ذلك ما اعانيه وابني حي عليه
فتأسف المستنطق كل الاسف لفقدان حب كلارا وانقطاع امله من الاعتلاق بها بعد اذ كان قد تبين له من كلامها الرضى عن الحب في الزواج دون باعث او سبب سواه . وكان يلذ له معاناة الجفاء والصدود في حب كلارا فساها قائلاً

— ابن تعرفت بالرجل وكيف تم لك وجه الخطاب معه
— انني لا اكتمك شيئاً مما جرى بيننا . هو انني لقيته عند ابنة عمي السيدة دي كوالو صديقة جدتي فتعرفت به وتمكن بيننا رابط الحب وهناك لا ازال الفاه فاجتمع به . . .

— لقد فطنت الآن الى ما كنت اراه على جبينك من ابتاع الكدر يوم كنت نعودين من زيارة تلك الحليفة وذلك الصديق

— ان كدري كان ناشئاً عن عجزه في ازالة الموانع التي تحول دون افترائنا
— هل ما بين النسيين بون عظيم حتى اراه في عناء من التوفيق بينكما

— ان اسم من اهوى هو الـرت دي كـومارين
وفي تلك الاثناء كانت قد انتهت المركبة من خطراتها فدنت من
المستنطق وقالت له

— هلم بنا الى الفـصر فان اللعب يدعونا
فلم يسمع المستنطق الا اجابة الاشارة دون اعتراض ونحـفز للقيام فامسـكت
كلارا بيده قائلة

— ما بالك لم تكشف لي اسرارك

— اما علمت بها حتى الان

— نعم وقد نقوضت مباني راحتي وهـوائي بجهلي وغباوتي . ففـاتني ان ارى
ما رآته جدتي فرضيت عنه . وقد تاكد لي اخيراً انـسها بك في حديثها عنك
سرّاً الى

— هي التي علقت آمالي بك فحملتني على ان ارفع طلبي اليك بعد ان
كشفت لها مذهبي في الزواج وانكاري المال كـحن واجب فيه لتـمام العـقد
— قلت لك يا اخي ان ما فعلت كان علة لزوال راحتي ولم يبق لدي
من حيلة ادفع بها عن نفسي . آه بالشدة غضب جدتي اذا درت بصـدودي
وقـمعي عنك

— لا يكـدرك يا حبيبتي حرمانـي وتاكدي انـني انـصرف عن داركا كما
دخلت اليها دون ان اعلم جدتك بما كان منك ومنـي
— جزاك الله عني خيراً

— نعم انـني اهـجر الدار غريباً نازحاً وفي فـوادي غـصة من ألم النوى غير
انـني آمل ان لا يغفل حـنانك اسـمي اذا حـجب عن ناظرـيك رـسمي
— لا نـقل بالنسيان يا دايـرون فـحاشاي ان اذـهل عـنـي لم آلف مـنـه الا
جـمـيلاً

— فحسبي بهذا الامل اعظم سلوى تسليني في كـبـتي ونـخـفـك كـرـبـتي

فاستلمت عندئذ كلالرا كف المستنطق وقالت له - بالله أنس ما كان
الان بيننا فعد الى ما عودتني عليه من الحلم والحب واذكر انني اودك ما عشت
مودة الاخوان

وكان الظلام قد اشد في تلك الساعة حتى حجب الوجوه عن الانظار فلم
يلج لكالرا دمع دايمرون متناثراً على خديه من غصة البعاد حتى استأنف
الخطاب بعد برهة فقال

— ما كنت آمل يا حبيبتي ان توهمي بي النسيان وانت تعلمين درجة حبي
لك في الحالين فمعاذ الله ان اسلوك او انجاني عنك قرباً ونوى
ثم نهضاً معاً فتقدم ما حتى انتهيا الى درج القصر فاستوقف دايمرون كلالرا
عنده بقوله

— اسمحي لي ان اودعك قبل افتراقنا فان الزمان يقضي بالبعد منك
لكن اسالك ان لا تنسي حبيباً اخذ الغم خليله بعدك وكتب على نفسه الهلاك
في رضاك ايان حل . ودعيني يا كلالرا اخيراً واذكريني
فبككت الفتاة لوداعه وصبت واذا كان قد طال نقاعد المستنطق عن
موافاة المركيزة اخذ كلالرا بيدها وصعد الدرج الى مخدع جدتها وقد كان
عيل صبرها بانتظار دايمرون للشروع باللعب . فلما اقبل اليها رفعت رأسها
اليه وقالت له

— مالي اراك تحول انظارك عني
فوجم دايمرون برهة لشدة ما كان يتناوب على صدره من الاشجان ثم
اقتصر من الجواب على التماس العذر في انصرافه لما يدعوه من المهام الخطيرة
وانطلق ينهادى في مشيه من ثورة الفهر لا سورة الخمر
فاغناظت المركيزة لانصرافه عنها تلك الليلة على غير عادته فنظرت
الى حفيدتها الجالسة بعيداً وسالتها قائلة

— ما شان دايمرون الليلة وما باله هجرنا هجرآ لم يتقدمه سبب

— لا علم لي بإجماله

— انه يكدرني انصرافه على هذه الحال دون ان يبدي عذراً واضحاً
وقد رأيته يطعم في انسنا حتى صار يعد نفسه كفوفنا . فلا بد ان واخذه
بهذه النخعة فاربه الواجب في مقام الكرام

فحاولت كلارا ان تدافع عن دايرون فقالت — انني سمعته اثناء وقوفي
به يشكو الانزعاج فلعله قد اشتد عليه فلم يسعه بعد الجهد الا انصراف
— ما اخاله خرج من الانزعاج او علة بل ليطلب محلاً يهوى
صرف الليلة فيه

الفصل السابع

الراي في مرافعة الفيكونت

عقيب ان انفصل دايرون عن منزل دارلاتج لم يأو من شدة هو وحر
وجده مأوى بل سار طول ليله سير التائه لا يهتدي سبيلاً على النسيم
يداوي بنشر انفاسه صدرأ عليلآ . وكان يناجي نفسه ويعنفها على الخطئة التي
نطوح فيها لدى كلارا قائلاً

— لم اقمعت خطر التقرب من ذلك الجبال المفرون باللطف والنزاهة
وعلو المقام فرأيت ان اوفق بين البشوش والعبوس او بين اخلاق الصبي
والشيخ . لا ريب انها اصابني في حكمها علي اذ قالت ان محبتها لي كانت محبة

ولد لا يبو لا غرام ولا هيام لان سهرني في منزلها وبين اهلها توبد ذلك . فلقد
اخطأت في طلبها الى جدتها ونصرتني لها بحبي وجواي

ثم ان الفتاة التي بداخلها الهيام وبهر عطفها الغرام لا تني تحدث نفسها
عن محاسن حبيبها فتتمثل له اظارها بابدع صورة واحكم تمثال فلو قدر لي
ان احوز رضاها ترى فباية صورة اظهر لديها وباية الالوان اليس انما تخيلني
جالساً بين المجرمين اسمع منهم واحكم بينهم باعناً الخوف والرعب في قلوبهم فاية
سلوى لها في هذه الصورة وما هي الامال والاماني التي ترجو تخفيفها بي

وكان يتقدم المستنطق في مسيره تقدم ذي جنة تارة يقف والناس من
حوله يتسألون عن شأنه وتارة اخرى يخطر بينها خطر ان الشارب من الذهول
والحميرة الى ان بلغ جيرة (كرانيل) وهو لم يزل على مثل ما فصلنا فدنا منه
عس المدينة يسأله بيان حاله فاخرج من جيبه رقعة الزيارة فدفعها اليه واستمر
سائراً كأن لم يكن ثم لديه معارض

ان دواعي الحب لم تنته بداير ون الى حد الذهول والهذيان بل بدلت
صفاته التي امتاز بها بين اقرانه فغشت على محيا العدل الذي دان له في كل
اعماله وضربت على حلمه وسكينة وصراته ومحبته ووقاره فاقفته عند الجور
والاعساف فقال الى الانتقام ميلة الى كلارا فتتى لو اتلف ذلك الفيكونت
الذي علفت بحبه كلارا فحال دون نعلقه بها موانع تمنعه من التزوج منها

فاتفق انه صباح الليلة التي رأيناه فيها على هذه الحال كانت قد مثلت
لديه احدى بنات الهوى بدعوى انها سطت على احدى رفيقاتها فقتلتها عن
غيرة منها على خليلها الجندي المتترع في الفساد . فظن المستنطق لدعوى هذه
الشقية في مسراه بعد نكته الغرامية فشكا لحالها ورثى لامرها قائلاً : لا يعرف
الحب الا من يكابده . ثم خطر له ما يوافق معنى الآخر . دع عنك تعنيفي
وذق طعم الهوى . فلو ذاق اخواني طعم الهوى لعرفوا ما يعاني صاحبة من
الشدائد وما يتكبده في سبيله من الضحايا ولرحموا مثل تلك الفتاة التي حملها

الغيرة الغرامية على قتل من تنفي حرمانها من انس خليلها
فاخذت دايبرون الشفقة على تلك البنت بعد اذ عرف صنوف بلايا
الحب ودواعيه ووعده نفسه برحمتها وتخفيف عذابها قائلاً . كيف الوم تلك
الغبية على جنابنها في سبيل حبها قبل ان الوم نفسي التي سولت لي وانا رصين
حكيم ان افتك بمن ينازعني في الهوى . كلاً انهما لا تلام ولا بد لي ان افتك
بحصي ومنازعي دون رحمة

ولما كانت الساعة السابعة من نصف الليل وصل المستنطق الى الطريق
غاب بولونيا في جيرة البعيرة فتخطى منه الى سورناليو حيث ركب عربة وسار
قاصداً منزلة قد دخله دون ان يشعر بنصب او لغوب وتردى ثيابه التي كان
يترداها لزيارة المركبة وخرج ماراً ببائع الاسلحة في طريقه فابتاع منه غدارة
سداسية فحشاها والفاها بكل احتراز في جيبه واستأنف المسير بطلب الاشخاص
الذين يومهم انهم عارفون بالخال التي يتتبعها الفيكوت وجميع اصحابه الذين
مر بهم فحدثهم عن غرضه لم يلتبسوا من حديثه او هيئت اشارة تفيدهم حبه
او شططه . فما زال يتنفل من الواحد الى الآخر الى ان اتاه صديق عصر
ذلك النهار فاعلن له الندوة التي يتتبعها الفيكوت دي كومانين واقترح عليه
صحبة اليها . فقبل دايبرون صحبته شاكرًا وفيما هو على الطريق كان يهتس
في اخيار الطريقة التي بها يقضي على خصمه دفعة واحدة وفي ما يكون من
غوائل فعلته قائلاً - لا انكر ما يذيعه الناس وما يتقوّلونه من السوء عني اذا
اقتحمت هذا الشر فلا ابالي به بعد فقدان حب كلارا بل

أرى الموت احلى ما يكون لدى الفتى اذا فاته الف وصد حبيب
وهل لاخي سقم شفاء لسقمه اذا جار في وصف الدواء طيب
فلا انتقام غرضي وعسى ان نقصده السهام

فلما انتهيا الى باب الندوة فوقنا في باحنها اشار رفيق دايبرون الى
الفيكوت قائلاً هوذا الشاب وكان اسمر اللون حسن الجملة جالساً بتصفح

جريدة . فتقدم اليه المستنطق دون ان يبرز الغدارة وما كاد يقف على مسافة خطوتين منه حتى وهت عزيمته ووهن قلبه فنكص على عقبه حالاً تاركاً ان يكون من افدامه واحجامه في حيرة شديدة وإذ كان قد جاز الى الطريق ادركه العبي فتخاذلت ركبته وهوى الى الارض شان من فاجاه الدور فاسرع المارون اليه مع عس المدينة فحاولوا نهضته ورأوا بعد التنقيب في جيب ردائه رقعة الزبارة فعرفوا منها اسمه وشهرته فاحتملوه الى منزله . ولما افاق من غفلته وانبه من غيبه رأى والده الى سريره فسأله ابوه حزينا من مرآه - ما دهاك يا ولدي وما جرى لك

ثم قص الاب على ابنه جملة الحوادث التي مرت به اثناء تيهه وما رآه الاطباء اتفاقاً عند اشتداد علته

فما طال حديث الاب حتى سأله دايرون الامساك عنه لما ناله من الجهد في الكلام على ضعفه وهزاله فاطبق جفنيه وعاد الى ماضيه يستغرق فيه الافكار والخواطر التي تمثل له المشهد الاخير الذي مر به مع كلارا واطرد امعان الفكرة الى ان ادرك غوائل الجريمة التي كانت ازمع ارتكابها وما زال يعاوده الشفاء شيئاً فشيئاً الى ان تعافى فروى لابيه قصة غرامه واحاديثه فاوى الاب لبلواه وأشار اليه ان يقصد دساكره تنزيهاً للخطر فيأخذ معه من اسباب اللهو والراحة ما يهواه وعاهده والده على ان يزوجه من كريمة عريفة النسب فيهبه كل ماله ويوفر لديه كل ما يتمناه عليه

فتغيب المستنطق نحو شهرين في الضواحي ثم عاود بعدها اعماله ولكن بجسم لا روح له لانه كان يشعر دائماً باضطراب شديد في صدره وقلبه وفكره

وبعد عودته خطر له ان يزور المركيزة فما كاد يمثل امامها حتى ارتاعت من منظره لضعفه وسقمه فظنته شبحاً هائلاً يترأى لها فامرت الوصيصة للحال ان تصده عنها فحزنت كلارا لمرآه على هذه الحال حزناً ادى بها الى الانزعاج ولزمت الفراش نحو بضعة ايام من هول تلك المواجهة وما لبثت ان عرفت

نفسها على ما كان منها سبباً لا غنلال دايمرون ونحوه هيئتة فنجست فائلة
 — ترى أيجني البرت محبة دايمرون أبلغ به حد الجوى الى ما بلغ اليه
 هذا العبد . فلا بد لي من ان امد له اسباب السلوى فاعز به على بليته واخفف
 بعض ما ناله في مكنته . لكن دايمرون نوارى في المحجاب وانكر على نفسه
 الوقوف في ذلك الباب فنزع الى طريقة يدفع بها عنه الاشجان وازالة ما يعتبه
 بعد ذلك الحرمان فحاول التذرع بالتزهد والتجول وصولاً الى غايته فحانة المجد
 في هذا السيل فعدل عنه الى العمل في مهام تستغرق اكاره وتضي عنه هياج
 الوهم وتياره فاصاب في عمله بعض الراحة عن ملل او كلل لا عن عافية تامة
 فمن اجل الاسباب التي اوردناها والدواعي التي سردناها رأينا دايمرون
 في دهشة وذ هول عندما طرق اذنه ذكر كوماين في حديثه مع تاباري وقد
 اشار اليه ان يحلي له المقام ليناجي نفسه بما يجريه في هذه الدعوى التي اوقفته
 عرضاً شاهداً على ما مر في ايامه بكلمة واحدة

واول خاطر بادر لذهنه كان ان ينضي على خصمه بحكم البغضاء التي
 تولت صدره لاسيما في سبيل ينهباً له مناصبته وقتالة دون خطر ولا حذر .
 اذ بد له ذلك الشاب بصفة منكرة يئن تحت عبء جريمة القتل خلافاً لما
 كان قد تصدى له من قبل فصار يلذ له قهره وانلافه بجذ ظي الشريعة وقبل
 ان يعتمد على هذا الراي ثارت في نفسه عاطفة الحنان وسطاع لدى عينيه
 مصباح الهدى فاهتدى لرشده وقال

— آني لي ان اجمع بين الحق والعدل وانا انسان متجمل بمزايا الانسانية
 كلاً انه لا يسوغ لي ان اعمل بنص هواي ونبي في مراعاة خصمي وعدوي
 بل يجب ان ارجع في مناصبته الى الحق والعدل لانه ليس للقاضي العادل ان
 يجوز على الخصم عملاً بما في نيتو بل بما في شريعته وسنته وما انكره على نفسه
 لا ارضى عنه لقربي فهل كنت ارضى ان يحكم علي القاضي بهواه لو اطعت
 هواي وغبي فسطوت على البرت أما كان من الواجب ان استقبل الحكومة

منصبي حذر ان ابغي على عدوي تاركاً لآخر الانتقام منه حباً بشرف الانسانية
لا لا ان اعتزالي بحجف بكرامتي وبوء ذن بضعفي وعجزني عن تجريد نفسي
من اهوائها في مقام لا يقتضي ان اعمل فيه الا بما تشير اليه الشريعة ليس غير
نعم نعم انني ارافعه فاقضي عليه اذا كان جانباً واصرفه اذا تبرأ من اثمه فضلاً
عن داعي الشريعة الذي يدعوني الى التزام العدل في هذه الدعوى ان شرف
كلارا يدعوني ايضاً ان اذود عنه ما استطعت للذود سبيلاً فابعد من طهارتها
كل رصمة . وقد ارى ايضاً ناباري ونوال يتوقعان مني الفوز بالجاني لما لها
في سقوطه من الفوائد الجمة . . .

فعقيب ان وطد دايرون نفسه على القيام حكماً في دعوى خصمه البرت
رأى ان قد طال بنجواه الزمان فقام يوافيه وكانت الساعة نحو الثالثة من
نصف الليل

وكان ناباري في تلك الاثناء بتصفح حبناً جريدة وجدها على الطاولة
وحيناً آخر يوجه الفكر الى المسئلة التي استغرقت افكاره فيتدبر وجوهها
كلها وطريقة اثباتها لدى تحويلها الى مجلس النضاة وبينما هو على هذه الحال
دخل عليه المستنطق قائلاً

— اسالك العذر يا اخي اذ غادرتك في خلوتك طويلاً
فقام اليه ناباري مسلماً واجاب — لا باس يا مولاي فان الخواطر اني
دارت في خلدي ارتني الزمان قصيراً فأنتسني في وحدتي
ثم تقدم دايرون وجلس مجلسه في الغرفة وقال — ان اعتزالي عنك
كان للبحث في هذه القضية الخطيرة

— وانا يا سيدي قد اطلت الفكرة فيها حتى انتهيت الى حد الطريقة
الواجب اتخاذها في لقاء القبض على الجاني البرت دي كومارين
— لقد بلغت الحد قبل الاوان

— كلاً يا سيدي واملي ان توجه اليه الطالب غداً صباحاً فتامر في جلوسه

الى دار الحكومة

— أراك يا ناباري تجري في سيلك جري الساري على هدى لا يخشى

معارضاً

— ألم تتضح لديك حقيقة جنائيه والاسباب التي حملته عليها . فهل من
سواه يتعرض للفتك بالاية لروج وسلب اوراقها ورسائلها لولا ان له في ذلك
أرباباً عظيماء . فما كان اشقى نوال لو فاتنا الاهتداء الى الجاني والوقوف على اثره
— مهلاً يا صاح ان في المسئلة نظراً . . .

— هل من مانع بحول دوسا في فصلها

— لا خفاك يا اخي ان الحكم في مثل هذه النضايا من الامور التي تستوجب
التبصر والتحقيق فلا يسوغ لنا ان نادر للحكم فيها قبل ان نستكمل معادتها
لان البراهين والبيانات التي تقدمت بين ايدينا هي دون الاسباب اللازمة
لابراز الحكم . فاخاف ان تنهور في حكمنا فيؤاخذنا الجمهور به وينادي
بخطائنا علناً فضلاً عما نكون قد جلبناه لنفسنا من الفلق الذي لا يزول
مدى العمر

فاستاء ناباري من تمهل المستنطق في تنفيذ طلبه وقد كان يود لو بعث
بطلب البرث حال تقريره فقال في نفسه - اخشى ان يكون قد فعل في نفس
دايرون جلاء الفيكونت فاخره عن تنفيذ الاحكام
فاعترضه دايرون قائلاً - أرى ان توجه اليه رقعة الحضور للتحقيق
عما اثم به

— يجيب بذلك الامل ويحيط العمل

— لماذا

— لانك يا مولاي تكون قد نهيت المخاطر في تلك الرقعة فيحاذر الجاني

المثول لديك فيسعى في التصل من ورطته بالهزيمة

فقال المستنطق برأسه ما اعاذ اصابة راي القفاف المتطوع

فاستأنف ناباري الخطاب قائلاً - اعلم يا مولاي ان الخصم عزيز المقام شديد المنعة مجرب مدرب لا يعجز عن الاخذ بالاسباب التي نفيه شر ما يتوعد به العدل ولا بد ان يكون قد نظر منذ الآن في دفع النهم ورد الظنون التي تصوب اليه . فلو اقتصرنا على رفعة الحضور لاسعدته بها على النجاة مما وقع فيه فانه يمثل لديك وعلى يده البنات الساطعة والبرأمين الناصعة التي تنفي عنه التهمة فيثبت انه كان ليلة حدوث الجناية في قصر الامير فلان فطال انسه بمجلسه حتى الصباح الى غير ذلك من التفاصيل التي تقضي عليك بعد سماعها ان تقوم اليه بحق التعويض عما لحق به من الغضاضة فتلتزم بحضرتي العذر الى ان تشبعه بالاكرام اللائق حتى الباب

اما انا فلا أرى سبيلاً لاخذه باقراره الأ مبادئ والاقبال اليه فجأة دون انذار او نبأ آه ليتني كنت مستنطقاً فيشهد مني سيدي العجائب

— قل بما كنت تجريه

— كنت يا مولاي اقصد الغاية توادون ان احيد او انحوّل عن نهجها فاطرح عليه الاسئلة الصريحة دون تمويه فأيّن له صحة اعتقادي بوقوع الجناية منه فابدأه بالخطاب قبل ان يبدر منه كلمة واحدة فاعطل البيئة التي يزعم تقديمها مؤيداً بها صحة وجوده تلك الليلة في الساعة التي حدثت فيها الجناية عند اصحابه معترضاً عليه بامكان توقيف الساعات حسب المراد وابطال شهادة اولئك الاصدقاء بقولي له - عند الساعة الثامنة كنت سارياً في الحجاب الى ان ركبت عند الثامنة ونصف الفطار في محلة سان لازار فبلغت موقف (روبل) عند التاسعة ومنه نزعنا الى لاجونشار فطرقنا عند التاسعة وربع شباك منزل الأيمة لروج فدخلت الدار وطلبت اليها ان ترصد الطعام ونقدم الشراب فما أذنت الساعة بالتاسعة ونصف حتى فتكت بتلك الأيمة فقلبت كل ما وجدت في منزلها من الاثاث فاحرقنا الرسائل والصكوك وقمت تجمع في مندبل ما لقيت من الثمين عندها لتوهم انك لص ثم انصرفنا

بعد ان افلت الباب جيداً ولما بلغت (السان) التيت فيه المنديل وسرت
نقصد موقف النظار رجلاً وعند الحادية عشرة سكن بالك وزال بلبالك
فعلت ذلك ولم تدرك ان لك من زمانك خصمين حاذقين لا يلو بان
عن قصد لها قبل ان يدركاه وها الثقاف (تريكوير) والصدفة . ثم امك
ارتكبت في ما ركبت من الشطط ما لا يغتفر وهو امك اخذت تلك الليلة
ببعل رقيق وسترت كفيك بكنوف لونها اغم وارتكبت بقبعتك وظلتك .
فبح بالحق ولا تمار فاسمح لك ان تدخن في السجن بالتبع الخاص الذي الفت
التدخين به

ذلك ما اقصد عليه وليس غير وما أخاله يتمالك عن الاقرار بذنبه للحال
منطرحاً لدي برجو السماح والصغ عن زلته

فاعترضه دايرون وقال - واذا ابي الاقرار فاصبر على الانكار
- لكل مجال مقال

فاطرق دايرون عندئذ رهة ثم اخذ القلم وقال
- اني اليك بما رايت في القبض على البرت دي كومانين لكنني لا ارى
بداً من الاستفراء والبحث فاسال الاب والمحامي نوال جردي عما يعلمون من
امر الحادث قبل ان انصدي لسؤال المتهم . وفي الرسائل التي ذكرتها لي عظيم
فائدة فمن المفتضي ان احرزها عندي

فاكد وجه ناباري عند ذكر المحامي وخفق قلبه فقال - لقد صرت
يا مولاي الى ما كنت اخشاه
- وما الداعي الى الخوف

- اذا علم يا مولاي نوال باشهار رسائله وجه لا شك ظنة الي فاقوع بي
الوشاية ورماني بالغيبة فحذر كل اصدقائي مني فاضطر اخيراً ان ازايل منزلي
واهرب البلد

وكان خوف ناباري شديداً الى ان اذرفت عيناه الدمع فاوى المستنطق

اليه وقال

— لا تخف بأساً فاني اطلب اليك بالرسائل عن اسباب تنفي عنك التهمة
فابين له الطريق الذي ادى بي اليها وهو انني اطلعت على اوراق كانت لدى
الائمة تشير الى الرسائل التي احزها عنده

فسري عن تاباري شيئاً وقال — انني لا استطيع بيان شكري عن جميلك
فاعتمد يا مولاي على صدقي في كل مهمة تعهد بنصائها اليّ واسرّ ان اشهد
الاستقرا. بنفسي

— كان في نيتي ان ادعوك يوم اجراءه
وما زالا في خطاب وجواب الى ان جرّد الفجر حسامه فطارد الليل
وظلامه فقال عندئذ المستنطق — يترتب عليّ قبل اخذ الابهة للغوص في
هذه الدعوى ان اكشف مدعي عمومي الملكة فانصرف من عنده الى دار
الحكومة فادخلها قبل الساعة الثامنة فاود ان اجتمع بك فيها
فقال تاباري برأسه شاكرًا فضل المستنطق وما كاد يتم التحية حتى اقبل
غلام دايمرون وقال مخاطباً مولاه

— جاءك يا سيدي شرطي بوجيغال بهذه الرسالة وهو ما زال بانتظار
الجواب في الدار

فاخذ المستنطق الرسالة وقال للخادم — احسن استقبال الشرطي واكرامه
ثم فض الرسالة وقرأ ما ياتي عن الزعيم جنرول
« مولاي »

« ان حسن المجد قد هداني الى اثر الرجل المشنف الآذان فوقنت على
« حاله في حانة دخلها صباح الاحد بعد مزابلته منزل الائمة لروج . فطلب
« الى صاحب الحانة خمرًا ونقده الثمن ثم فطن الى عيد مركبه فاستزاده خمرًا
« من اجل الاحتفال في ذلك العيد فعمدت الى التفويم لانتخف اسم المركب
« فاذا هو يدعي (سان مارين) وعلمت ايضا انه كان مشحونًا حطة فبادرت

« للحال الى مراسلتكم بهذا الشأن ليصير التحقيق عن امره في باريس وروين
« وما اذالكم تفضلون السيل »

فعقيب ان فرغ المستنطق من قراءة الكتاب ضحك ناباري وقال
— ما كان ابطاً جفروا في سعيه ايشهر الآن سيفه للقتال وقد كتب
لنا النصر فيه وانحس الجبال . فأمل يا مولاي ان تكتب اليه في العدول
عن الجناح
— كلاً دعه يجد في بحثه لعله يعثر على ما فاتنا من الاسباب التي لا تخلو
من فائدة يحسن الوقوف عليها

الفصل الثامن

عود الكونت

انه في اليوم الذي ذاع خبر جنابة لاجونشار وفي الساعة التي دخل
ناباري منزل الائمة لروج باحثاً عن آثار المعتدي كان النيكونت البرث دي
كومارين قد ركب العربية قاصداً موقف السكة الشمالية للقاء والده . ان
مكاشفة نوال (الحامي) النيكونت في منزلها كانت قد فعلت في نفسه حتى اصررت
جسمه باحرمته الراحة ففجر المنام وانكر الطعام فدرى به (لوبان) الغلام
فتعجب من تحول حاله واشتداد هزاله فسأله ان يعدل عن الذهاب الى لقاء
ابيه حرصاً على راحته فاني النيكونت الا الامثال لا وامر الكونت لانه كان

قد أعلن له وصوله في رسالة برقية انفذها اليه منذ يومين
فما انتهى الى ردهة الموقف حتى بلغه النظار فترجل الركاب وفي جملتهم
الكونت والى جانبه غلام يحمل متاع السفر

كان الكونت دي كومارين صحیح البنية قوي العضلات معتدل القامة
يوم رائيته بحسن هيئته الوداعة والبشاشة على انه كان اشد الناس حرصاً على
التيه والخيلة وكان يشبه في ذلك المركيزة دارلانج التي مرّ بنا وصفها غير ان
الكونت كان يكتف في صدره الازراء بن كان دونه في المقام او قصر عن
اكتساب الجلاء خلافاً للمركيزة التي كانت تزدهي الناس جهر لا يصددها من
نفسها عن احتقارهم والوضع من شأنهم زاجر ادي

فلما ابصر الفيكونت البرت والده مقبلاً مشى امامه حتى استلم يده فتعانقا
معانقة لم يتجاوز حد الرسوم المألوفة عند اصحاب الجلاء فتبادلا استعلام الحال
بعد النجاة فلاح للكونت هزال البرت ونحول بدنه فسأله قائلاً
— مالي اراك ناحلاً ضئيلاً هل اصابتك علّة اثناء نغبي

فاجابه الفيكونت بايجاز — كلاً يا ياي

فلم يصدق الكونت الجواب، ظهر التجب والحيرة فصرف النظر وقتئذ
عن الخوض في هذه المسئلة الى الحديث مع غلامه مشيراً اليه في انفاذ بعض
الوامر التي كان قد القاها لديه قبلاً ثم قال لالبرت — هيا بنا نقصد المنزل
على عجل لانني شديد الحاجة الى الراحة والطعام

وكان الكونت حزينا في عودته الى باريس بالخبية مما كانت برجوه في
رجائيه الى النسا وما زاد كدره انه نزل في طريقه دار احد اصدقائه فادى
به الجدال معه الى الخصام ففصل عنه دون سلام . فما كاد يستوي في العربة مع
البرت حتى عاود الحديث في بيان الخصام الذي حصل فقال لابنه .

— ان جدالي مع الدوق دي سيرموز أدى بنا الى النور فهجرته عن قلى
— فلما اتقنا بالرأي فباعنا مراراً ثم سكنا الى الصلح والسلام

— لا لاني فاطمته بتاناً فانكرت اعتباره منذ علمت بما نزع اليه اخيراً
فانه يسعى في بيع قصره ودساكره ليمتري بثمنها اسهما بغية ان يزيد في ربي ماله
— وهل في ذلك ما بوجب القطيعة

— نعم ولا ادعى من ذلك السبب اليها

— لا خفاك ياسيدي ان عيال الدوق تقتضي زيادة النفقة فلا يرى

بدا اذن من توفير موارد المال للقيام باودها

-- كان من الواجب ان ينظر في الاقتصاد فينقطع في منزله فانعما بما

قتح له املاكه ويعني في تنقيف بكره وتهذيبه وقد صرحت برأيي للدوق

فاطمته على الحقيقة جلياً دون رياء وافهمته ان صاحب الجلاء يقتضي ان

يكون حريصاً على الارزاق التي تصل اليه من ابائه وفي يوم انزراء بجفوق

الشرف بل يعتبر خيانة في اعين ذويه

— لقد بالغت يا ابي في مواخذة الدوق

— لا تكبر قولي بخيانة الدوق وعمدي ما يؤيده فاعلم ان النفوذ انما قائم

بالمال وذخيرة المال الارض وقد اتاك رجال الثورة البرهان في ما ابدوه عام

٢٣ سميّاً في خنص شان النبلاء فاؤل ما عمدوا اليه محو آثارهم ففات النبلاء

قصد المتحاملين عليهم فنبه احد الوزراء خاطر الشعب الى الادّخار فانتبهوا

ورأوا الغنى في ادّخار الاموال في صناديقهم حتى تغلب عليهم الاكّار باحتكار

الارض فكان ماله وطيد الاساس صحيح المورد ثابته . وما كان اجدر بالنبلاء

ان يتشبهوا في ذلك الاكّار فيسعدوا في استرجاع ما فقدوه باحياء الزراعة

لا التجارة . فبدل ان يسرف ماله في المحافظة على ترفو وترهلو دون مورد يرجى

منه العوض كان من اللائق به ان ينقطع في قصره فيقتصر على رعاية رزقه

متوفراً على العمل فيه مقصدّاً جهده في نفقته بيتاع من الارض ما ينهيا له

اتباعه شيئاً فشيئاً الى ان يعاود مقامه وبعثلي من المجد سنامه

ولا يند عنك يا البرت ما في احراز الارض من الغنى وحسي بما انا عليه

شاهدًا بؤكد لك صحة ما اتيتك به فان الارض التي ورثتها عن ابي في
 بلانلافيل لم تكن تتعدى قيمتها المئات فاصلحتها واستنفدت الوسع في غرسها
 الى ان غدت نباتًا تتجاوز قيمتها الالوف . فما اضل سعي النبلاء اذا استمروا
 على الخطة التي يتبعونها وكلما اسمعهم يشنون ويشكون قلة المورد اهز منكبي
 استغناؤًا مصرحًا لم بما يتوعدهم به الدهر من النافعة لجهلهم تدبير شؤنهم ولا
 يبعد ان ترى الاكار متغلبًا بجهده على مجده اولئك النبلاء المتقاعدون فيزجهم
 وراءه ساخرًا منهم مزرية بجلالهم

ولما انتهى من كلامه الى هذا الحد كانت العربية قد دخلت فناء القصر
 فوقفت عند الدرج فترجل الكونت اولًا ثم تلاه النيكونت يتخطيان الى باب
 الدار وهناك هرع الحشم والخدم على اختلاف درجاتهم الى استقبال مولاهم
 بكل احفاء واکرام فجاز بينهم مسرورًا الى غرفته حيث بدل ثيابه وفي تلك
 الاثناء وفد عليه القيم بدعوه الى المائدة فانصرف الكونت للحال اليها فدخلها
 مع النيكونت الذي لقيه عند الباب فجلسا على الطعام حتى اذا انتهيا اخذ
 الكونت باطراف الحديث فبني كلامه على موضوع كتاب كان قد تلقاه عند
 عودته فقال

— ما كدت اطأ فناء القصر حتى وفد عليّ الرسول بكتاب من
 بروافرني يبين لي فيه مساوي ذريه ونقائصهم في السياسة تارة فيحازرون الى هذا
 وآونة يشابعون ذاك شأن من لا يجد من نفسه عضدًا يستند اليه او يركن
 في امره عليه فيتزعج عاجزًا الى من يسترده واذا عزّ عليه لقاء من يشد ازره ركن
 الى اهل الدبر واعصم بجهلهم ولكن اين مصلحة من مصلحةهم وقد شهدنا مرأى
 العين تخلفهم عنا حين الشدة وامتناعهم في انانيتهم امتناعهم في الصوامع . تلتفنا
 الايام فتغنيهم ولا كفتنا ما سريع الزوال بل يمتنعون به طويلاً اذ لا سنة تقضي
 عليهم بما تقضي علينا فلا وريث ينازعهم ولا شريك يقاسمهم وباعتزالهم صابرين
 احرزوا من المال ما يغني التلال

— لئن ساءك يا ابي نهمهم فعد عنهم واهجر سييلهم
 — أتراني المنح ألا تعلم بما يتخذونه من الذرائع لاسترجاعهم اذا آنسوا
 مني انكار انحرافهم والتجافي عنهم كلاً ائنه لا يسعني ان البث مصراً على عزيم
 حذر الفلق والاضطراب في داري فاعاود الاستمسك بعراهم حيلة لمصلحتهم فان
 يرغب نبلاء باريس في اصلاح ما اخلل من شؤهم وصرف البلاء عنهم
 فعليهم باحياء سنة البكورية

— ذلك امر بعيد المنال

— انكون في جملة المعترضين على صحتة

ان البرت ادرك سر هذا الخطاب فامسك عن الجواب فاستأنف
 الكونت كلامه قائلاً

— ما ضر اصحاب الجلاء من ذكور واناث لو اجمعوا على تخلية اموالهم
 لبركرهم مدة خمسة اجيال فيرتضي كل منهم عنها بشيء من الربيع بصيبة مسانمة
 كفاء نفقته اليس في ذلك سبب لوقاية مال الاسرة وزبادته
 — اين نحن اليوم من عهد الاخلاص والمصافاة

— صدقت وانا على يقين من انصرامه وشاهدي فيك . كم من مرة
 دعوتك الى هجر حب حنيدة المركيزة دارالانح ولم تبعاً بدعوتي ولم تصدق
 اخلاصي حتى قضيت علي بعد ثلاث سنوات ان اتقاد اليك طائناً

فحاول ان يكون الاعتراض فصدده والده قائلاً — ما لنا الآن والعود
 الى الخوض في مسألة حكمت لك فيها اضطراباً فاقصر الجدل ولكن اعلم
 يا البرت انك ستكون علة لتفويض اركان بيتنا فلا يمضي على اولادك وحندتك
 نصف جيل الا ويندثر مالك فيصير كلهم الى الفاقة والعوز

— اراك يا ابي تصرف الامور تصرفاً يعود بها الى السر

— اذا كنت لا تندبر الامر قبل وقوعه فما انت بحكيم ومن اطال الفكرة
 في تدبير العمل من النشل فان السعادة التي نتمناها هي عين الشقاء لان

النبيل جل ما بصرف الهمة اليه صيانة شهرته وما من شيء يصونها غير ما
ذكرت فان الثناء التي تعشقها لا تملك شر و نقيير على اني كنت قد انتخب
لك من تنال منها مالا جزيلاً فانكرت الراي وصدفت عنها

— لا استطيع حبها

— أني فنجاني من كانت ناتييك بمبلغ اربعة ملايين في مجولها فوق ما نعطيها
ملوك الزمان لمخدراتهم مهراً فضلاً عن الاماني والآمال

ان الكلام في هذا الموضوع غزير المورد غير ان الفيكونت قضى عليه
بالايجاز في امساكه عن المجاورة فيه فاستاء الكونت جداً من سكوتيه في معرض
البيان واعد ذلك منه عناداً فرماه بالفاظ دفعت الابن للجواب فثارت في
الاب حدة الخطاب فقال

— مالي اراك ضعيف الراي في المناظرة غائب الذهن دون ابن القيم
ذكاء كأنك خلقت أمياً لا ابن جلاء

لا ينكر ان النغي يدرك الانسان احياناً في المناظرة او المحاضرة فلا يحضره
الجواب في المعنى المرغوب فيعتصم بالصبر مأموراً . ففي اثناء تلك المكاشفة
كان الفيكونت يتقل من هم وكدره على مثل الجهر الى ان هد صبره فقال
— لكن كنت قد حاكبت العامة بذكائي فلا عجب وقد وضح السبب

فلما سمع الكونت هذا الجواب الصريح بدل تلك الحدة بالسكينة فسأله
متنداً

— ما المراد بهذا الكلام

ان البرت كان قد فطن لبعده مرمى الفاظه فاخذ على نفسه ارسالها ولكن
لات حين اصلاح فاستأنف كلامه قائلاً

— سيدي ان لي حديثاً اريد ان اطلعك عليه وموضوعه شرفي بل
شرفك وشرف آلك . وقد كان قصدي اغفاله الى الغد حذر ازعاجك
ليلة عودتك ولكن اذا شئت كشفتك لك للحال . وتيقن يا مولاي اني

لا اعود باللائمة عليك في ما نالني لما وفرت لدي من الغبطة والسعادة . . .
 ان الكونت نظاهر بجهل ما يريد الفيكونت في كلامه او عرف به بما
 فطالب اليه البصريج قائلاً - دع التهيد واقصد المراد
 فوجم البرت برهة بلمس الوجه الذي يتجه في جوابه ثم قال
 - مولاي انني تصفحت اثناء تغيبك الرسائل التي كنت انفذتها الى

مدام جردي

فما كاد الكونت يسبح - كر الرسائل حتى نرا نزو من لسعته افعى فصاح
 بصوت عييف - اقصر المقال فلا تزددني منه حرفاً
 ثم عاود الوقار فاستأنف الخطاب قائلاً - صدق من قال بمحدث
 القلب فقد قرأت على وجهك ساعة اللقاء شيئاً ما تريد الآن بيانه فعرفت
 انك دريت بتلك النصة

وامسك كلاهما عن الحديث برهة الى ان سمع الكونت حركة في جيرة
 الغرفة فدنا من الفيكونت وقال له - اصب يا البرت في القول بواجب
 الاحتراز حرصاً على شهرتنا فمن المقتضي ان نأخذ بهج قاصد بقينا شر الغوائل
 فانبعني الى مخدعي

ثم اطن الجرس يدعو الغلام فاشار اليه ان يكتم وجودها كل زائر



الفصل التاسع

دخول الثقافة دار الكونت

ان اعتلان سر الكونت ثار في نفسه نائرة الغضب قبل العجب لانه كان
بحسب جلاء الحقيقة منذ اربعة وعشرين عاماً فيتوقع اذاعة السر الذي يتجاوز
الاثنين لاسيما في بطون الاوراق

ولسائل يسأل . كيف ان الكونت المدرب في السياسة الخبير في احوالها
حليف الحذر والوقاية اضرب اثناء تلك المدة الطويلة عن تعطيل رسائله
الغرامية التي تؤخذ علو حجة عند خصمه

فالجواب على ذلك يناط بمن غشى العشق على بصره فاعماء واصم آذانه
فأصاه . ومن المعلوم ان اخا الهوى اذا تملكته الشهوة من قلبه أعمت البصيرة
فراح الهائم بهم لاهياً بمحاضره عن مستقبله . فمن من الرجال اذا نزل فواده
الهوى قال به الى حب امرأة فكلف بها الى حد التلف ينطن الى الحذر او
ملافاة الخطر

قل لمن يستميت في حب هندي ناشراً قاله لديها وقيلاه

سوف تلقى بما أحببت وبالأ كمششون في الهوى من دليله

فالكونت دي كومازين كان لا يتجرأ على طلب تلك الرسائل اثناء
اعتلاقه بنايري بل كان كلما خطر له طلبها زجرته نفسه خيفة ان يغضب خليلته
وطدته على الاعتقاد بحسن امانتها قائلاً ان السبب الذي يدفعني الى استرجاع

نلك الاوراق يدفع ايضاً فالري للمحافظة عليها وكتبها لانها هي العامل في
 شر الغواية فضلاً عن ذلك ان ولدها كان له في ما جرى جزيل فائدة
 وعقيب ان مرّ بجهها نحو ثمان سنوت اعترضت دونها الحيانة فتزع
 الكونت الى القطيعة وسعى في استرجاع ما فرط منه خطأ . ولكن لات حين
 مناص . فان الذرائع التي درها كانت محتملة لا تنفذه نيل الارب . لا سيما انه
 كان قد آلى على نفسه الانجذاب عنها الى حين يتمكن من استئصال جرائم ذلك
 الحب الراسخ في قلبه . فتوالت عليه الاشهر والاعوام وهو في حيرة لا يهندي
 منها الى صوابه . حتى رأى اخيراً ان لا سبيل الى الوصول اليها دون ان
 يعرض نفسه الى خصام عنيف ولا غرو فانه لو تقدم الى خالته بعد طول
 المدة بطلب الرسائل لحاذرت منه فامسكتها عنه حجة عليه . بل ربما كانت
 قد عطلتها علماً منها بما اطوت عليه من الاخطار التي تنهدد مصلحتها ومصلحة
 ولدها

ولما رأى الكونت اخيراً من نفسه العجز عن ادراك سوءه هجر السعي
 وركن الى الدهر في نجاته من شره . ففضى الكونت نحواً من عشرين سنة
 بالقلق والانعراج لم يمر به يوم الا وكان يجاذر فيه الوقوع في حباله . الى ان
 انت الساعة بالهول الذي كان يخشاه فاخذ يضرب الراي في نفسه علة يجد
 حيلة يدفع بها عنه الشر فلم ينهيها له سبيلها

وكان البرت ملتزماً في وقوفه لدى ابيه كل احترام الى ان جلس الكونت
 مجلسه وقد حاول التموه على ابصار مسبعه بالتجلد والسكينة لكن عينيه ابنا
 الا اذاعة سره ولما استوى على كرسيه افتتح الخطاب بهذا الكلام قائلاً
 — هات يا البرت ما عندك مفصلاً ولا يكدرك وقوفي لديك موقف
 الذليل فما اقامت عندي الا لتدري بما انا عليه فترني لحالي . ايه بلاغي ولا تمويه
 فمن انبأك بتلك الرسائل

ففي اثناء مناجاة الاب نفسه كان البرت قد اخلى بها ايضاً فهجس في

الوجه الذي يجهه في كشف علمه لا يورث اوضاع كلامه على طريقة تبلغ به على ايجازها المراد فقال

— صباح الاحد الماضي جاء رجل الى القصر يطلب مكاشفتي في امر خطير عهد به اليه فاذنت له بالدخول وجلّ ما نعد في مهمته وما نكلته في خطئوا انكار نسبي اليك وبيان اقامتي عندك بدل ابنك الشرعي تحت ستار الحب

— ألم ترسله بقلب من حيث أنى عجلاً
— مولاي كان من نيتي ابعاده لولا انه اراني رسائل شتي فالتمس مني تصفحها قبل الجواب

— كان من الواجب ان ترجعها في النار فتخلص من شرها
— أني لي ذلك وقد حال دون احراقها حرمة كاتبها فلما تحققت خطك اخذت الرسائل فتصفحتها بكل امعان
— فما كان منك بعدئذ

— سألت الرجل ان يهلني ثمانية الى يوم الفاك فاشافك في الامر ولذلك تقدمت بين يديك استعجلي الحقيقة
— ان ما قرأته كان الحقيقة بلا تمويه

وكان البرت يتوقع هذا الجواب من ابيه لكن الانسان اذا انذر بنكبة تهدده لا يلبث ان يتحقق امرها مراراً فوجم برهته ثم قال
— ان الرسائل التي قرأتها لم توكد لي ما توهمت به وما اودعتها من الخواطر والاراء والرغائب لا يفيد الحقيقة

اما الكونت فلم يكن ليغفل شيئاً ما رفته على صفحات تلك الاوراق التي كانت تثبت لديه بكل وضوح وقد تذكر ما كان يكتبه اليها في كل رسالة شاكرًا من حسن خضوعها لاشارته مسرورًا بنجاح حياته . فرد كلام الفيكونت قائلاً

— انك لم تنصف جم تلك الرسائل ولذلك ارى انه قد فاتك منها امور

خطيرة

— لم اذهل عن واحدة منها وقد اطلعت حتى على آخر كتاب انذنته الى مدام جردى نعلن لها فيه وصول كلودين لزوج الربيبة بما كنت قد كلفتها اليه تحقيقاً لامانيك في تبديل الطفلين

فقال الكونت في نفسه - ربما لم يبق من الرسائل غير ما ذكر فلم الح اذن في تحقيق اوهامه وارشده طريفاً بهتدي به الى ملاي . كان من الواجب ان اصرف النظر عن الجدال معه في هذا الشأن ويلاه ترى ما حل بهذه الشقية ربما انصرم حبل اجلها فقطع باملها

فعند ذكر موتها خفي فواد الكونت حزناً عليها فتذكر اسمها بمجالستها ايام الصبا وعرف جميلها عنده بما وفرت لديه من دواعي البسطة والسرور فاغفل ما جنته لديه وانكر ما ساءت به اليه . وكان قلبه طامحاً بذكر محاسنها كانه وعى ندفاً فيشمله الشدا الى ان يتلف . فردد في نفسه الاسف ولاح على جبينه اثر الحسرة واللمف

فتعجب الفيكونت مما رآه من الابدال في هيئة والده وجار لانه لم يد له ابوهم منذ اقام عنده على الحال التي رآه عليها في تلك الآونة . لكن الكونت لم يمنع فواده بلذة المخان طويلاً فعاد الى ما تعود وقال

— لم تنبئي يا البرت بصاحب ذلك الرسول

— ان الرجل كان قد ادعى قبلاً انه رسول ولما مثل امامي خاطبني

بالاصالة عن نفسه ولعله ابنتك الذي اغضبته حقوة واسمه نوال جردى — لقد صدق الرجل فان اسمه نوال ألم يأت في حديثي على ذكر امي

او بالحري امك

— انه المع اليها الماماً خفياً يقولو انه جاءني على غير علم منها وان ما اتصل به من الاسرار كان بطريقة غير مطروقة

فاكتفى الكونت بما وعاه من العلم بسابق حاله وتجنّب فادنى البرت منه
وقال له

— قد ترتب علينا الآن يا ولدي ان نقرن الجهد بالعزيمة لنُدفع عنا
غارة البلاء فاكشف لي نفسك وصرح لي بما ارتأيت في هذا الشأن تصرّح
الابن لابيّه هلاًّ دبّرت حيلة للنجاة

— لا ارى في سبيل النجاة الا وجهاً واحداً يجب عليّ ان آخذ به دون
اهمال

— وما عساه ان يكون

— مولاي من الواجب الحق ان انفصل عن هذا القصر فاعتزل المقام
الذي رقيته غير آسف وان ارد لابنك الحقيقي ما سلبه دون حق الحب
والمال والشهرة

فغضب الاب عند سماع حديث الفيكونت الصوابي فنهض من موضعه
وقال

— اني لا اصدق اجراء ما نويت فلا اقبل بانفصالك عني واعتزالك
المقام الذي رقيته ما طال عمري لان ما اجريته كان مني عن رضى ولي به
كل مسرة
— لكن يا مولاي ...

— لا نقاطعني الكلام واعلم انني قد ادركت اعتراضك قبل ان يجلي
فلا شك انك تريد ان تنعي عليّ اغصابي حقوق ولدي وحرمانه من النعمة
التي اتمتع بها فذلك خطأ عرفته منذ عشرين عاماً فبكيت ولم ازل ابكيه حتى
الآن . فاقصر الجدل ولا تتعرض للترحال

وفي تلك الاثناء لاح للكونت على جبين البرت شارة تنيد الاعتراض على
كلامه فبادر للحال الى تلافئها وقال

— أتحالي لا اشكو من بعد ولدي ومناجزته الدهر بشدة ام تراني

لا هيّا عن طريق التعويض لما بدر مني . آه يتأتى لي أحياناً ان ادفع نصف ما ملكت يدي دون مصالحة ابن من لم اقدر حق قدرها الا بعد وفاتها ولم يصدني عن تنفيذ اربي سوى حرصي على شرفك بل على شرفي في اظهار الحقيقة لانني قد صرت ضحية شهرة كومارين التي ورثتها عن آبائي فاخلفها لك ولا ولدك خالية من كل وصمة بعيدة من كل شين . فايك الاذعان لما نامرك به نفسك وان كان صواباً واعلم ان في اذاعة سرنا يشفي العدو المحدث بما . وكأين من السراة الذين دنسوا جلاءهم بشهرة فعلاتهم فأتوا كما عاشوا حلفاء الذل والخسة فمعاذ الله ان اركب في حياتي هذا المركب الحشن

وهنا امسك كومارين عن الكلام والبرت ليد صامت لا يتجرأ ان يتصدي للاعتراض احترام هيبة الكونت الذي تعود منذ صغره ان يطرق اذناه . الى ان استأنف الشيخ الحديث فقال

— باطلاً تحاول اصلاح الماضي دون ان تتعرض للخطر فهل يسعى ان انكرك ام افصلك عن داري سرّاً دون علم الناس كلهم . كلاً . فان الاسم الذي تخليت به يقضي عليّ ان احرص عليك الى آخر ايامي . ولا خنك يا البرت ان من كان في مقامنا لا يسعه ملافاة مساوئه عنواً بل لزمه كتمانها حتى القبر . فعليك ان تاتي منذ الان بما يؤيد شهرتك ومكانتك بين اقربائك وذويك ونهياً لمصادمة البلاء وصرف العناء

ولما فرغ الكونت من حديثه سال البرت الجواب قائلاً له — ما رأيت ايها الفيكونت

— اراك بعيداً من صد الاخطار التي اخشى اشتدادها ومع ذلك لا يمكنني ان انتفش من صدري شاك الضمير

فخبر الكونت من حديثه معترضاً بقوله — لقد ابطأت يا البرت في ادراك الخطر وفات ضميرك الفرصة اللائقة بانذارك . فما بالك تنكر الآن القيام عندي وقد كنت من قبل راضياً بما لي وشهري . فلا يسوءك ما تشكك في

الامتزاج معي ومن المعلوم ان مساوى الالب تلحق بالابن فعليه انت ندّي
ومن الواجب ان تقتسم هول الحال التي اوصلتك اليها وما تعانيه اليوم دون
ما قاسيته منذ اعوام

— ان حديثك لا يوجه اليّ بل لمن اغضبت حقوقي أنخاله يضرب عما
لديه من البينات عليك ام تحسبه غراً فتعصب على عينيه بما تاتي من الكلام
على اختلاف مبادئه ومعانيه
— انني لا اخشاه

— كيف لا وقد اوغرت صدره بسيرتك معه حقدًا عليك فلا يرى
بدًا من الاخذ بحقه منك . ولو ازرى بمالك وجلالك
— لا بينة لديه

— حسبه بما سطرت حجة دامغة
— ما كتيبه لم يتجاوز حد الراي كما رأيت
— مع ذلك انك اذعنت لما طويت عليه على رغم عنادي ولا يبعد ان يتخذ
شهودًا لتأييد مدعاه

— ومن هم الشهود أن تكون في جملتهم
— لم لا تذكر نفسك . وارك في هذه الدعوى اصدق الشاهدين . فلو
اوتي ان يدعوك الى المرافعة فمثلت بحضرة الحاكم فاجب عليك اليمين فيم
تجيب

فاربد جيب الكونت عند هذا السؤال وتعارضت في نفس الخواطر
فأثر صيانة جلائو فقال

— اسعى جهدي في صيانة شرف اباي
فهزّ البرت راسه مرئياً وقال — هب انك تحث في اليمين ضناً بشرفك
فيستجدي مدام جردي عليك
— ان مصلحتها تقضي عليها بالتزام خطتنا وما اراها تخلف بعهدا واذا

دعت الحال الى اخذ الالهة الدفاع قصدها بنفسي وحدثتها بالخطر الذي
يتهددها وينظرنا معاً فتحالفنا ولا تخالفنا

— واذا حالتك مدام جردي ناوئك كلودين

— بالمال اجلبها

— أنا من شر من تغريو بالمال على كتم شرك . ألا نعلم ان من باعك

ضيمه ربما كان عليه ديناً . فكما تخفم بدينار انطفئ غيرك بدينارين

— اذا ابت الكتمان توعدها بالتلف

— أذهلت يا ابي عن حب كلودين لمدام جردي وثقربها منها بحق

الرضاع وربما هي التي اودعته رسائلك فجعلتها سلاحاً في يدها لحين الكفاح

— آه ايتها كانت فدا الامين جرمان

— اما رأيت يا ابي كل الخطر في حياة شهودك

— كلاً ولا بد ان آتي بحيلة ادفع بها عن نفسي . . .

ان الكونت كان قد تعامى بعناده عن نور الحقيقة الساطع لديه فاصراً

يدافع دفاع الهائم في بيده لا نفاذ لها تدفعه الخيلاء وعزة الجلاء الى هجر

رشده وهده وتأييد زعمه على هواه ياي الاقرار بذنبه والتصرع بجريته كما مير

لم ير من زمانو نكد ابل عاش عمره رغداً . وما مثله الا مثل من يتوهم من

نفسه القوة قبل اخبارها فيجدها بنقل اعظم الاثقال وانتساف الجبال

وكان من مساوي الكونت انه كان يتأكد وقوع ما يتوهمه والنور بما يدعيه

كان له ان يفعل ما يريد ايان كان ومتى شاء .

وبينا كان يناجي نفسه بسر استأنف البرت الخطاب فقال — تبين لي

يا سيدي من حديثك حرصك على كتمان امرك وان باذاعه كل شر . وما

ارى مثل المعارضة مورداً للاراجيف والتقولات فاذا طلبت الى المرافعة ذاع

خبر الدعوى في اطراف اوروبا فحرب بها طبل الصحف فذيلتها وعلقت

عليها ما نهوى فيطهر اسمها في البلاد ويصبح مضغة في افواه الناس وهناك

الطامة الكبرى

— يستدل من كلامك رضاك عن امتهاني واذا لي
 — ارى من الواجب يا مولاي ان ابين لك مواقع الحذر قبل دنو
 الخطر فارجع لنوال جردي ابنك الحقيقي ما سلبته واصلح سرًا ما رشح في سجلات
 الحكومة واعز الخطأ والخلل في ذلك الى الظنر كلودين لروج ومتى اتفق
 الطرفان اتنى الخصام والنحس الجدال . فعندئذ يكون لي مطلق الحرية ان
 انصرف من باريس فاتجول في البلاد الى ان يتناسى الناس المسئلة ويضرب
 الزمان على آثارها

كان الكونت في شغلٍ من هواجسه عن حديث البرت الى ان اتجه له
 في المسئلة وجهه فقال

— بدل ان نصرف النظر الى الخصام والنزاع فلنعدل الى تسوية الخلاف
 حبيبًا فابتاع منه الرسائل بما يطلبه من المال والجاه ثمنًا يكفيه مدى عمره
 — راعه يا مولاي فهو ولدك

— كنت اود لو اغتالته المنايا فاخلص من شره وما اخاله باي المال
 الذي اجوده به واذا صدّ عني واصرّ على عناده البغته صراحة ان من كان
 ضعيفًا مثله لا يتحكك بمن كان اقوى منه فيفقد الخير الذي اعده به

فما اتم الكونت بيانه حتى صدقه عقله وصوبه رايه فعول على حل
 القضية بالوجه الذي بينا الا ان البرت لم يرجع اليه في ما رآه فقال له معترضًا
 عليه

— لا يكدرك يا سيدي اذا تصدبت لعكس آمالك فارينك العنبات دون
 الوصول الى ماربك بالطريق الذي مهدت فان نوال لا يهاب وعيدك ولا
 يخشى تهديدك وقد بدا لي في عينيه ما يحكي عن عناده وصلابته وهو كما تعلم
 ابنك متعلق باخلافتك منظور على طباعك وهو كالحديد ينصم ولا يلبس .
 ولم ازل حتى الآن اتمثله بالهيئة التي ظهر بها امامي واسمع في اذني صدى صوته

بخطابني باسترجاع حقوقه . والمحق يقال انه حريٌّ بذلك ولا حق لك بانكارها عليه دون ان تجلب لنفسك الملامة وتسومها الذل والعار بين الناس . فيسوقك من محكمة الى محكمة ومن قضاء الى قضاء حتى ينال بجهده امنيته او ونيته

فاضطرب الكون وأكبر من البرت الاعتراض على آرائه بعد ان عهد فيه الطاعة العمياء لاوامره فقال له
— ما المراد من حديثك

— انني لا اريد ان اسومك الذل في آخر ايامك فانزع مني هذا الاسم الذي لا حق لي به لاسي باسي الحقيقي واتخلي عن هذا المقام لابنك الشرعي . دعني اتم ما اوجبه عليّ واجبات الانسانية من نفسي احري من ان اقسر عليها حكماً

— اختلف عني حين الشدة . أتهجرني لذاتي آن النكبة . أني لك ان نفر بحقوق لم اصوبها ولن اصدقها

فنكس رأسه البرت وهو لم يزل ثابت العزيمة لم يحوّل عن رايه فقال - قلت يا سيدي بما رأيت فلن اعدل عنه وتيقن اني آبي ان انزع ابنك الشرعي حقه عليك

— تباً لك من ابن كنود

وكان غيظه شديداً حتى بخلت عليه اللغة بالفاظ يترجم بها عنه فعدل الحال الى السخرية قائلاً

— أن ما اظهرته لديّ يشف عن نراحتك ونبلك لا سيما في ما رأيت وهو ان تنفض غبار اقدامك على عتبة باب القصر قبل ان تندفع بين الناس ولكن لا اعلم بما درست لحسن القيام بينهم . ترى هل جمعت المال اللازم لنفسك ام اصبحت رجماً جزيلاً في المفامرة خلا ما كنت تبقي لديك من المال الذي كنت ادره عليك شهرياً . ام ثقل عليك حمل اسمي وشهرتي فبادرت الى

نزعها عنك ام ازعجك ركوب العربى فآثرت خوض الوحول رجلاً مع
اقرانك

— أما كفاني فحامل الدهر عليّ حتى اعنصبت به عوناً عليّ

— أما انت الداعي الى الحيف والاعساف لكن قل لي من ابن تستدر

المال اذا هجرني

ألا يكون لي امل بفضلك وجودك وما اخالك تنكر عليّ الاحسان
بما يكفيني القيام بمحاجتي مدى عمري

— واذا انكرت عليك المال فما حيلتك في جلبه

— أنى تنكر عليّ حقاً اقضيه من فضلك واطع فيه من جودك اعتماداً

على عدلك وانت اعلم من ان ازيدك علماً بما نالني منك في الحال التي صرت
اليها

— ما احسن بيانك واذكى جنانك لأنت خابني بشهرة الابطال ومجد

اعظم الرجال . لكن ما الذي يبعثك الى هذا التبرد

— ليس الا الحق

فهرّ الكونت منكبه ناظراً الى البرى . نظرة المزدهي به وقال — لانموه

عليّ باحاديتك المختلفة فلا بد من سبب خفي يحملك على القول بالتخلف عني

— لم يكن في نفسي من سرّ سوى ما كشفتك لك

أنهجرني وتعطل العقد الذي عقدته مع كلارا دارلانج فخاصمتني فيه مصرّاً

على انجازه

— كلاً باسدي فاني اوضحت لكلارا الحال التي انتهت اليها فرضيت

عنها دون الاقتران بي

— أترى جدتها ترضى عن البرت جردي لحيدتها بعلاً

— لا ريب ان جدتها لا تسع بالمسبع بعلاً لحيدتها العريفة النسب

ولكننا ننظر انصرام اجلها صابرين على الجوى

فاشند غضب الكونت من اصرار البرت والتزامه التوادة في كلامه
فقال له

— أهكذا شان من كان ابناً لي . لا لا فان الدم الذي يجري في عروقك
ليس من دمي ولا علم لي باصله . فلا شك انك ظلمتني
فاجابة البرت وقد ناثر من كلامه -- مولاي اعدل عن الابقاع بعرض
والدني . فلا اسمح لاحد ان يحط من قدرها بحضرتي
فلما سمع الكونت تهديد البرت تلهب فواده غيظاً فانتصب امامه انتصاب
من يريد قتاله وقال

— انطلق من امامي والزم غرفتك فلا تخرج منها دون اذني . وغداً
انبتك بما يكون من خاطري

فانصرف البرت دون ان يلقي عليه السلام وقبل ان يبلغ باب مخدعو
هرع اليه الكونت متحولاً عن غيظه فقال له -- عد يا البرت اليّ عد واسمع ما
اقوله لك

قال اليه الشاب متأثراً من تبديل صوته وهيئته . فحاطبه الكونت بهذا
الكلام

— انك لا تخرج من داري قبل ان اطلعك على ما في صدري . لأنك
جدبر بشهري ومستحق الخلف على مالي . ولكن كنت قد غضبت عليك فلا
ابرج اودك واقدر فضلك حتى قدره فهات يا البرت يدك علامة الرضى
فبسط البرت يده ولبث كلاهما متصافحين برهة بنظر اثناءها الواحد الى
الآخر دون ان ينبس بكلمة الى ان عاود الكونت موضعه فقال لالبرت -- دعني
اخلو بنفسى فادبر الحيلة في دره عاديات البلاء التي تهددني
فلما خرج الفيكونت قال دي كوما رين مناجياً نفسه
— ماذا بجل بي اذا تركني هذا الشاب الذي التبت عليه كل انكالي وما

يجري بذاك ...

ان تلك المناظرة كانت قد اثرت في نفس البرت فبدت لوائح الكدر على وجهه فبصر بها الخدم الذين مرّ بهم في طريقه فقال الحاجب — انه منه ثلاثين سنة لم يخرج الحدة بالكونت مع ابنه الى حد ما خرجت به هذه الليلة

فقال غلام الغرفة — لاح لي شيء من ذلك اثناء جلوسه على الطعام على رغم احتراز الكونت من الحديث على مسمع منا — ماذا عسى جدّ بيتها

— ان دانيس الذي كان يشهد مجلسها اخبرني بمثل ما سمعنا الان عنهم مراراً الاسباب لا طائل دونها

فاعترضها ثالث قائلاً — كان من الواجب على سيدي ان يكون ان يحسن الجواب على كلام ابيو فيتلطف بحديثه معه

فاجابة غلام الغرفة — لو شاء والدك ان يفصلك عن ماواه لتيسر لك ان تاتي عملاً تجني منه قوت يومك ولكن قل لي ماذا يرجو الفيكونت من النجاح بسعيه اذا طرده والده من النصر — انه ينفق من مال والدته

— انني في حيرة من العلم بالسبب الذي حمل الكونت على تفريق ابنه وتعيينه على انني لا ارى في سيرته ما يوجب الملامة . خلافاً لما اعهد في بكر المركز دي كورتيغوا الذي يكثر التردد الى هنا فانه من المسرفين المتترعين في الغواية

فاعترضه احد المتقدمين في الخدمة — اني لا عجب من اسراف المركز على قلة ثروته

— ولذلك كان يشتد الخصام بينه وبين ابيه . فكم من ليلة قضاها خارج المنزل في الملاهي ومثابات الغواية فاضطر ان اذهب بنفسه لاستدعائه — ان الخدمة في دار المركز لمن اشقى الخدمات واصعبها

— لا كما تنوهم فيما سعد الخادم الذي يذهب الى الندوة لاستدعائه ليلية
 ربحه فانه يفعم جيبه دناتير . ولكن لسوء الحظ كان ربحه نادراً فبعضاض منه
 بالتبع الجيد . وفي كل الاحوال ان الفيكونت يمتاز بسيرته وكرمه على ابن
 المركيز

ان الفيكونت كان يتتاب ندوة السراة فيقيم بينهم في عزلة اوجبت عندهم
 بعض النفور واجتناب الفتو الا انهم كانوا يحاذرونه ويحسدونه معاً الى ان
 تطرقوا في محاضراته الى الازراء بافكاره والعدول عن صحبته لتباين الاراء
 واختلاف المبدأ وتجافيه عن عاداتهم في احياء الليالي في المقامرة وغيرها من
 اسباب اللهو . ولما كان ممن يافون الضجر اخذ بالعمل تلهياً فمال الى السياسة
 وهي كانت من اجل الاسباب التي توجب النفور بينه وبين والده لانه كان
 يتظاهر بالمشرب الحر فضلاً عما كان يلقاه من المعارضة في حب كلارا .
 فما لبث صابراً على مناة ابيه في هذا الشأن حتى اقنعه اخيراً فرضي عن حبهما
 فاذا كان جالساً في غرفته وطائر فكره يحوم في دار كلارا يبتاجي نفسه بما
 يكون من الاثر في نفسها اذا بلغها القرار النهائي في تمام عقد اثنائها شعر
 بانزعاج شديد فدعا الغلام اليه وامره ان ياتيه بالشاي فدخل الغلام واذا
 رآه مكمد اللون قال له

— ما لي اراك يا مولاي مزعوجاً أسمع لي باستدعاء الطبيب اليك

— كلاً لا فائدة من حضوره فانه يجهل اسباب انزعاجي

ولما اراد الغلام الانصراف دعاه اليه وقال — اياك ان تخبر احداً

بانزعاجي واذا اعوزني شيء دعوتك الي

فعقيب ان انصرف الغلام قام البهرت الى النافذة المطلة على الحديقة فوقف
 عندها يسرح النظر تلك الليلة الممتن في حدائق الفصر مهجاً باشجاره الباسقة
 واحكام وضعها مصغياً الى حركات الخدم والحشم في انحاء بيتة بالنعمة التي
 احرزها وادعاً . فما تمالك ان تنهد اخيراً قائلاً في نفسه

— هل يسعني اعتزال هذا المقام والكفر بهذه النعمة وقد وعدت كلارا ان اتمتع بها معاً . . .

وبينا هو يناجي نفسه بامر مستقبله طرق اذنه ايدان الساعة بمتصف الليل فاقفل النافذة واتى ناحية المستوقد ليصطلي من البرد الذي ناله في التعرض للهواء ازاء الشباك . ونسكيناً لثائرة الخواطر التي كانت تستغرق ذهنه اخذ صحيفة وكانت تلك التي نشرت حادثة لاجونشار فتعذر عليه تصفحها لايلام ادرك بصره فالتقى عنه الجريدة وعن له ان يكتب الى كلارا فقام الى طاولته وكتب « حبيتي كلارا . . . » ووقف عند هذا الاسم لاضطراب افكاره وذووله فلبث على هذه الحال الى ان لمع الفجر فاستلقى من العياء على المتكأ فنام نومة مجهود اضته الاوهام

ولما كانت الساعة التاسعة ونصف طرق باب مضجعه طرقة عنيماً فانتبه من نومه مدعوراً فدخل عليه الغلام ملهوفاً وقد تصرمت انفاسه من الجهد في صعود السلم عجباً يريد مضجع مولاه ولما وقف به قال له بصوت منهج — امعن يا مولاي في الفرار واخنيء فيها انهم بالباب . . .

وكان رئيس الشرط قد وفد على الناصر برجالو وفي جملتهم ناباري فتقدم الى البرت وقال له

— أأنت هو كوي لويس ماري البرت دي ريتو دي كومارين

— نعم انا هو

فبسط الزعيم يده قائلاً — اني بحكم الشريعة التي القبض عليك

— أقبضني وما الداعي ولم هذه المبادهة

ان مفاجأة البوليس كانت قد قطعت به عن الهواجس التي كانت تجول في ذهنه فلم يكن ليصدق حقيقة ما كان يجري امامه بل توهم ذلك حلماً فتسأل قائلاً

— أأراقب انا ام راقد

وكان يحيل نظره من ثقاف الى آخر وهو في حال من الدهشة لا يفي بوصفها القلم

فبرز الثقاف رقعة الطلب قائلاً - دونك الرقعة التي توءذن بجلبك
فالتى البرت نظره عليها وقال حائراً - مقتل كلودين
ثم فنى قوله هاجساً بصوت اسمع تاباري وإعوانة - وبلاء لقد ادركني
التلف

وبينا كان الرقيم يشتغل باستنطاق البرت اخذ الثقافون القائمون تحت
قيادة تاباري ينقون في الغرفة باحثين في الصوان وكل موضع حريز فعثروا
على رسائل وغيرها من الدلائل التي اشار اليها المتطوع في لائحته
ففي الغرفة الاولى عثر على حربة مكسورة نقشت عليها شارة الجلاء من
فوق هذين الحرفين المختوتين من اسم البرت . ا . ك . ولما سئل الفيكونت
بيان السبب الذي اوجب كسر الحربة وضياح قسم منها . تعذر عن الجواب
وفي مخدع آخر وجد كساء الفيكونت ممزقاً لم يزل عليه اثر الوحول
والكلاء النابت على الجدران . وكان في جيوبه كف اغتم اللون ممزق غزيباً
بالاظافر ثم وجد في ذلك المخدع حذاءه وظلته على الحال التي كان اشار
اليها تاباري في تفصيله

ولم يزل تاباري ينقب في الغرف حتى عثر ايضاً على حفة ملائة من التبغ
المتاز الذي التقط اثره في منزل الأيمة لروج وعنيب ان علق بيان ذلك
على رقعة خاصة تقدم بها المتطوع الى زعيم الثقافين وهمس في اذنه قائلاً
- لقد لقيت ما كنت انتوقعة

- وانا قد انجزت مهمتي فعرفت ما كنت اود معرفته
- ان المفاجأة لمن اعظم الاعوان على استجلاء الحقيقة في المسائل الجنائية
- وقد كاشفت بعض الخدم فوعيت عنهم لما اتاني بالغريب من هذا

الامر

— احسنت فاسمح لي ان اسرع بالخبر الى المستنطق الذي ما زال في انتظارنا بعد الثواني

وكان البرت في تلك الاثناء قد حاول ازالة الدهشة التي استولت عليه بمبادعة الثفافين وزعيمهم فقال له

— اسمح لي ان اخاطب الكونت بحضرتك فاطهر الخطأ الذي آخذتني به

فاعترضه ناباري قائلاً — مالك وللدعوى بالخطأ والابهام فاجابه الزعيم — لا يسوغ لي ان اسمع لك بمكاشفة احد بل من الواجب علي ان انفي القبض عليك فاسوفك على العربية الى دار الحكومة دون امهال وبينما كان البرت منصرفاً بين الثفافين يتخطى معهم الدهليز رأى الخدم في اضطراب شديد من الحال التي صار اليها وقبل ان يبلغ ظاهر القصر انصل به خبير اغتيال صحة الكونت

فركب ناباري العربية يتلوه الركب على عربية اخرى كانت تجري بهم جري الغزال النافر



الفصل العاشر

نوال ازاء المستنطق

ان دار الحكومة تتألف من طبقات شتى كثيرة الغرف لا ينفذها النور
الاً من ابواب صغيرة تحاكي بوضعها ابواب نزل عئيد للاجرة . ليت لي قلم
(الدانت) الشاعر الايطالي لاقوى على وصف هول الواقف في الطبقة الثالثة
وما يساوره من المخاوف اذا احدثت به الجند عند حد الخلاص او الهلاك
فيتلقى من المستنطق تلك العبارة الحرية بان تكتب باحرف نارية على باب
مخدعه وهي « ان لدينا من الادلة والبراهين ما يثبت جنائيك فادفع عنك
اذا استطعت للدفاع سبيلاً »

وكان دايرون قد انقطع في مخدعه غلس ذلك اليوم رغبة في ترويح ما
لديه من الاعمال وتوصلاً الى دعوى كومارين التي اتفق مع ناباري على فصلها
فكاشف المدعي العموي وانفذ الى كل من المتهمين كالكونت دي كومارين
ومدام جردى ونوال وغيرهم رقعة الطلب حتى بعث بطلب بعض خدم
النيكونت يريد استكشافهم قبل مراعاتهم وبينما كان ينتظر قدومهم بذاهب
الصبر دخل عليه الكاتب كونستان فحياء واعنذر لديه عن ابطائه ذلك اليوم
فاجابه المستنطق

— لا باس فقد جئني لوفى الساعة فهي الاوراق واكشف السجلات

لانجاز ما لدينا من الاعمال الخطيرة

فلم يرض على حديثها بضعة دقائق حتى اقبل الحاجب يصحبه نوال جردي
الحامي وقد سكنت خواطره وزال عن نفسه كل هم وقلق كأنه قرب خليلته
جوليات فرفع عريضته الى المستنطق قائلاً له

— جئت ياسيدي ملياً دعوتك

فاستقبله دايرون استقبال من ألف المحاكم فاجلسه مجلس الحامي في المحكمة
وعقيب ان سطر الكاتب في السجل اسم وشهرة وعمر الرجل جرياً على العادة
في استكشاف الشهود نظر دايرون الى نوال وقال له

— هل عرفت ايها الحامي بالغرض من احضارك

— نعم ياسيدي وهو من اجل استكشافي في دعوى مقتل الكهنة في

لاجونشار

— اصبت

ثم فطن الى عهده المبرم مع تاباري في كم الناقل فقال مخاطباً نوال

— لئن كنا قد بادرننا الى طلبك فما ذلك الا لاننا رأينا ذكرك في

الاوراق التي وجدناها لدى الأيمة لروج

— لا بدع يا مولاي فان العهود الودادية كانت نفذي علينا بمواكفة

تلك الأيمة فانها كانت مرضعي وقد تواصلت بينها وبين مدام جردي العلائق

— فهات ما عندك من العلم بامرها

— يقتصر علمي على ما لا يستفاد منه خيراً في هذا الشأن لانني هجرت

الايمة صبيها فلم اتردد اليها كثيراً بل كنت انتد اليها الممد حيناً بعد حين

— هلاً زرتها زمانك كله

— لم اتجاوز في قياي اليها كل مرة كنت ازورها بضعة دقائق . وما

اقوى مدام جردي على بيان حالها لشدة تقربها منها

— فما الذي اقعد مدام جردي عن المجيء حتى الآن .

— ما اخالها تستطيع اجابة الدعوة لملازمها الفراش

— هل هي على خطر

— لا تصح شهادتها وهي على حالٍ من الذمول ادنى ما يكون اليها البله
فاستاء دايرون من هذا البيان وقال — أأنت على ثبات من قولك
— مولاي اني هجرتها على شفا المنية من الهزال والضعف فلا نتوقع
خيراً من شهادتها

— متى لزمها العلة

— مساء امس

— هل نزلت بها بغنة

— ان الظواهر تشير الى ان العلة بادتها امس غير اني اعنفد
بحدوثها من قبل بثلاثة اسابيع لاسباب تسببها جلياً ، عقيب ان فصلت امس
عن المائدة اخذت لتصفح احدى الصحف فوقع نظرها عرضاً على خبر حادثة
لاجونشار فستطت الصحيفة من يدها لاضطرابها فصاحت قائلة — تبت يدا
الشيقي

— تعني بالشيقي الشقية

— كلاً يا سيدي لانها لم تنصد الموضع

— وما كان ثم منها

— انها هوت للارض فرفعتها مع الوصيفة واحتملتها الى سريرها وارسلت
فدعوت الطبيب للحال اليها ومنذ تلك الساعة لم تنزل في ذهول تام
فقاطعة المستنطق البيان بقوله — دعنا الان من الكلام عن مدام جردي
واخبرنا بما عندك ألم تعهد لتلك الائمة من عدو أو مخاصم

— كلاً

— ألم يكن بين القوم من يبغى بها شراً حرصاً على مصلحي

وكان دايرون شاخصاً به مائساً من هيئته بياناً فتناثر الحامي من هذا
السؤال فاضطررت خواطره فتردد برهة في الجواب ثم قال — كلاً

سـ نأج نفسك وأرجع الى محفوظك لعلك تنظن الى من يكون يروم
بموت تلك المسكينة خيراً

— لا علم لي إلا أن تلك الجناية الحقت بي ضرراً عظيماً

— صرّح ايها المحامي مفصلاً اسباب الاحجاف والاعساف

فتمّ اثر هياج نوال الحفي بما ناله من الانزعاج فاجاب — لا اغفل يا مولاي
ذكر الحقيقة عملاً بما تفرضه عليّ الشريعة ولكن يضطر الانسان ان يمسك
عنها حرصاً على الخطر الذي يتهدهه وقد اراني شديد الغم في موقف بطاليني
بنشر اسرار مفاجئة تجلب الوبل

فلما آتس دايريون في وجه نوال اثر الحزن لما حمله على اذاغته من امره
توجع له ففأطعته الحديث مشيراً الى الكاتب بلطف ان يتخلى عنها برهة . فشكر
نوال المستنطق على حسن رعايته قائلاً

— انني استفيض بالشناء على حسن التفانك واشكر جميلك عندي اذ

ازالت عني ما كان يحول دون اظهار حقيقة امري لديك وقد تجسست كلها
من اخطار ومخاوف فضلاً عن المعائب . .

— قل ولا تخشَ بأساً فاني لا احفظ منها إلا ما يجي بفائدة في موضوع

الدعوى

— ارجوك يا مولاي ان تغض الطرف عن كل بادرة تبدر مني فعاملني

بجملك ولا تحمل كلامي على محمل الطعن والنفذ بل خذ عني الحفيقة بثوبها

الجلي . — كنت قد توهمت يا مولاي حتى حبت بجسبي فما ضلّني الاثمة الغي

والفساد فزال الريب وانجلي الصبح لذي عبين وعرفت الحقيقة من المين . ولما

كنت قد رايت نفسي في مقام يضيق بي عن سعة الشهرة عمدت الى العمل

فانقطعت في منزلي كالغريب اصرف الزمان بالكد والجهد لابلغ حد الوجهاء

والاعيان وكنت احب تلك التي نظرت اليها كامي محبة لا يحيط بها الوصف

ولا يشملها التعريف وما زلت على هذه الحال الى ان اثني العناية الالهية بتلك

الرسائل التي كان قد انفذها والدي الكونت دي كومارين الى خليلته مدام جردى اثناء اعتلائها فعقيب ان تصفحت تلك الرسائل ثبت لديّ فساد اعتقادي بدمام جردى وزال وهي

ثم تطرّق ايضا الى ذكر الحوادث التي سردناها عنه قبلاً في حديثه مع ناباري وما كان منه مع مدام جردى واقرارها بعهدها مع الكونت بعد الاحاح وما تبينه في زيارة الفيكونت دي كومارين محاذراً الاتيان بما ياخذه عليه الفيكونت اذا علم به واكثر من الثناء عليه لحسن احتفائه به واكرامه وتصديقه نسبه واذعانه لما تقضي به الشريعة وقصارى القول انه وصف البرت بجملة الظرف واللفظ وعرفه بالنضل والنبل

وكان دايبرون صاغياً الى قصته دون ان يلوح على جبينه ما يتم بعواطفه وميله الى ان فرغ نوال منها فساله قائلاً

— لماذا انكرت عليّ اشتهار اسم الذين راموا الائمة بشرطاً بمصلحتهم فعلى ما قرّرت اري ان لا مجال لك في مرافعة الكونت وقد قلت بجنون مدام جردى وموت المرضع فاذا انكر الكونت صحة الرسائل سقطت الدتوى وبطل عملها ولا ريب ان مرتكب الجناية قد نظر الى ذلك فاخذ الائمة احباطاً لعملك

— بالله يا مولاي لا تغفل بالاحباط ولولا ان الفيكونت قد صحح دعواه لما كان قد عراه الفلقى وعلت وجهه الكدة فاخجلت اعضاؤه عندما اطعته على الادلة التي تحقق نسبي وتجرده من الحقوق التي اغصبها والذي من اجله — هل سالك الامهال

— نعم ياسيدي وقد كنت طلبت اليه ان يذهب بصحبي الى الائمة لروح لازيل بشهادتها عن فواده كل شك وريب . فاضرب عن حديتي شأن من لا يفقه معناه او من لا يعرف المرأة التي كنت ادعوه اليها على انني اعلم يقيناً انه كان يتردد اليها مع الكونت فينفخها مال جزيل

— الم نعدتلك السباحة غرابية
— كلاً

— هلاً عرفت بالسبب الذي من اجله انكر الفيكونت صعبتك
— بلى . انه كان يريد ان يكشف والده بالامر وقد كان متغيباً
فسالني امهاله الى حين عودته

ان للحقيقة ادلة لا تحتاج معها الى اثبات فتنتشع بها غيوم الشك فدأبىرون
صدق كلام نوال وتأكد ان الغش لم يدنس له قلباً ولا عقلاً . فاستأنف المحامي
حديثه قائلاً

— سرني يا مولاي احالة النظر في طلبي الى والدي لانني كنت اتوقع منه
الفوز بما كان على يدي من البراهين التي لا يعتورها ريب فيكفيني مؤنة
المرافعة

— اما كنت ترافعه لو انكر عليك الطلب
— كلاً لانني لو فعلت لدنس اسمي سعييت واسعى في استرجاعه
فلم يتمالك دأبىرون ان اظهر عجبته عند هذا الجواب فقال
— نعم التجرد

— انني اوثر يا مولاي ان اغتلي عن شهرتي لالبرت من ان انصدى لطيفها
قائلاً بما قسمه الله لي ساعياً في تحسين شهرتي وتعزيز مكاني لكن جزى الله
مدام جردى عني ما هي اهل له لانها سلبتني مالي بما انفقته في سبيل هواها حتى
ايهظ عانقي الدين وحال دون نيل مرامي العوز

— لا تياس يا نوال فعسى ان تانيك الشريعة اليوم خيراً ولا اكتسبك
ما انتهت اليه ابجاث الحكومة في دعوى لزوج فانها ادركت اثر المجاني فالفت
القبض على الفيكونت البرت

— عجباه هل ما تقول يا سيدي حقيقة
— سنتصل بك النتيجة الواضحة اما الآن فاني اشكرك جزيل الشكر

على بيانك الصادق ولسانك الناطق بالحق فقد اسعدتني بما كشفت لي على ادراك الحقيقة في ما انحرأه اليوم فاستأنف رقم نصريحك الى يوم آخر حيث اجتمع بك في خلوة فننظّم معاً لكن هات الرسائل التي ذكرت لا تصفحها واحرزها لديّ حجة يرجع اليها عند الانكار
— سأتيك بها بعد ساعة

ثم انصرف نوال مثنيّاً على لطف المستنطق وجميعه مسروراً بما احرزته في مقابلته سروراً اذهله عن مرأى ناباري فادماً على العربية الى دار الحكومة بسرعة تحاكي سرعة الرسول اذا نقل بشري فترجل وصعد عجلالاً الدرج يريد مخدع المستنطق فما لبث ان دخله دون استئذان فتقدم من الكاتب وقال له
— لقد فزنا بالرجل ...

وكان يشير بيديه ويضحك مازحاً حتى اضحك الكاتب وغيره من حضر فساء دايبرون تظاهر ناباري بالفرح في غنيمته فاوى اليه ان يلزم الوقار ويعمل بما تؤذن به الحكمة والدراية في قضية نصمها العدل فيها حكمين مستقيمين

فاجابة ناباري قائلاً — لم يبقَ يا مولاي من مجال للريب وقد اسندت بحثي الى الادلة الصريحة فما اراه ينكر صحتها اذا سئل الجواب عما يقترح عليه من الاسئلة في هذا الشأن وهل يستطيع انكار الآلة التي جنى بها والكنوف الممزقة بتثبيت اظافر الائمة بها قبل ان تجود بروحها فاسالك يا سيدي تعجيل الحكم قبل ان يرفع الامر الى مجلس القضاة فاخشى ان يروا تخفيف العقاب جهلاً بما لدينا من البراهين الفاطمة بثبات الجنابة

ان دايبرون طوى كتماناً عن كلام ناباري الصادر عن حدة شديدة فاشتغل بما لديه عه الى ان آس فيه السكينة والوقار فقال له

— ان البرت جنى على نفسه بما بدر منه عند نفع رقعة الطلب اذا فر

قائلاً — ذهني التلف

— لا ريب يا مولاي في ما نقول وهل كنت تخالفة بقدر بخطائولو كان
على هدى فاننا ادركناه بتمليل من الفلق والضجير على كرسيه لا يعي من شدة
الغم والعجز ولقد لقيت بقريه تلك الجريدة التي نقلت خبر مقتل الائمة .
وعندي ان ذلك النبأ كان السبب الوحيد لارتباك باله واضطراب حاله
— صدقت يا ناباري وقد اعظمت سعيتك وشكرت فضلك في جلاء
هذه الحادثة الغامضة والذي زادني تأكيداً في نجاح جهدك ما اخذته عن
نوال جردي منذ برهة

— أرايت نوال وهل دري بشيء ما اودعته شرك
— كلاًّ اما وعدتك بالكتمان وهل من الواجب اذا قمت للبحث عن
امر ما ان اعرّضك للعلامة فيه
— لك مني جزيل الثناء على معروفك لكن ما افادك نوال وما
حكمك عليه

— انه بالحقيقة رجل استكمل صفات الرجال النبلاء فكشف لي بمحديته
عن شهامة ونزاهة قلما شهدتها في صدر انسان واطلعتني على اراهي بالحقيقة
فخر شبوخ الزمان فملت اليه واود ان اكون صديقه فاقبل بكل قلبي عليه
— ذلك حكم من عرف نوال وآفته وقد جعلته لدي بمقام ولدي فاوصيت
له بما لي من بعدي نعم هو وريثي ولا سواه . فان الزمان كان قد غرّني بحب
مدام جردي فجعلت له حظاً من مالي اما الآن فمن عزمي تعطيله وتحويله لنوال
الصادق الامين

— ان مدام جردي لفي غنى عن كل هباتك
— ومن اين لها الغنى هل الكونت . . .
— ان المنية تحرق بها فلا يمضي النهار الا وتشتئها
— ما اعجب حكم الله وما اسى تدبيره فانه سيفضي بيوم واحد على كل من
كان له يد في الشر والغدر وقد اذكرتني الان يا مولاي بما سمعته عند انصرافي

من دار دي كومارين فان احد الخدم كان يني رقيقة بيله الكونت على اثر
القاء القبض على ربيبه

— اخاف ان ينال نوال من هذه النكبات شرًا عظيمًا . لانه كنت اعتمد
على اقرار دي كومارين لتصديق دعواه اما الآن فمن يا تينا بدليل ثابت على
صحة تلك الرسائل وقد تعطلت الشهود

— صدقت يا مولاي في ما قلت وقد فاتني النظر الى هذه الاسباب
كلها فما الحملة لدفع البلية عن نوال

وقبل ان يتم تااري حديثه طرق باب الخدع ففتح للحال ودخل الكونت
دي كومارين بعضده الخدم فحي المستنطق ووقف صارفًا خدمه عنه

الفصل الحادي عشر

استنطاق دي كومارين

كان الكونت دي كومارين من الضعف والذل على حال لا يقوى على
وصفها البيان منكس الرأس واجف البدن شاحب الوجه وباحملة لاح كانه
شبع من الاشباح فصلاً عما كان يحيك في صدره من الاوهام التي لا يثبت
معها هام

وما كان اشبه دي كومارين لشجرة عظيمة قرض لحاوها فابقي الزمان
على قشرها الى ان هبت عليها ريح عاصفة فاقفلتها

بالامس كان الكونت يفاخر بعزته ويباهي بمكانته فيا بي ان يلين مستنداً الى جلالتهم وشارتهم ولكن ما اناه الغد حتى ذلّ وامتهن فطاطاً راسه خاضعاً بعد ان قرض العار مجده وسلبه كل عضد ومعين . فبدا امام المستنطق بصورة اليأس والتنوط حائر الفكر واهي العزيمة . فما كاد ثبت في المجال حتى اوعز دايرون الى الكتائب والى تاباري ان يفصلا عن المقام ففعلا دون ان يدري بهما الكونت ثم قدم المستنطق كرسيّاً ودعاه للجلوس فجلس قائلاً — لا يسعني الوقوف لضعفي وهزالي

لا تعجب اذا رأيت الكونت يعتذر الى المستنطق فيسأله السماح بالجلوس في حضرته فاتعلم اننا لسنا في عصر تخضع فيه الاحكام للقوة والمال بل نحن في زمان وقد فازت الشريعة بالقوة فسوّت بين القوي والضعيف والغني والصلوك . فعقيب ان جلس دي كومارين بدأه دايرون بهذا السؤال — اراك ضعيفاً مزعوجاً بما كنت لا تقوى على ما اقترح عليك بيانه

— انني اشد الان باساً من قبل فقد عاودتني الراحة بعد ان ذهبت من الاضطراب ما ضعضع عزمي على اثر خبر الفاء القبض على ولدي بجنابة ذهبت برشدي واضلت صوابي . ولولا ان بنيتي صحيحة لكانت قضي عليّ تحت عبء تلك الشدة ولكن ارى الله قد فسح باجلي ليحرقني كاس الهوان والذل حتى ثلثته . ولا غرو فاني قد استحققت العقاب بما كان سبب مجدي وفخري نعم نعم عاقبتني باسيدي لانني انا الذي هيأت اسباب الجنابة بيدي فاطني بجبناتي مجدّاً تنزه عن المعائب زهاء خمسة عشر جيلاً

كان قد خطر لدايرون ان يعنف الكونت على سيرته فينقم عليه البغي والفساد تشفيماً من غيظه الذي ملأ صدره عن ازدهاء المركيزة دارلانج به فيبين للمدعي بالجله ان النبالة والسمو انما يقومان بالاعمال لا بجلد الرجال وقبل ان ينتفع الخطاب بهذا المعنى شعر من نفسه بداع يدعو الى الشفقة والاخذ بالاسباب التي تلطف بعض ما نال المصاب

فاستأنف الكونت حديثه قائلاً - أكتب يا سيدي ما اروي به اليك حرفاً
حرفاً فلا تغفل شيئاً ما اودعه بطن السجل لان العار الذي كنت اتحاشى نزوله
بي فقد ذاع وملاً الاسماع فليس اذن ما اكتبه الناس فيعلم الجميع بانني
كنت اول المجرمين وان الله قد بلاني بعقاب دونه الموت طعماً

انني ما كدت ابلغ عمر البرت حتى الح علي اهل بالزواج من ابنة عريفة
النسب كريمة الحسب فاقامت لدي ولا قيام العبيد لدى الموالى تحت وطأة
الذل والخسف فانكرت حبها وجنوتها لهيامي بحب خلية كنت قد ملكتها
فوادى فتولت عليه طويلاً . وكان اسم فانتني فالري فحفظت عهدا قبل
الزواج واثناه على انها كانت قد اوحى الي ان انقطع عنها الى من هي احق
بقلي وحي منها فابيت وما زلت على ثبات عهدي مع زوجتي وخليفتي الى ان
قرنت بين الحلال والحرام فعن لي ان اضحي حقوق ولدي لثمة بغبي وفسادي
فواضعت فالري الراي فصدفت عنه كشوا وانكرت انفصالها عن ابنها عملاً
بسنة الوالدين . فساقني جهلي الى ان تهدتها بالطبيعة والجفاء عند عودتي
من سفرى فاذعنت خيفة البعاد والهجر الى هواي فالت الي بافكارها فعهدت
الى خادمي وكلودين اروج بانفاذ غائبي فبدلا الطفلين وجملا ان خليفتي
لدي وابني لديها فكان اذن ابنها الفيكونت البرت دي كوماين رهن يديكم
منذ ساعة

فسر دايرون بما وعاه من صحيح الرواية وصدق الراوي فاخذه حجة
ينتصر بها للعامي نوال جزاء احساساته وامانتو . ثم اجاب الكونت قائلاً
- يتبين لي من روايتك ان نوال جردي هو ابنك الحقيقي وله وحده
الحق بالانتساب اليك

- نعم يا سيدي ما لو كنت تدري نعظم الفرح الذي ملا فوادى عندما فزت
برامي فاقمت في داري ان خليفتي والري التي هجرت حبها فصددت عنها
راضياً بقرب البرت مني وامتلاكه قلبي ومالي من اجله انكرت ابني وحقوقه

فتمعت منه خنائي وانعطافي الابوي حتى ان فالري كانت تؤاخذني بصدي عنه
وابتغادي منه . فاقام البرت عندي مقام . لدي فمالت اليو حليلتي ظناً منها
انه ابنتها فحاولت ان التي بينهما النفور فاحجب عنها واحملها على مقته فما كان منها
الا ان زادت به ولوفاً ورميني بسوء الذبة زاعمة ان سعي في ابعاد البرت من
حبها كان مني عن حقد عليها ففضت فحبها على اثر هذه الغصة دون ان تبوح
بها طالبة الي ان اصغح عما كان منها سبباً لاغضابي وعذابي

ان دايريون على رغم الاعمال التي كانت تقضي عليه بسرعة انجازها اباح
للكونت ان يسهب في قصته غير معترض عليه لانه كان يخشى ان ينال من
مقاطعة الكلام خيبة المرام فاصغى اليو بكل انتباه الى ان تطرق الكونت
بجدته الى سرد ما جرى له مع فالري في قديم الزمان فقال

-- انني لم ابك فقد حليلتي واصافها فعزاني من جراء ذلك غم واسف
تنازعا قلبي حياتي كلها فلمت نفسي واكثر عنيها على الجفاء وقلة الوفاء الى
ان اخذ الله بناصر تلك المسكينة من قلبي الذي حاكي بقسوته الجلود فبلاني
بعذاب لم اطق عليه صبراً . فعاقبني بالطريقة التي جنيت بها وهي انه اتاني
ذات يوم احد الاصدقاء بكاشفني بسر خداع فالري وخيانتها فابيت الارتياح
الى روايته وحسنها وشابة شان العذال اذا آتوا حبا في قلب صديقين
متآكلين متخالفين كما كنت مع تلك الخليفة . ولا الام ياسيدي على انكار
تصديقي اعتماداً على ما قيدتها به من الصنيع وما اصطنعت عندها من الجميل
فانتدتها من محالب البغي ومهالكه فادنتها مني ووفرت لديها اسباب النعمة
والغبطة وخلاصة القول انني جعلتها في مقام حليلتي بل آثرتها عليها . وما
طال بنا زمان الالفه حتى رأيت ما اوجب علي الاحتراز والمراقبة فثبتت
الرقباء في طريقها وجعلت العيون في منزلها الى ان حق لدي صدق الراوي
وحقيقة روايته . فان تلك الخادعة الخلافة كانت متعاهدة منذ عشر سنوات
على حب جندي فكان هذا العيد يختلف اليها عند نصف الليل فيأوي

أحياناً مثلها وآونة يتصرف من عدها خفية تحت خج الدجى . وكان اذا
دعته الخدمة الى هجر باريس احنال للعود اليها بزيارة اهله وعياله ولم يكن له
من عيال واهل الا فالري . ففي ذات ليلة انباني الرقباء بجلوله دارها فاسرعت
اليها ودخلت عليها جرياً على عادتي فاحسنت استقبالي دون ان ينم بها شيء .
من آثار الاضطراب والانتزاع وصافحني بكل لفة الى ان عصبت على عيني
فكادت تزيل من نفسي اعتقادي بصحة نقل الرقباء لولا ان وقوفي عند
البيان قد هداني الى دليل صريح على خيانتها اذ ابصرت على ظاهره كنفوقاً
من جلد الظبي خاصة بالجند . فامسكت عن الملام والجidal في هذا الشأن
حذر الاتيان على حدتي بما نسوه عاقبته فنكصت على عقبي واجماً من حيث
اتيت ومنذ ذاك الحين تجافيت عن مقابلتها ومراسلتها فكنتيت اليّ مراراً
تسألني سبب القطيعة والجفاء فكنت اطوي رسائلها على غرها فدفعتم الفحة
الى ان قدمت داري فوقفت بباني تسال الحاجب الاذن بالدخول عليّ
فصدت عنه كما بصدّ اللثيم

من يسمع الكونت الحسيب النسيب بروي قصته البذية بل ييوح بأسرار
حياته الغرامية ولا يرتاب به لما سمعه عنه من التفاني في حب المجد والالفة
والحرص على الجلاء .

لا ريب انه قد وقف من سيرته عند الحد الذي يذهل به الانسان عن
الصواب فيذيع ما طوته سريرته ليكشف عن نفسه الغمة ويلقي عن عائقه وقرأ
ابنه طويلاً

وما مثله على تلك الحال الا مثل نائس ناء به حمله فالقاء عن منكبيه دون ان
يفكر في الموضع الذي وقع فيه علة برى من يأوي ليلته او يرثي لشدة
وعقوب ان اطرق برهة عاود الكلام فقال - لقد عانيت يا مولاي من
الزمان صروفاً وقاسبت من البلاء صنوقاً بهي دون ثقلها رضوى . لا سيما
عندما بليت هجر فالري وصدتها تلك التي جرّدت نفسها من نفسي وجعلت

انفسها من انسي آه انني عندما قضيت عليها بالبعد والفراق نالني من الغصة
 حظ لا يوصف فشعرت من نفسي بآلم كاد يقضي علي لان الحب الذي تعاقدنا
 عليه كان شديداً ففارته بعدئذٍ حقد قطع قلبي واصهر لي . فاردت من
 القلب نسيانها فتأبى . وسالت الفكر اغفال ذكرها فما لي . وباليت عذابي
 انتهي بي الى هذا الحد فقطع بي عن احتمال ومعاناة شاك الريب وشبهة الشك
 التي برحت بي في حقيقة نسب البرت فقلت في نفسي - من يؤكد لي صحة
 نسب هذا الولد الي . وبلاه واي شر ارتكبت في تضحية ولدي الحقيقية لمصلحة
 المسبوع الغريب . اما كفاني يا مولاي اضطراباً وعذاباً بعكس آمالي وقلب
 رجائي . فمئذ وقع في نفسي شوك الشوك تبدلت المحبة بالبغضاء والمودة بالشحناء
 فعدتني نفسي مراراً بسلك الحدة والغيط في التفك بالبرت فزجرني عن
 ارتكاب الجناية حب الجدد والرفعة فاعترضت بالصبر على احتمال القهر وبالرشد
 على ركوب الخطر . فتهيباً لي احياناً ان اشرح قصتي للمحاكم فتهاني عن التعرض
 لديمها طلب العلاء وحب الجلاء وما زلت اخشى الفضيحة والعار سائراً على
 مثل النار الى ان غشيتها فذقت من مرارتها ما دونه الصبر ولقيت من شرها
 مكاناً دونه القبر

فما اتم الكونيت هذه العبارة حتى تسابقت على خد العبرات وثالت في
 صدره اللفافات والمحسرات فستر وجهه بكفيه خجلاً . وقام ينتظر الامر وجلاً
 وفي تلك الاثناء فتح الكاتب الباب واطل منه ليلتمس من زعيمه الاذن
 في معاودة العمل فدعاه دايمرون الى مكانه ثم نظر الى كوما رين وقال له
 بصوتٍ ألاته الشفنة ولطفه الحنان

— لقد اخطات ايها الكونيت امام الله والناس خطأً ساءت غوائله فمن

الواجب اذن ان تبادر الى ملاقاته دون مهل

— تلك رغبتى وجل مرادي

— لا خفاك ان اصلاح خطائك لمن اجل اسباب السلوى والعزاء لمن

نكب نكبك لانك اذا دعوت نوال جردي اليك لقيت فيو ابناً جديراً
 بالنعمة والمكانة خليفاً بنسبك علماً وادباً فاراه آخذاً من الكمال نصيباً فلما
 احرز اقراره وقد شهد له به زمانه وتيقن ان المصائب لاعظم استاذ للانسان
 فانه يتلقى عنها من الفوائد ما لا يناله في اشهر كليات العالم وقصور الكرام
 فاقبل اذن اليه واعطف عليه يؤيد لك بالخبر ما سمعته بالخبر ولا تصدق
 حقيقة نسب البرت اليك لان من كان في عروقه دم كومانين لا ياتي ما اتاه
 ربيبك

— صدقت يا سيدي فلو كان البرت منا لما نقاعد عن نظهر فعلته

بدمه

فتنبه خاطر المستنطق عند هذا الكلام فساله قائلاً

-- هلاً تاكدت لديك جناية البرت

فخرج الكونت المستنطق بعيون حركتها الحيرة وسكنتها الدهشة فاجاب

— انني عدت الى باريس مساء امس فلم اعلم بشيء مما جرى سوى ان

المجدد قد القى القبض عليه قبل ان يستكشفوا حقيقة الامر وما عهدي بك

تحكم في قضية قبل استجلائها

فلام دايرون نفسه على ما اجراه دون اعمال الروية وعرف خطاه في

اقتحام الحذر فانقلب يسعى سرّاً في ادراك سبيل الاصلاح قبل فواته لا سيما

عندما رأى من الكونت تجاهاً في جريمة البرت فخاف ان يكون قد تنبه خاطره

بسواله بيان الامر فاخذته المحيرة في بدء الدعوى واشتبهت عليه المسالك فيها

فما لبث ان استأنف استكشاف الكونت فساله قائلاً

— متى اتصل بك خبر اذاعة شرك

— لقد اعلمني به البرت مساء امس فلم يهد لي سبيلاً لبيان ما نقترحه

علي لكن ...

وامسك الكونت عن هذا الاستدراك خيفة ان ابدر منه ما يناوئ

الحقيقة فيسقط حيث كان يرجو القيام
فالمح عليه المستنطق بالكلام
فقال كومانين - لو لم يكن البرت مذنباً لما التزم في الحال الجبانة
والضعف

— هل عندك ما يدفع عنه التهمة
— لا تكلفني الشهادة بل جئت افيك بما تقضيه مني حقوق العدالة
وما تفرضه علي واجباتها ليس غير . ودونك بيان ما دار بيننا امس من
الحديث

— عقيب ان اتى البرت في حديثه معي على ذكر رسائلي اخذ يد لي من
الحبل اسباباً بغية ان يطلع بها علي سري . ويعلم مني ببقية الرسائل التي فاته
الوقوف عليها فعرف بها عند اجتماعه بنوال جردي فحصل بيننا على اثر المحاحه
جدال عنيف طلب الي في عرضه ان يخلف عن مقامه لنوال فرغبت اليه ان
يبقى لدي امل ان ابلغ حسم الخلاف بطريق اللين والحب فانكر رغبتي واني
الّا الانفصال عني فاخذت اتوسل اليه باعز ما لديه وما يهوى فلم افز بهرامي
بل تعمد فراقني راضياً مني بمد يد يسد به عوزه فحاولت صده راضحاً لما يبغيه ويطمع
به فضحيت من اجله كل افكاري وخواطري حتى انني حللت له التقرب من
كريمة دارلانج بعد اذ كنت حرمة عليه لشباين النسب

فما طرق اذن المستنطق اسم دارلانج حتى تورّد خده من الاضطراب
وخفق قلبه واختلج صدره فستر وجهه بما كان لديه من الاوراق بجيلة تصفحها
ثم اخذ يلوغ نفسه على قبولها ساع هذا الاستنطاق فخاف ان يتطوح به بعامل
الاتقام على رغم استقامته الى الاخذ بحقه من النيكونت وكان يود لو امكنه
اعتزال المنصب في تلك الساعة لكن رأى ان لا مناص له من تلك الشدة
فشدد عزيمته وعاد وقاره وهيبته فاستأنف الاستنطاق قائلاً

— يعجبني قيام النيكونت على عهوده معك قياًماً يشف عن شهامته

وكرامته لكن قل لي اما اني في حديثه معك على ذكر الائمة لزوج
فاجابة الكونت جواب من فطن لشيء اغفلت - نعم بالتفصيل
- لا بد من ان يكون قد اراك في شهادة هذه المرأة وجهها يتوصل به
جردي الى اثبات دعواه

- ولذلك كان ابي ان يذعن لامري ويسكن لحاطري
- ارجوك ان تفصل لي تفصيلاً شافياً ما جرى بينكما فترجع به الى
محتوظك عماك ان ثاني بالفائدة المطلوبة من البحث فتريدني فضلاً فازيدك
شكراً

فقص الكونت عليه باجلى بيان ما دار بينه وبين البرت حتى استجلى
دايرون الحقيقة فعرغ غرض النيكونت في الحاحه على ابيه بالانفصال عن
القصر وواجب ارجاع نوال اليه ليلقي على عاتقه انقال التهمة التي ايهظنته .
ولما انتهى من سرد القصة قال له دايرون

- انني لا استطيع ان احكم من نفسي عاجلاً بصحة ما قررت وصرحت
به ولكن يتبين لي ان النيكونت قد ارانا بسيرته نهجاً مهده من قبل باعمال
الروية والفكرة

- فالبث ان غرتي وموقه عليّ اما

وقبل ان يتم حديثه دخل نوال فالتى التحية المألوفة فقام له الكونت احتراماً
ثم نقي عنه فقال نوال مخاطباً دايرون

- دونك يا سيدي الرسائل التي طلبت اليّ تقديمها بين يديك وارجوك
السماح بالانصراف حالاً اريد العود الى مدام جردي لان العملة باغث بها حد
الخطر

فلما سمع الكونت خبر اعتلال خليلته استنزه العجب للسؤال لكن المستنطق
قاطعه الكلام بقوله

- مهلاً يا نوال لا تعجل بالعود فان لي حاجة عندك

ثم نهض دايمرون من مكانه فامسك بيد نوال وتقدم به الى الكونت قائلاً

— انني انتهر هذه الفرصة لاعرفك بنوال جردي
فبهت الكونت ولم يتاثر من هذه المقابلة كأنه قد هباً نفسه لاستقبال
جردي

اما نوال فشعر عند مرآه بانزعاج شديد لم يقوَ عليه فاضطر ان يستند
الى الكرسي ازاء ابيه ولبث كلاهما برهة يتخالسان النظر فيلتمس الواحد من
وجه الآخر لهما خفياً يدرك به ما تكنه الضمائر

لكن المستنطق قد خاب امله بما كان يتوقعه من اثر هذه المقابلة فيدفع
المترافين عندها الى اظهار عواطف الحب والحنان فيعانق الاب ابنة فيتأكد
بعينه ما سمعه باذنه واذا كان قد حبط عمله بهذا الوجه استأنف الكلام مع
الكونت فقال له

— ما بالك استقبلت نوال كمن لا عهد له به من قبل على انك صدقت
نسبته اليك بحضورني وعرفت امامي انه ابنك الحقيقي

فوجم الكونت شان من لم يسمع الخطاب فتقدمه نوال بالجواب قائلاً

— اعلم يا سيدي ان ليس في فوايدي وقرراً من سيرتك معي

فاعترضه الكونت بصوت عنيف قائلاً — كان من الواجب عليك ان

تناديني يا ابي

ثم حوّل الخطاب الى المستنطق فقال له — هل لك من غرض عندي

بعد ذلك

— يجب ان تصغي لما اتلوه عليك من تقريرك بصدقه وتوقعه

ثم امر الكاتب ان يشرع بتلاوة الاقرار ففعل ولكن بسرعة يكاد السامع

ان يبين من خلالها الالفاظ فضلاً عن ان يدرك المعنى وكأنه قد تعمد لها
لغرض في النفس اما نوال فكان قد وعى جيداً ما كان يرغب في احرازه الى

ان فرغ الكاتب من قراءة الاقرار فدفعه الى الكونت ليصدق فوقه دون
ان يعترض على حرف واحد ثم نظر الى نوال وقال له

• - هيا بنا يا ولدي فاعتمد عليك لعجزى الى ان ابلغ العربية

فنهض نوال مسروراً بهذه الدعوة فجعل الكونت يده على عاتق ابنه
وسارا معاً يتخطيان الرواق ودايرون ينظر اليهما عن بعد ليرى ما يكون
من امرها اثناء الطريق الى ان تواريا عن عيابه فعاود مكانه وقال - لقد
طال بي الزمان على الوقوف بالكونت ولكنني انعزى بما كان عن يدي لنوال
من الحير في هذه المفاصلة ولم يستطع دايرون ان يتأدى في التجوى لما كان
يزاحه من الاشغال في تقرير الفيكونت وخدمه القائمين بالباب ينتظرون
فاستنطق جميعهم وسمع اقرارهم فاجمع الكل على تخطئة سيدهم بما رأوه منه وما
سمعوه عنه منذ عهد قريب ولا عجب اذا عرف الخدم بسيرة مولاهم وقد
آلفوه ووقفوا بحضرتهم الساعات فتبينوا من هيئته انقلاباً ظاهراً

فجميع دايرون تلك التفاصيل على اختلاف موارد ففرق بينهما وعارض
بعضها ببعض متبعاً سيرة الفيكونت منذ يوم الاحد اليوم الذي اقبل فيه نوال
الى القصر وقد لخص من اقرارهم ما يأتي :

ان الفيكونت عقيب ان اجتمع بنوال انتطع في الخزانة فاعز الى الخدم
ان يصدوا الزائرين عنه معتذرين اليهم بتغيبه في الضواحي ثم اباح لهم الخروج
للتنزه وحظر عليهم الدخول عليه دون اذن • وبوم الاثنين امتنع الفيكونت
في غرفته حتى الظهيرة خلافاً لجاري عاداته في النهوض من النوم فانفذ مع غلامه
الى كريمة دارنچ رسالة واوصاه ان لا يدفعها الا اليها او الى مدبرتها ثم انفذ
مع خادم آخر الى رجل في الملبى رسالة يطاهاها على قراطيس مالية بقيمة مئة
دينار

وبوم الثلاثاء نهض البرت باكراً من سريره فاخذ بخطره في القصر خطرات
المضطرب شان من ينتظر حاجة يتوقع قضاءها بفارغ الصبر ولما طال انتظاره

انحدر الى الحديقة فساله البستاني رأيه في اصلاح بعض الخلل الطارىء على
الحديقة فاجابه بكل ايجاز -- ارجع بما تطلبه الى الصنوت عند عودته . ثم
انصرف منها الى المربط وهناك وقف عند فرسه وقال متنهداً - اسفي شديد
لبعدي منك . ولما كانت الساعة الثالثة جاءه رسول بكتاب خاص فاخذه
ملموقاً ونصفه فائلاً على مسمع من بعض الخدم - لن تستطيع الدفاع . ثم عاد
الى القصر فالتى الرسالة في مستوقد الدهليز . ولما جلس على الطعام عند
السادة اخترق دي كورتيفوا والمركيز دي شوزه امره فدخلوا عليه وطلبوا
اليه ان يذهب بصحبته الى اللهب فانكر عليها الطلب بحيلة ان قد مضى
موعداً لاخرين يريد موافاتهم اليه قصد مشافهتهم بامر ذي بال

وعند الساعة السابعة ونصف على ما ما روى يوسف الخادم واثنان من
رفقائه وعند الثامنة اعتماداً على اقرار المحاجب والغلام لوبان خرج الفيكونت
رجلاً ويده ظلة ولم يعد الى القصر الا عند الثانية من نصف الليل فصرف
عنه غلام الغرفة الذي كان بانتظاره للقيام بخدمته

ولما كان يوم الاربعاء تعجب غلام الغرفة عندما رأى ثياب سيده وسخنة
وندية فساله السبب فاجابه البرت - انها عنك في ناحية الى ان نخلعها على
احد المعوزين . وعند الظهر جلس على الطعام فالتهم منه ما طاب له راضياً
مسروراً ثم نهض الى الخزانة فامتنع فيها واحرق ما كان لديه من الاوراق
اما يوم الخميس فقام مزعوجاً لا يقوى على شيء الى ان كاد يتعذر عليه
الذهاب امام الكونت

ولما كان المساء حدث بينه وبين ابيه نفاار شديد انقلب عنه يساً كثيباً
فدخل غرفته وهو على الحال التي بيننا فساله لوبان ان يستدعي الطبيب خيفة
ان يناله من شدة الغم عارض من الحى فاجابه الفيكونت - لا تنعل واياك
ان تخبر احداً بما رأيت مني

تلك خلاصة ما علقه الكاتب من التفصيل الذي اخذه عن لسان الخدم

القائمين في خدمة الفيكونت على اختلاف درجاتهم لديه ومكانهم عنده
فمنهم من شق عليه مصاب الفيكونت ومنهم من لم يكن ليبالى بشدة
واخصهم خادمه لوبان

ولما افضت النوبة الى زعيم الثقاتين في المثل لدى المستنطق لخص ما
كان قد لقيه من الفيكونت عند لقاء القبض عليه وقد مر بنا تفصيله على
لسان ناباري وأكد ما جاء اسناداً للتهمة بقول البرت « انتي قد نلت « ثم
اودع المستنطق ما كان قد التقطه من الادوات والادلة في قفصه كوماين
فتفحصها دايمرون وقابلها بما كان احرزه من قبل في منزل الأيمة فسر حينئذ
واكتفى بما وعى من البيّنات التي تؤيد جناية البرت فقرنها كلها الى رزمة واحدة
وجعلها امامه على الطاولة

واذ كان الشفق قد نصرم خشي ان يفوته الوقت لاكمال المهمة في استنطاق
المتهم فدعا بالحاجب اليه وامره ان ياتيه بشيء من الزاد يقات به لانه لم يذق
طعاماً ذلك النهار لمزاحمة الاشغال ثم هياً نفسه ونأهب لاستقبال الفيكونت
الذي بعث بطلبه اليه



الفصل الثاني عشر

استنطاق البرت

ان مبادهة الشرط البرت في القصر وهو في اضطراب شديد من امره قطع به عن تدبير الحيلة فراراً من ربق الاسر فاخذ الزعيم بيده قائلاً — أنا نقبض عليك بحكم الشريعة

ثم سافوه قسراً الى العربية التي كانت بانتظاره ظاهر الحديفة فجعلوه عليها بين شرطيين وقام ثالث حذاء السائق وكدوا في الجري لا يلوون على احد وكان البرت اثناء الطريق منكس الراس مضطرب البال لا يأنس في ظلمة او هامه بحقيقة ما صار اليه بل كانت خواطره كلها متجهة الى الائمة لروج يتمثلها في عينيه على الحال التي كان يشهدها فيها حين كان يقبل الى دارها في صحبة والده الكونت . فما زالوا به سائرين الى ان بلغوا باب دار الحكومة فتقدموا به الى كاتب السجن عملاً بالرسوم المألوفة الى ان انتهى من تحقيق حاله فجازوا به دهليزاً مظلماً الى حجج ضيقة فادخلوه اليها واقفلوا الباب بعد ان نقبوا في جيوبه فنزعوا ما كان فيها من المال فما استقر البرت في تلك الظلمة حتى شعر من نفسه براحة شملت فكره وصدره لا تقطاعه عن الناس واعتزاله قيلم وقالم فاستلقى على سرير كان في جانب تلك الحجرة ونام مطمئن البال خالياً شأن الغريق اذا اصاب شيئاً يتشبث به حين شدته

وبينا هو على سريريه اخذ الخفراء بالباب يتحدثون عن شائعه حيارى من سكون

بالو عند دنو الاجل عناباً فقال احدهم بخاطب رفيقه
 — اني لا عجب من هذا الشاب وسكنته حين الاضطراب فما اخاله الا
 جماداً . أتى لهُ ان ينام وهو بين اياب الاسود
 — لا نعجب يا اخي ربما كان من آلفوا ارتكاب الجرائم وخاضوا ظلمات
 السجون فابتدلت ماء وجوهم

ثم تقدم الاول فنظر اليه من خصاص الباب وقال — انه نائم مطمئن
 نوم من لا يهزه من نفسه خاطر

— لا غربة فيما ترى يا اخي فاني قد شهدت في حياتي رجالاً من درجة
 هذا السجين يدخلون السجن دخولهم الى غرفهم او الى الملهى والسبب في ذلك
 انهم يقلقون قبل ان يتأكدوا المحكم في دعواهم حتى اذا ثبتت التهمة وتأكدت
 الجناية انقلب قلبهم الى الراحة والسكون
 — فما الراحة للسجين على حد الموت

— ان القلق والارتباب لمن اشد العذاب فلو كان لديك شيء من
 المال لكنت افيدك من الاختبار ما قصرت عنه همك حتى الآن اجعل ان
 شئت مالك في المفامرة وانت بعيد منه واصبر اذا امكنك الصبر على انتظار
 طالع جدك . فهناك تعلم موقفاً بما يكون من القلق حتى اذا اناك خبر فقدانها زال
 اضطرابك وسري عنك بقولك . ما الحيلة ذلك طالعي وهذا جدتي
 — ان يبانك يا صاح يدل على اختبار طويل بل يشير الى انك بليت
 قدماً بمثل ما يلي بو اسيرنا

— لولا ولوعي بالمفامرة ومعاناتي اخطارها لما كنت قرينك فما لنا الآن
 وإطالة البحث عند هذا الباب فانتظر هنا قيام السجين ربنا اعود اليك قريباً
 فما طال رفاد البرت نحو اربع ساعات حتى هب من سريره خالي البال
 حاضر الذهن فتأسف وتند فائلاً في نفسه — ما احوجني الى البأس والقوة
 حين الشدة . ثم تهباً لهُ ان يدعو من في الباب لحاجة في نفسه يروم ان يكشف

بها آخر فلم يتيسر له ذلك فقال لا بأس فلا بد ان يوافيني احد . ولما اراد ان يعرف الزمان طلب ساعته فلم يجدها لان الخفراء كانوا قد نزعوها عنه قبل دخوله فكبر عليه ذلك وقال - ويلاه ألى هذا الحد تبلغ في معاملتهم العنيفة اسفاه ما هذه الحال التي صرت اليها أأجرد من مالي كما يجرد الدهر الصعلوك فيبغى عليه حتى يجعله على الطريق سائلاً

ثم نظر الى ثيابه فالفأها على غير انتظام فحاول جهده اصلاحها وغسل وجهه وجلس على سريره منكس الراس جائلاً في ببداء الاوهام والافكار وكان الخفراء يرقبونه من خصاص الباب فلم يسمعو من هجس شيئاً الا كلمة واحدة بدرت من فيه وهي (الشرف) فقال احدها للآخر

— ان مثل هؤلاء يلهجون في هذه الكلمة ولا يعرفون لها معنى

وبينا كان البرت على الحال التي ذكرناها جاء اليه الشرط بطلب المستنطق فقام اليهم ملياً وسالم ان يملوه ليروي غليله ففعل ومشى بينهم يقصد غرفة المستنطق

ان دايرون كان قد استولى عليه الحزن وخيمت على قلبه الكتابة منذ بعث الجند بطلب البرت فقام يتخطى في عرض غرفته وهو يوجس في نفسه خيفة المحيد عن طريق الحق في معاملة التيكونت لما عنده منه فقال - تبأ لي انا الشقي في الاذعان لنفسي ضناً بشرفها وحرصاً على حقها . فعينه احوال تسكين اضطرابها وهي لا تزال تنير وتهيج حقداً على خصي على انه ليس من العدل ان افوم لديه مقام الحكم وقد كنت بالامس معتمداً قتله آه باليتني فعلت فجعلته حكيم . نعم نعم لو كان الحكم يبنى على النيات لاستخفيت الهلاك دون رحمة فعليه يقتضي ان اتمثل نفسي على هذه الحال ساعة استنطاقه . . .

فما كاد يتم نجواه حتى سمع حركة في الرواق فقال - ها قد اتوا . فعاود عجلًا الجلوس على منصته واخذ بعض الاوراق التي كانت امامه فجعلها في يده ستاراً يستر به اضطرابه عن عيون خصمه بحيلة الاطلاع عليها وتدقيق النظر

فيها

وفي تلك الاثناء دخل البرت غرفة المستنطق فوقف به واضع الجبين
رافع النظر مكمد لون الوجه من اثر العناء والسهاد فبدأ دايرون بهذه
الاسئلة التي كان رتبها قبلاً تخفيفاً لاضطرابه فقال

— لا خناك ان لا مسوغ لك بالانتساب الى البيت الذي نسبت اليه
— نعم يا مولاي وقد عرفت يقيناً اني مسبع دي كومارين وان لاي
ان ينكرني متى شاء

— فاي اثر وقع في نفسك عند العلم بذلك
— لا اكتمك يا مولاي شدة الحزن التي نالني عندما علمت بهبوطي من
شاهق العنق الى حضيض الخسة والذل على انه لم يخطر ببالي ان اغضب المحامي
نوال جردي حقوقه من ايو بل كنت ولم ازل كما يعلمه دي كومارين مصرّاً
على مزايمة قصره وتخليه الحقوق لاصحابها

— ليس لك ان تنكر على جردي حقوقه فلو قدر ان الكونت وامك
يشهدان لك بما تدعيه لابطلت شهادتهما شهادة الائمة لروج
— ما همت قط بظلمه

— فلا بد اذن ان تكون قد فتكت بتلك الائمة حرصاً على مصالحك
ان هذه التهمة التي رمى بها دايرون البرت لم تفعل في نفسه ابداً ولم
تحدث في ظاهره تغيراً فاجاب بصوت بين

— اقسام بالله وآبائه اني بريء مما يفترون فليس لي يا مولاي في ظلمة
الاسر الا رحمة لك وعدلك لتأيد براءتي

فتعجب المستنطق من جراءة البرت وحرار ما رآه فيه من سرعة الخاطر
والبدية فاستأنف النظر في الاوراق المرصوفة لديه مستدلاً بها على ما بهمة
معرفته فيها ثم قال

— ماذا اردت بقولك (تلفت) عندما انني القبض عليك

— لما علمت يا مولاي بالسبب الذي من اجله احدث في الجند وضع لعيني
 المستقبل يعضل بالشروخ وانفسح لي مجال الفكر في غوائل النهمة التي اوقعوني
 بها دون نصير فسمعت باذني صوتاً يقول « من الراغب في فتلة كلودين »
 ولعظم الخطر المحدث بي هتفت فانطماً من الحياة . ويلاه لقد ادركني التلف
 — وهل اغفرك رغبة في قتلها وقد تاكد لدينا ان السبب لم يكن سرقة
 كما اوم الفاتك فاخذ بعض المتاع فالفاه في السين واحرق ما كان عند الائمة
 من الاوراق . فان كنت تعلم بمرتكب هذه الجناية فاعلنه للمحال

— يتعذر عليّ الجواب على سؤالك

— هل زرت المرأة كثيراً

— ثلاثاً في صحبة والدي

— كيف نقول ثلاثاً وقد اعلن لنا احد الساقية بذهابك اليها عشرًا

او يزيد

— انه لفي ضلال مبين فضلاً عن ذلك ما ضرني لو اكثرت من زيارتها

— هل عرفت بموقع الدار واقسامها

— نعم ياسيدي ان الدار ثالثت من غرفتين وكانت كلودين تبيت في

الغرفة القصوى

— انك لا ريب من اصدقاء الائمة فلو ذهبت اليها ليلاً فطرقت شباكها

اسرعت اليك فاستقبلتك واكرمت منزلك عندها

— صدقت فانها تحبني بقدومي متى اقبلت اليها

— هل اصابتك علة في هذه الايام

— انني منبت بمحطبة هد مني القوى وانهمك جسدي

— فلم تمنع خادمتك لوبان من طلب الطبيب

— وما يمنع دواء الطبيب لداء حرمانني من الجلاء والكرامة

— كنت تهذو بكلام بشير الى انك تجردت من الاهتمام بمصلحة آل

دي كوما رين وما اكتفيت حتى جاهرت بذلك واحرقنت ما كان عندك من
الرفاع والرسائل

— كان من عزمي ان اهجّر القصر بتأتا

ولما رأى دايرون ان النهج الذي انتهجه في استنطاق البرت كان عبث
اطفال لا ياتي بفائدة عدل عنه واخذ طريقاً آخر الارهاب والتعويق فقال

— ابن كنت مساء الثلاثاء الماضي وجمّ قضيت زمانك تلك الليلة

فاربء وجه البرت عند هذا السؤال وداخلته الحيرة فاطرق برهة يفكر

ثم اجاب وهو يردد السؤال ويتردد فيه قائلاً

— كنت ليل الثلاثاء

فلما رآه القاضي متردداً في الجواب أكد سقوطه فكرر السؤال ملحاً

بالجواب عليه قائلاً

— قل ابن كنت تلك الليلة

— لا اكتمك يا مولاي عجزي عن بيان صحة ما كان مني تلك الليلة لاني

لم افطن لشيء من آثار ما فعلت فيها

— لا اقبل بهذا النسيان لانه لو كنت قد دعوتك لبيان ما كان منك

منذ ثلاثة اشهر لعذرت نسيانك ولكن اطالبك بتفصيل ما فعلت منذ ثلاثة

ايام اي آخر يوم المرفع فلعل ذكر هذا اليوم يذكرك شيئاً من اعمالك اثناء

— انني خرجت تلك الليلة . . .

— بين كلامك ولا نهم وابن تناولت طعام العشاء

— في القصر جرياً على عادتي

— كلاً فانك قد خالفت نظام القصر على الطعام فعقيب ان فرغت

من العشاء طلبت زجاجة من الخمر فترشفتها كلها ولا بد ان يكون لذلك من

سبب فربما كنت نقصد هياج الخاطر بسورة الخمرة

— لم يكن لي يا سيدي من خاطر اثره

— كيف لا وقد جاء صديقان بطلبك فاجتبتها قبل ان تجلس على
الطعام انك قد ضربت موعداً لآخرين فلا بد لك من الموافاة اليهم لقضاء
امرٍ خطير

— تلك حيلة قصدت ان ادفع بها عني

— لماذا

— لانني كنت ارغب في العزلة تفرغاً للاخذ بالاسباب التي تلتطف
بعض ما نالني من الغم والشدة في الحكم بانفصالي عن آل دي كوماين وحرمانني
من خبراتهم

— يبادر للذهن انك تخلت عن الصديقين ضناً بغرضك في الذهاب
الى لاجونشار وقد كنت قلقك نهائياً « انها لا تستطيع الدفاع او المقاومة »
فمن عتبت بذلك

— ان الذي اوجب هذا القول هو انني كنت كنت قبلاً رسالة الى
احدى السيدات فاناني جوابها بعكس الامل فنجت بها اثر في نفسي قولها
عرضاً ليس غير

— هل كانت تلك الرسالة من امرأة

— نعم

— فما فعلت بها

— احرقتها

— كفى باحراقك الرسالة مظنة

— كلاً يا سيدي فانها تضمنت اموراً خاصة

فتأكد لدى دايرون ان تلك الرسالة كانت من كف كلارا فانتهت
فخطر لهُ ان يسأله بيان اسم كاتبها لكنه خاف ان يتاثر عند اشهار الاسم
فحاول نظره بركة بحيلة اهتمامه في التنقيب ثم سألوه وهو مطرق

— من كانت صاحبة الرسالة

— من لا استطيع التصريح باسمها
 فاستاء المستنطق من انكاره فرفع رأسه وقال — اعلم انك قد صرت
 الى حال اكدت لي شرك فلا تزيد به تمويهك واشرح ما عندك صراحة لان
 ليس لمن يقف موقفك ان يكتم الحكومة امره واحذر العناب
 — لا اكتمك يا مولاي الا ما كان بناط بغيري وليس لك حق في

الاطلاع عليه

— فما كان منك بعد العشاء

— زابلت القصر

— كلاً فانك خلافاً للعناد لبنت مكانك على الطاولة تدخن حتى

نعجب المخدم من عمك الغريب فباي تبغ كنت ثم تدخن

— من النوع المعروف (بترايكو)

— في اية ساعة زابلت القصر

— نحو الثامنة

— هل كان معك ظلة

— نعم

— الى اين كان مصبرك

— لم يكن لي من موضع خاص اتوجه اليه

— أخرج من دارك لغير قصد

— نعم

— بين لي اذن الوجهة التي اتجهت

— يتعذر عليّ يا مولاي ذلك لانني كنت قد قصدت في خروجي

ترويج النفس ما دهمها من الهموم والغموم فسرت على غير هدى سير من بهزه

الفلق ونشازعه الحيرة فلم اقف عند حد معلوم

— لا صحة لما تدعيه

أنا لنعجب من انكار دايمرون صحة قول البرت في الغي عن قلق واضطراب وقد قرأنا عنه قبلاً ما ابان وجوده ايضاً على هذه الحال فبم كان يجب سائلة صباح تلك الليلة التي كان يتهادى فيها بين الرصيفين بهزم معاطفة سكرًا من الاشجان ويهوي للارض ثم يقوم كالنائه الوهان فلربما كان يتعذر عليه بيان حقيقة امره تلك الليلة . ولكن لا يلام اذا خطأ الفيكونت وهو على منصة القضاء وقد خلع العدل عنه ثوباً نجبة الاهواء وازال من فواده غرضاً لا يقوم معه الحق فارشده سبيلاً آخذاً بناصر المستجير به

وما كان اشبه بصديقين عمدا الى عمل السيف نهباً حتى اذا ثارت في عروقها الحمية وتشاجرت النصال في شدة النضال تغلبت الاثرة على فواد احدهما فاعينته عن الغرض من عملها فانفذ سيفه في صدر صديقه عن حدة ما نهدها فقتله باكيًا عليه

ثم استأنف دايمرون السؤال فقال له
— هلاً لفيك احد في طريقك نستطيع استكشافه عن حالك تلك الليلة
أما دخلت الملهى فوقفت عند احد الباعة في ادلاجك ومسراك
— كلاً

— بسوءني ان اعلمك بما ينالك من هذا الانكار وفوات الدليل على موضعك تلك الليلة . لانه اتفق خروجك من القصر على هذه الحال في الليلة التي فذك بالايمة لروج فناج سرك وحدث نفسك بما كان منك في تلك الليلة عاك ثاني بما يدرا عنك الشبهة وقد عرفت الحكومة بالساعة والدقيقة التي حدثت فيها الجناية فتنبه

فعندئذ بهت البرت ودار لا يدري لضيقه فرجاً فامرّ يده بميمينو كدراً وقال

— لا اذكر شيئاً من امر نهيي تلك الليلة
فنعجب دايمرون من عجز البرت عن الدفاع الى حد انه لم يستطع ان

يحول وجوده تلك الليلة وفي تلك الساعة الى مكان آلف انتباهه فيدفع عنه
نبال التهمة المسددة وكشف عن الاوراق التي احزرها كادلة صريحة تشهد على
البرث فقال له

— نقدم وابصر بما هو لديك اما انها تخصك

— نعم ياسيدي كلها لي .

— من كسر هذه السنان

— انا اثناء معارك كورتينا رهو شاهدي

— ساناكد ذلك وابن طرفها الآخر

— لا اعلم فمن اجل ذلك نستفهم لوبان خادم الغرفة

— هو الذي قال بجهل وموضعها ولا خفاك ان الآلة التي عمل بها الفنانك

على قتل الآيئة هي السنان وشاهدنا في هذه الشقة التي مسحتها بها

— مهلاً ياسيدي فاذا شئت مر من ثقب به ان يسعى بطلبها لعله يعثر

عليها فتناكد حقيقة كلاحي

— لا بد من العثور عليها ولكن لدي من الادلة ايضاً ما يفحصك وهو

انني قد اخذت على الورق رسم قدم الفنانل بعد ان طبعنها على الجبس وقد

اراهما تحاكي قدمك

وكان البرث يتنبع تلك الآثار بفواد غص بالاحزان والاكدار فزاد

هلعاً الى ان ضعف عن الدفاع معه فكان كلما اراه المستنطق اثرًا من الآثار

قال بحقيقة الى ان قال له دايرون

— وما قولك بهذه الظلة ورسم فلكتها اما تحاكي ظلتك فقابل فلكتها

بهذه وانكر اذا استطعت الانكار

— ان مثل الظلة والفلكة كثير فلا عجب اذا تشابهت ادوات صانع

واحد

— وما اعتراضك على هذه السيكارة

— لا انكر انها من النوع المعروف بالتراييكو وقد يتفق وجوده لدى

الكثيرين

— لا باس ان الجاني كان في يده ساعة فتك في الائمة لروج كنفوف
رمكاه (رمادية) ولما كانت الطعنة قد فعلت في ظهرها فثبتت اعضاؤها
تثبتت بكف القاتل قبل ان يفصل عنها فثبتتها وها اننا قد وجدناها لديك
فقابل بين هذه الآثار وبينها أليس انها منها او تدل عليها

فلما ابصر البرت بعينه تلك الآثار التي تشابه العين كل المشابهة انتفى
الريب وبدت الحقيقة باجلى بيان فاكد وجهه وارفض العرق البارد على
خديه ووجفت بده حتى عجز عن تحرركم فقال بصوت خنقه الاسف - ويلاه
ماذا دهاني

ثم استأنف المستنطق بيانه وقال - لا ريب ان هذا اللباس هو الذي
كنت نتردها تلك الليلة بدليل ما عليه من الوحول وما ركبت فيه من
الصعاب فمزقته تمزيقاً . اذا كنت قد اضربت عن معرفة قصدك بالخروج
تلك الليلة فلا اغفل سؤالك عن الموضع الذي مزقت به ثوبك فلطخنته
بالاوجال

أنى لا لبرت ان يثبت في المجال وقد اشد عليه تسديد النبال ولما لم ير
ما يستحق به ويتقي نفوذها هوى الى الكرسي قائلاً

— لقد جننت ما سمعت ووعيت

واستطرد المستنطق حديثه وهو شاخص في البرت الى ان قال له - ألا
تعلم انك انت قاتل الائمة لروج

— غاية ما اعلم انه ساقضي ضحية العجائب والغرائب التي تذهب بعقل
الانسان على انني ما زلت أؤيد براءة ساحتي
— مع اذن بمكانك تلك الليلة ...

— مولاي لا ريب ان من كان

ثم عدل عن انمام اعتراضه فقال بصوت ضعيف - لقد قلت قبلاً بما علمت

فعندئذٍ نهض دايرون وقد رأى ان يزيد البرت عجباً من بيانه فقال - ان كنت تجهل مكانك ليل الثلاثاء فانا اعلمك به واذكر بموضعك من منزل الائمة لروج . انك عقيب ان ترشفت ليل الثلاثاء من الخمر ما ربح عطفيك خرجت عند الثامنة من الفصر آخذاً في طريق موقف سان لازار فبلغت عند التاسعة موقف (ربويل) الخ الخ

فسرد له القصة بوجوها دون ان يغفل منها حرفاً حتى ذهب ببقية روع المتهم ثم اطرده الكلام الى ان قال له - لا يفيدك الاصرار على الانكار وقد وضحت الادلة وانكشنت الاسرار فصرح بالاقرار تغنم العفو والآنالك من العفوة على عنادك ما لا نقوى على احتماله

وكان دايرون قد نوه في المتهم نهاية الضعف عن رد بيانه الى ان خاله لديه ساقطاً على قدميه مستجيراً به يسأله الرضى والعفو

اما البرت فنقص من الضعف ثوباً جديداً فنهض من سقنطيه وقال - لا انكر ياسيدي ما في الادلة التي قدمتها من اللسنة التي تنطق بذنبي ولكن لو تمثلت نفسك مكاني وعلى الحال التي انا عليها لما قلت بغير ما نقول . انما اقسم باعز ما عندي اني سري ما ينهمون - لا نتحدث بيمينك

- اني صرحت واصرح ايضاً ببراءة ساحتي من التهم التي لا احاول نفضها وقد اصابتني سهامها الصائبة حتى انما افحمتني بصحة بيانها وسديد برهانها نعم نعم انني هالك لا محالة لعجزني عن الاتيان بما يردها عني ويؤكد نزاهتي لكن لم ازل على رغم حقيقتها متشبهاً بعري الامل الى ان ياتيني الله من فضله نصيراً

— ما نعي بقولك

— ليس غير ما قلت

— انصر على الانكار

— انني برىء

— ذلك هذيان

— كلاً يا سيدي بل حقيقة لا يعتورها التباس

— حسبنا اليوم ما تبينه من امرك فاستأنف الخطاب في دعواك الى يوم

آخر علك ترعوي عن غيك فتهتدي الى صوابك بعد امعان الفكرة في خاوتك

فاسمع الآن صورة الدعوى التي يتلوها عليك الكتاب واذا عن لك ان تكاشفني

وانت في محبسك بشيء ما يناط بدعواك فابعث بطلي اليك متى شئت ذلك

وانا اوعز الى الخفاء في تلبية طلبك

وعقب ان سمع البرت قراءة الشكوى انصرف الى معبسه يخفزه الجند كما

كان عند خروجه منه

ان دايرون كان قد ثبت لديه بعد اطلاعه على اقرار الشهود واستئناسه

بسكوت البرت في معرض البيان ان النيكونت هو الجاني وان اصر على الانكار

لكنه عندما خلا بنفسه لم يشعر منها بتلك الراحة التي يدركها الخصم اذا فاز

بدعواه على خصمه او بذلك الفخر الذي يتبعه به الانسان اذا تمكن من حل

معضلة قصر عنها الآخرون بل كان فوزه بالبرت علة للقلق والارتعاج

فدهمة من جراء مضايقة ثورة لم يسعه نسكيتها فعاد باللائمة على نفسه يعنفها

على التعرض في امر كان عنه في غنى . فناجاها قائلاً = لو كنت اعتزلت

مقامي فانكرت استكشاف البرت لكنت الآن في راحة من هذا العناء الذي

جلبته لنفسه بيدي دون ان افقد شيئاً من المرام الذي تعدته لان الحكومة

كانت قد عهدت الى خلفي بفصل هذه الدعوى فحكمت على البرت بما جناه

وسلمت له باستقالتي من شاك الضمير ولوم كلارا فيتيسر لي ان اجتمع بها

فأسلبها على مصابها والطف حزنها اما الآن فاذا قضي على البرت حببها قضت
لا شك عليّ بالبعد منها اذ اكون قد بحثت عن حنوه يدي واذقتمسا صاب
عذاب لا عزاء لما بعده

فاخذ المستنطق يلج في تعنيف نفسه ويزداد بغضاً لالبرت من جراء
اعتراضه دون راحته وهنائيه فيصب على هام ناباري الشنائم ويوسعه سباً لانه
ساقه الى هذه التهلكة يده

وبينا كان دايرون يناجي نفسه ويعاتبها على اقتمام خطر الاتصال عن
كلارا بالحكم على البرت دخل عليه ناباري بروم الوقوف على نتيجة الاستنطاق
فسأله قائلاً

— ماذا كان جوابه

فاجابة المستنطق معرضاً عنه - لا ريب انه الجاني
فحار ناباري من استنباله بعد اذ كان قد علل نفسه بالاطراء والثناء على
حذاقته فقال له

— جئتك يا مولاي قصد الوقوف على خاطرك في ما تراه من
ضروريات البحث وتاكيد ما انكره المتهم بالبينة
— لم يدع ما يوجب اتبانه

— هل اضمنه يا مولاي باسئائك فليجأ الى الاقرار
— كلاً انه لم يقر بذنبه غير انه صدق ما قدمنا من البراهين القاطعة
مصرحاً بعجزه عن بيان استعمال المدة التي مرت يوم الثلاثاء موكد ابراءة
ساحته من التهم

فتعجب ناباري وبهت مما سمعه عن حال المتهم فلبث واقفاً كالذاهل عن
شأنه وكونسنان الكاتب ينظر اليه ساخرًا منه لتنوع اشارته في نجواه قائلاً
— عجباً كيف لم يدع البرت باختلاف المكان والزمان ردًا للتهمة .
فربما قد اخطانا الغرض في الايقاع به والقاء التهمة عليه . لا ريب ان الجنابة

قد نعدت الى غيره

وما زال يشير يديه حائراً من امره الى ان حسبه المستنطق بهز سكرًا
فقال له

— اننا لم نضل وقد وضحت لنا الحقيقة في عرض البيئات فضلاً عن
ذلك اذا شئت ان نشهد ذلك بعينيك فتصغص صورة الدعوى حرفاً حرفاً ريثما
ارصف اوراقى

فجلس ناباري الى جانب كونستان واخذ يتصفح بيان الدعوى الى ان
فرغ منها باقل من ربع ساعة فرفع رأسه مزعوجاً مظط الوجه وقال مخاطباً
المستنطق

— انني اتيت على غير عمد خطأ عظيماً فالرجل برى من كل ذنب
فاعترضه دايمرون وهو يتهمها للانصراف قائلاً — ما تقول يا صاح اتني
التهمة بعد ما تصفحت بيان الدعوى

— نعم يا مولاي انني اهتف قائلاً . قف بنا عند هذا الحد من الظلم قبل
ان تتماهى في الضلال فتجتمع على هامنا من غوائله ما لا يسعنا معه العيش .
دقي النظر في الاستنطاق تر ان الشاب لم يات بجواب يتهمه بل يتضع لك منه
وجه الصواب

— كيف يليق بك يا ناباري ان تنكر ما اثبتته قولاً وفعلًا فحملتني كرهاً
على تصديقه

— لم انكر يا مولاي حقيقة حدوث الجناية وصحة الادلة التي انصلت بنا
عليها غير انني لم انعد في ما وجدت رجلاً معروفاً بل قصدت في ما اتيت
هدايتك في الدعوى فاذا كانت البيئات التي القيتها بين يديك لا تنهم البرت
فانها تشير الى غيره وقد تاكد لنا من الاسباب التي اتخذها الجاني في ادراك
غايته ان هي الا نتيجة اخبار طويل وحداقة غريبة في بايها على انني ارى من
اطلاعي على صورة الدعوى ان البرت لم يات لتغفل بشيء يشير الى تلك

المحذقة حتى انه لم يتصد لك في اعتراضه الى اختلاف المكان حيلة يتقنها
السذج في بدء الدفاع عن نفسه فلا ريب ان الفيكونت برأه من التهمة
فعقيب ان تامل دايرون الثغاف المنطوع ساخرًا من هذيانه ردّ عليه
تنصلاً من الشكوى قائلاً

— لقد اخطأت يا صاح في ما ادعيت فلا تنظر الى غيرك بمراة نفسك
فمحسب انه قد اوتي من الذكاء والدهاء ما اوتيت فاعلم ان صاحبنا لم يفته
الاعتراض الا لتعذره عن ازالة الشبهة

— كلاً يا سيدي ان الجاني الذي اتعمده شديد الحذر والخوف على ان
البرت لم يفته الدفاع عن نفسه الا لما رآه من اتفاق البيئات التي تقضي عليه
دون رحمة . فافتصر عن الجواب على اسئلتك بكلمة العجب . شان الضعيف
المظلوم

— انني ارتاح الى البيئات فيطمئن خاطري الى سجنه دون اعتراض
— كم يتفق يا مولاي للحاكم ان يقضي بما يجمع لديه من البيئات والبراهين
على المتهمين وقد جرى لي ذلك في دعوى الخائض (كاذر)
— اذا لم يكن الجاني على الايمة من كان له غرض في قتلها فمن جنى
عليها اذن . انتم اباه انكونت
— كلاً فان الجاني غض الشباب

وفي تلك الاثناء كان المستنطق قد انتهى من ارساد معدات الرحيل
فاخذ فبتمه يريد الانصراف فقال لتاباري
— اكاد يا صاح اهي من الجهد في العمل فاستأنف الخطاب الى الغد
وانت يا كونتسان اقصد السجن واسال المحفراء هل طالهم كوما رين المتهم
بكاشفي

ثم نما نحو الباب فاعترضه تاباري قائلاً
— تاكد يا مولاي انه برى واسعدني بمجهدك وجدك على طلب الجاني

الحقيقي واحذر الملامة اذا انفذ الشرع حكمه في البرت
فانزاح عنه دايمرون واستمر سائراً في طريقه دون ان يبالي به فحوّل
اذ ذاك التفاف المتطوع انظاره الى الكاتب كونستان واراد ان ينفعه على ترك
الدعوى فما صادف اديه قبولاً لان الكاتب كان قد نال ايضاً من عناء
النهار ما ازعجه جداً فدفعه الى الانصراف عجباً دون تاخير
فاضطر تاباري ان يقف في الرواق قبيل باب غرفة المستنطق عرضة
للمساوس التي كانت تتنازع صدره فقال في نفسه
• ويلاه لقد جنبيت على البرت البري بما سفت المستنطق اليه خطأ
فاكرهته زوراً على حبسه . فماذا يجلي لي انا الشقي اذا دفع اليأس اليك كونت الى
الاتحار ظلماً . وكأين من المظلومين يفضون على انفسهم قبل ان تنفضي الشريعة
عليهم . لكن لا يسعني ان انقاعد عن نجاته كما قمت في الفاء القبض عليه . نعم
نعم انه يترتب علي ان اسعى في انفاذه من سلاسل الاسر واهم في طلب الجاني
الحقيقي الذي كان عثرة في طريقني . ولا بد اذا اهتمدبت اليه ان آخذ
بحقي منه



الفصل الثالث عشر

اجتماع نوال بالكونت دي كومارين

عقيب ان شيع نوال جردي الكونت دي كومارين والده الى العربية التي كانت بانتظاره عند باب دار الحكومة اراد ان ينكص على عقبه قائلاً — متى ياذن لي الكونت ان احظى بالمثلول لديه وإفياً بما يترتب له علي من واجب الاكرام

— لا تذهب وكن في صحتي

فاراد نوال ان يعتذر لديه عن الذهاب معه فاعترضه الكونت قائلاً

— قلت لك ان تذهب في صحتي دون اعتراض

فاطاع نوال امر ابيه وقام الى جانبه في العربية فاستأنف الكونت الخطاب

قائلاً له

— لقد لقيت اباك وفقدت الحرية

فجرت بهما العربية جرياً سريعاً الى ان وقفت بهما عند باب القصر فترجل

الكونت بعضده نوال صاعداً به الدرج الى الغرفة وكان الخدم قد نالوا من

كل ناحية الى الباحة يتفاوضون في شان الحادثة التي جرت صباحاً ويتعاطون

الاحاديث متسائلين عن الاسباب التي اوجبت هذا التغير فجمعت نوال

في الدار بدل الفيكونت وقد عرفه احد الخدم يوم دخل على البرت ف اشار

لرفائيه عنه

ان خبر الفاء القبض على النيكونت ذاع في المحي فتناقلته الالسة وعلقت عليه ذبولاً متضاربة بعضها يشف عن حسد وغيره منه وبعضها عن حقد عليه ولم يكن بخاطر ببال احد عيون تلك الحملة ان يرسل الى القصر من يقف على الخبر الاكيد في هذا الشأن بل اقتصر جميعهم على العلم بما شاع وهو : انه لما انصل بالحكومة نبأ وقوع الجناية وجهت الثقاتين للبحث عنها والتنقيب في اسبابها فالت القبض على المتهمين بها ولم يعلم احدٌ بنتيجة البحث بل لم يزل سراً غامضاً

فقال احد الخدم - العلّ هذا الشاب الذي جاء في صحبة الكونت هو ابنة الحفيفي

فاجابة آخر وقد كان في اثر الكونت - ربما سمع قولك في ذلك ففضى سيدنا على البرت بالانفصال عن الدار كما يتضي على احد خدامه فاعترضه واحد منهم واسمه بوحنا - اني لا عجب من كلامك في هذا الشأن وهل يتفق حدوث ذلك في دار الكرام

- لا تعجب يا صاح مما يجري كل يوم وقد شهدناه مرأى العين - أنى يكون ذلك

- ان ما بيان لي سبباً في هذا الانقلاب الغريب هو ان الكونت قد اهتدى الى ابنه بعد اذ فقدته امه قديماً فاعاده اليه واسبع نعمة عليه - ومتى كان عهد فقده

- انني لا استطيع ان اتك بيان ذلك على ثقة ولكن يترجم عندي ان سيدتنا الفقيدة ربما كانت قد قصدت به اذ كان طفلاً مثابات التنزه فعرضت لها بعض القرويات اللاتي دأبن السلب فاخذنطفة منها فشق عليها العود الى القصر دونة خيفة غضب زوجها فكتبت الحادثة وابتاعت من احدى المعوزات طفلاً...

وقبل ان يسهب الخادم في روايته المختلفة عاد لوبان ويوسف من دار

الحكومة فدخلوا القصر وانضوا الى رفقاءها فاسرع الكل الى استعمالها حقيقة
الحال طالبين الى لوبان غلام غرفة الفيكونت ان يفيدهم بتيعة البعثة فما ضنَّ
بعلمه عليهم فقال للحال

— تبارك لالبرت من شفي غبي فقد مزق بيده ستار الكرامة وعرض نفسه
للغزى والعار بعد اذ كان قد نبأ مكاناً علياً فياليتني وقف بفعلتي عند
بل اذاني بخدمة ملحق في الملام . فما كدت اقف امام المستنطق حتى استقبلني
بهذا الكلام قائلاً - ألا تنجل من القيام بخدمة المجاني علي كهلة وفناء لم تتعد
الثانية عشرة

فاعترضه يوسف قائلاً - ما اخاله الا جاهلاً غيباً فا كان اغناه عن
اقتحام الشر بنفسه ولديه من المال ما يكتب الكتائب لانهاذ ما ربه
— لا تخف يا اخي عليه شراً فان المثري يقوى على التنصل من التبعات
بقوة درهم وعن قريب ستري الفيكونت فائزاً ظافراً
فقال الطاهي (العشي) - آه ليتني اقف ساب الكونت فاسترق السمع
لاعلم بما يدور بينه وبين زائره من الاحاديث السرية

فانكر عليه الخدم هذا الراي فعطلوه قائلين - لا يليق بنا ان نجسس
الابواب ان كنا امناء فضلاً عن ذلك ان الكونت كان قد جعل غرفته في
مكان يأمن فيه شرّ الجواسيس فخصّ احد الخدم واسمه دانيس بالدخول عليه
فقط دون غيره وقد جعل له بدل امانته جعالة جزيلة

فلنستأنف الكلام عن الكونت في خلوته مع نوال فنقول ان دي كومارين
عندما جالس على كرسيه وسط غرفته نالبت اليه الخواطر المزعجة على اثر ما
دهمه من الذل في الوقوف بحضرة المستنطق وما بدا منه عن غير عمد من
الضعف في خطابه فلام نفسه على الاقرار باساره واباحه ضائره

اما نوال فكان ملتزماً في الوقوف لديم كل احترام ينظر اليه ولا يحسر
ان يخاطبه الى ان بداه الكونت بهذا الكلام

— اعلم يا نوال انك الآن في منزلك وقد صرت عندي بمقام النيكوت
دي كومارين ولك مذ الآن ان تتمتع بكل حقوقك التي حرمتها وافهم قبل
ان نقابلني بالشكر على هذه النعمة انه لولا انني تمكنت من كم السر الذي
سلبتك . بتلك الحقوق لما رضيت عنك ولدي بل لكنت احرص على غرضي
في ابعادك وتقرب البرت مني

— لقد ادركت ياسيدي مرعى حديثك وبلغت الغرض الذي تستهدفه
فتيقن انه لو غرني الزمان فاغواني كما اغواك وحماني على ان اركب للشر ما
ركبت لما كنت اسعى لصيانة شهرتي في غير السبيل الذي اتخذه حرصاً على
غرضك لانه من كان قد بلغ من الجلاء والعلاء ما بلغت لا يسعه السقوط من
ذروتها جهلاً وبغياً بل يجرى جهده المحافظة عليها ولو ظالماً
فسر الكونت بجواب نوال واعجب بكائه غير انه حاول كتم رضاه عنه
فاستأنف حديثه قائلاً

— لا حق لي على قلبك فلا اطالبة بالحبه لاني لم افرض حتى هواه لكنني
اسالك الوفاء باكرامي واحترامي واعلم ان من السنن التي جرت في اسرتنا من
قديم العهد حتى الآن ان يلتزم الابن لدى ابيه الطاعة العمياء فلا يقاطعه
الكلام اذا ابتداء به ولا يحكم عليه بالصواب والخطأ فيه شأني مع والدي من
قبل وشأنك الآن معي . ثم لا خناك اني كنت قد جعلت البرت في دار
خاصة فاقمت لديه الخدم والحشم واجريت العربات في باحة داره واتيت من المال
ما يكفي نفقة ذلك كله وجعلت له علاوة نحو اربعة آلاف فرنك راتباً
شهرياً . اما الآن فقد رأيت استئصالاً لشافة ألسنة المرجفين ان اجعلك في
مكان اسمي واخصك براتب ستة آلاف فرنك شهرياً تنفها في حاجتك الى ما
يؤيد مكانتك وعزك ولا حاجة الى ان استزيدك حرصاً على شرك وصيانة
للسانك واعلم انك غرض لنبال قوم لا يفضون عن هفواتك بل يتطلبونها
سبباً لتلهمهم ولذتهم . هل تدريبت على عمل السيف

— انا من اصحاء في الدرجة الثانية

— وما درجتك بين الفرسان

— انني لم اجر معهم في ميدان غير انني قد آليت على نفسي التدريب عليه فلا يمضي قليل من الزمان حتى ابلغ مكاناً معروفاً بينهم

— لا بد لك من مزاولة هذا الفن قريباً . ثم استأنف الخطاب للكلام عن

تدبير المنزل . انك لا تنزل في غرفة البيرت لان من عزمي تعطيلها ريثما تكون الحكومة قد فرغت من البحث فيها لكن ستقيم في الجانب الآخر فتدخل اليه من السلم الاخرى وسافذ اوامري للحال في ارصاد معداتي حتى اذا دخل الزائرون دارك قالوا انك تظنهم منذ اعوام ولا اكنتمك ما ينشأ عن هذا التدبير من الاشاعات والاراجيف التي تخط بشاني ولكن لا حيلة الا في التعرض لها . كنت قد رأيت ان ارسلك الى النمسا او روسيا ريثما تبدد غيوم الظنون فاعترضتني الحكمة وابت الا ان اشمل ذل يوم دون ايام فيها غالي القوم في اوهامهم وتوسعت في شرحها الالسنه لا تبعد ان تنقطع قريباً فتدخل في طي الغيب فما انني ارسل اليك الخدم للشروع بالعمل اليوم

وهوى الكونت الى الطاولة يريد ان يطن الجرس ليدعو بالخدام اليه فاستوقفه نوال

ان نوال كان لم يلبث متظاهراً لدى الكونت بالهيبه والوفار على رغم ما استغنه من الطرب عند وقوع النعمة عليه وانتقاله من حال الى حال فاعترضه قائلاً

— اسمع لي يا مولاي ان ابوح بما عندي من الراي في ما دبرت وارجوك ان لا تعمد كلامي بحصرتك اعتراضاً على حكمتك بل قصدت بعد اثبات الشكر لفضلك والافرار بمجودك وجيبك ان اسالك ناجيل اشهار نعمتك الى حين . وما اخالك تخطنني في ذلك . لان الحال تقضي علي ان التزم مكاني كما كنت قبلاً لئلا اثير الخواطر علي فتعنفني تعنيفاً لا قبل لي به فيرونني

بسوء النية ويتفولون عني الاقاويل المتضاربة وحسي كدراً اذا قيل عني
 اني طمعاً بالفوز ورغبة بالاستظهار على الخصم دسسته بقدمي فدخلت منزلة
 ونقلت على سريره اشراً وكبراً. فيواحدري بسرعة الاقبال الى التمتع بخيره
 وبالجزاء اني احاكي البرت بسيرتي لاسيما اذا دخلت القصر في ابان نكته .
 فالرجاء بملك ان يصفع عن اعتراض فيسمع لي ان اقيم على الحال التي اقميت
 عليها حتى الان فلا ابدل شيئاً من سيرتي وانقطع عن الناس مدة ريثما تخمد
 حذتهم وينبو غضب لسانهم واسعى في خلوتي وراء الذرائع التي تمكنني من
 الظهور بينهم كأني نشأت في نعمتك ولم اكُ لديهم دخيلاً

— صدقت يا نوال فالراي سديد

ان نوال لم يات باعتراضه الا وفي نفسه اغراض منها انه كان يخشى
 حقد الكونت عليه فاعند قبوله في خاصته واقارره بحقوقه حيلة لاختباره ثم انه
 كان يحاذر منه كميناً فرأى ان يتلافى شره بالامهال ولما آنس منه الرضى
 عن رأيه استطرد الكلام الى ان قال

— يتعذر علي ان انتقل للحال من درجة الى اخرى قبل ان انظر في
 ما يكون ورائي من الاعمال قبل ان انظر امامي فلا يخفناك اني كنت قد
 ادركت بجدي ودهاتي درجة مكنت لي بين قومي عزاً انية به على اقاربي فاقبلت
 الي الناس بل الثقة واعتمدوا علي في حل مشاكلهم فلا يسعني ان اتخلف
 عنهم قبل ان آتيهم بالاسباب التي اوجبت انحيازي عنهم اليك ثم ان لدي
 باعثاً آخر يمنعني من انقيام عندك عاجلاً اذ كنت اذهب في السياسة مذهباً
 حرّاً يناوئ مذهبك فيها

— أأنت تشايح الاحرار كما ذنب البرت

— لا تلهني يا مولاي اذا كنت قد ذهبت في سياستي مذهباً رأيت فيه
 نجاحي فلا يند عنك ان غرض الاحزاب على اختلافها واحد وهو السلطة .
 فكلنا نسي اليها بطرق متباينة فعليو لئن كنا قد اختلفنا في الوسطة فقد اتفقنا

على الغاية . وقد قيل

كل من في الوجود يطلب صيداً غير ان الشباك مختلفات
فتيقن ياسيدي انني اذا دعيت باسمك صنته من كل شين ونزّهته عن كل
عين

— ذلك ما آمله منك وارغب به اليك فعسى ان انسلي بك عن بعد

البرت

— لقد نهيت يامولاي خاطري بذكر اسم البرت الى الاخذ بناصره
فنسعى معاً في انفاذه من التهلكة
ان الكونت اوجس حذرًا من نوال عند افتراحه عليه الانتصار للكونت
فسأله قائلاً

— فما الحيلة في انفاذه وبم ننجده

— ايليق بك ياسيدي ان نقاعد عن نصرته وقد نزلت به الشدة فتجافي
عنه الخلان وخائنه الزمان فكانوا معه عليه اعداءاً . كلاً فانه لم يزل ولدك
واخي وقد تقلد شهرتك زهاء ثلاثين عاماً فانا نقاسمه البلاء فما يناله من الخسة
ينالنا بلا مرأ فمن الواجب ان نتعاقد على نجاته في نكته
فلم يسع الكونت عند هذا الكلام الا التصريح بشكر نوال فتاثر لبيان
وحن لرقه جنانه فقال له

— قل بما يجب علينا في هذا الشأن

— ان ندفع عنه جهدها اذا ثبتت لدينا براءة ساحته من التهمة . فاني
محمّاه وقد ذاعت شهرتي في الانتصار للحق فاقوم مدافعاً عنه لدى المحكمة فارد
سهام الاعداء عن صدره بقوة برهاني واستعجلي الحقيقة بفصاحة لساني
— وما الحيلة للنجاة اذا كان قد اقرّ بذنبه

— اقوم عندئذ ليدى بالخدمة التي يتوقعها الشقيق من شقيقه آن شدته

— احسنت يا ولدي واكرمت

ثم بسط يده لنوال فضغط عليها ملتزمًا لقاء هذا الأكرام كل احترام وافهم
صدره فرحًا لنجاح غايته في امتلاك فواد الكونت ورضاه
ثم عاود الكونت الكلام بشأن نوال فقال له

— انني اذعنت لما قدمت لدي من البراهين التي توجب بعدك مني
للمحال واعند اذعاني لرأيتك وخضوعي لشارتك شذوذًا لم يسبق لي عهد به لانني
ما اعندت ان اعدل عن امر قرره خطأً كان ام صوابًا. ومع ذلك لا ارى
من مانع يمنع قيامك عندي منذ اليوم وها انني أعد لك الغرفة التي تنزلها
عاجلاً الى ان ياتي الزمان الذي تسميه لمساكنتي دائماً

فقاطع نوال الكونت الحديث دون ان يخشى ملامه فقال
— لم انقاعد ياسيدي عن الارتياح لحاطرك والرضوخ لاوامرك غير انه
لا يسعني الان ان الي اشارتك في القيام عندك وعلي واجب مكسر لا بد لي
من القيام به ازاء مدام جردي فانها على خطر من العلة التي دهنها اخيراً
— أنشيد بذلك الى فالري

ثم اعتمد رأسه بين يديه يفكر في ما مضى من امره معها قائلاً في نفسه
— لا يسعني الاصرار على بغضها بل اشعر من نفسي بدافع يدفعني
اليها لا سيما في آخر ساعة من حياتها فلا ريب انها تقضي اسفًا على ما نال
البرت من الغضاظة فاسلمها واخفف اشجانها بمثولي امامها. واذ رأى الصواب
في الذهاب اليها قال لنوال

— انني اكون في صحبتك
فاجعل الحامي عند هذا الطالب فرده بقوله
— مالك ياسيدي والمثول لديمها فاكف نفسك مرارة العذاب اذا
نظرت اليها وهي في ذهول تام وربما تثار لمراك فيشتد عليها الالم
— فاذهب اذن اليها بذانك يا ولدي

فرن نداء الكونت (يا ولدي) في اذن نوال كما ترن المعازف في آذان

الجيش ساعة الظفر فاحنى رأسه احتراماً واستأذنه مالا بصراف فاستوقفه الكونت
بقوله

— اياك ان تنسى ما عاهدتلك عليه من الزرد الى الفصر كل يوم وقد
جعلت لك موضعاً خذائي على الطعام فوامني متى شئت عند السادسة
ثم اطن الجرس فوافاه زعيم الخدم فقال له

— اعلم يا دانيس ان تحظيري الدخول على الزائرين لا يتعدى نوال
واعلن اشارتي لسائر الخدم فبلغهم ان له في منزلي شأنًا خطيرًا
ثم انصرف نوال تاركًا الكونت في خلوة تماها منذ الصباح لما راحته من
على اثر الحوادث التي نالت عليه بياض ذلك النهار فرغب بها لامعان
الفكرة في تدبير شؤونه وما لبث ان قال في نفسه

— ذلك ابني الحقيقي لا ريب فيه فلا يجدر بي ان اذكر عليه التمتع
بنعمتي وقد آتست فيه صورتي الحية آن كنت في الثلاثين من عمري فضلاً عن
ذاك انه اتاني بما يشف عن حسن سيرته وسلامة سيرته ونزاهة صفاته
وكرامة سببياه ما يؤهله لان يتقلد جلالي ويقاسني شهرتي . لكن لا ادري بما
اصف تلك الاسباب الخفية التي تبعد بي عن هذا الشاب فارى نفسي ابدًا
جائحة الى حب البرت مشعرة باسف بعده منها على رغم التهمة التي رموه بها
يقولون ان نوال قد استكمل صفات الانسانية فصدمت قولهم بما شهدته فيه من
الشهامة وعلو الهمة وكرم السليقة وسلامة الطيلة فأكدت ابلغه خاطري في
الرضى عنه حتى بادر الى بيان رغبته في التفاني حبًا بي وضمانًا ببقاء البرت وما
اكتفى بما اخذ عهده على نفسه حتى تلا على مسمعي كلمة الرضى عن مدام جردي
بالحقيقة ان ما ابداه كان غرابة لا يسعني تصديقها ولا اعتماد عليها . اما ان
شاه في ذلك شان ابناء عصره فانهم ينشاون سراء من معائب والديهم . لكن
اما كان البرت مستحجها صفات الكمال الانساني وغرًا فسطاجهلاً على كلودين . فما
يصنع نوال . . . كان من الواجب ان اصعبه الى الفالري . ثم تهيأ له ان يستوقف

نوال فقام الى الشباك المطل على الباحة ليدعوه اليه فلم ير احداً لان المحامي
بعد ان فصل عن القصر بنليل ركب عربة في موقف بوركونيا قاصداً عجلاً
شارع سان لازار . ولما بلغ باب منزله دفع الاجرة للسائق وترجل بطوي
الفناء مسرعاً الى غرفته فاستقبلته الخادمة فبدأها بهذا السؤال

— من جاء بطلي

— لم يات احد يا مولاي

فارتاح باله عندئذ واطمان روعه فقال

— اما اني الطيب

— بلى وقد ارانا في هيئته لوائح الكدر ثم عاد منذ برهة ولم يزل عندنا

حتى الان

— اني اذهب اليه لاسأله بيان الحال فاذا حضر احد اليّ فادخله

غرفتي واعاني لي قدومه فوافيه

فلما دخل نوال مضجع مدام جردي لم يشهد فيها ما يحقن الا مل بالشفاء
وقد غارت عيناها وتشجبت اعصابها فاستحالت هيئتها على السرير الى صورة
شبح مسجي تنفض حيناً بعد حين كما ينتفض الجسم اذا مسته شرارة الكهرباء

وكان قد دعي الى تمريضها احدى راهبات المحبة فقامت عند المستوفد

حين دخل نوال فبصر بها وكانت حسنة الجملة قرنت بين الجمال والكمال

وكان يناظرها على الكرسي الطيب هرفي محققاً في حركاتها وسكناتها فعندما

اقبل اليه نوال قام لاستقباله فحياء قائلاً

— الحمد لله الذي يسر لي الاجتماع بك بعد الانتظار الطويل

— انني كنت في القصر لاسباب خطيرة اوقفتني على مثل الجهر عن

العود الى هنا

ثم هوى الى اذن الطيب فهبس فيها قائلاً

— ما رايتك في العليل

فقال الطبيب برأسه قول القاطن من الشفاء - أن الحال تنذر بالخطر
والعوارض التي عرضت لها اليوم لم تنزل تنوالياً
فضغط نوال على يده يريد أن يقاطعه القول بالخطر لأن مدام جردي
أخذت تثمل على سريرها وتنتهد . فقال نوال للطبيب
- لا ريب أنها سمعت الحديث فتأثرت منه
- حياءً . التأثير ولكن أتي يكون لما أمل بالشفاء وقد بلغت الروح
المخلوق

ثم دنا منها فجس نبضها وفتح جفنها فالتفت اليه العين مظلمة جامدة فقال - تعال
وانظر فينا كد لك حديثي . خاطبها لنرى هل نعي كلامك
فتقدم نوال وهوى الى اذنها وهو يرتعد فرقاً من مراها على تلك الحال
فخاطبها بهذا الكلام :

- امي خاطبيني انا ولدك نوال اومي الي ولو بطرفك امي ألا تسمعي
ألا تخاطبيني

فلم يلتفت منها جواباً ولا إشارة لأنها كانت في ذهول تام
فاعترضه الطبيب قائلاً - اما تأكدت بياني وحقت حكاي
- اسفي عليها بالله قل لي ألا تشكو الآن ألمًا
- كلاً

وفي تلك الاثناء تقدمت الزاهدة العابدة الى السرير عنده وقالت موجهة
الخطاب الى الطبيب :

- لقد هيأنا ما اشترت اليه
- فلندع اذن الجارية لتسعدنا على وضع الخردل
فجاءت الجارية للحال تتعاون مع الطبيب والزاهدة على وضع الخردل
وهي الحيلة الاخيرة

اما نوال فاتفاح عنهم الى النافذة واطرق مفكراً لا حزنًا على فقد النسي

كانت لديه في مقام والدته ولكن في مستقبل حياته في دار الكونت وبيننا هو
 يناجي نفسه ويعلمها بتلك الامنية طرق اذنه صوت الطبيب في جانيه يقول
 — ان الخردل هو آخر ما يسعدنا الطب على استعماله في هذه الحال
 فاذا ناثرت منه كان لنا الامل بالنجاح والاحجبتها

— واذا بطل عمل المحجم

— كان الشفاء عسراً ولكن لا تيأس من رحمة الله

— يشق عليّ ان اراها على هذه الحال من الضعف والذهول فباليتها

تنبيه برهة اتمكن فيها من مخاطبتها

— ما ادراك ما يحدث بعد وضع الخردل عسى ان تنبه من غفلتها

ولا خفاك ان الطبيب لا يستطيع ان يحكم من نفسه على امر اشتبهت عليه فيه

وجوهه فقد يتفق احياناً للصايين بهذه العلة ان يشفوا منها عند بلوغهم حد

التلف ولكن لا يكون ذلك الشفاء دليل العافية لاني اخاف ان يكون

الالتهاب قد تطرق للدماغ فاصابة وهناك البلاء

— ألا رجاء بانتباهها

— ان انتباهها يا اخي لا يغنيها شيئاً

— ألا تهتدي لصوابها

— ربما يتيسر لها ذلك ولكن حبيبي ما الغرض من كل ذلك

— آه اني في حاجة قصوى الى الكلام معها

— يتعذر عليّ ان اقطع بصحة مرغوبك ومع ذلك يمكنك ان تقم لديها

حتى اذا انتبهت يتسنى لك ان تخوض معها في غابتك ولكن اياك ان تغفل

عنها لان انتباهها لا يطول

ثم طلب الطبيب الانصراف بداعي اشغاله في الخارج فودع نوال وانصرف

يشيعه نوال الى الباب وقبل ان يفترقا سالة المحامي قائلاً

— ألا تعود الينا

— انني اعود المساء اذ لا حاجة لوجودي قبل ذلك الحين وانا اعتمد
على الممرضة في العناية والاهتمام ولي بها كل الثقة
— انت الذي انتقيتها
— نعم هل يكدرك ذلك
— كلاً لكن

— ما معنى هذا الاستدراك ايسوك ان ترى الزاهدة متوفرة على خدمة
والدتك فما ضررك قيامها لديها ليلاً هل يخل وجودها في مذهبك السياسي ام
يعطل اراءك

— ستعلم يا اخي بكل الاسباب

— لا بداخلك يا نوال ريب من وجودها وتيقن ان ما من احد يقوى
على معاناة ما يعانيه هؤلاء العابدات في السهر على المرضى ومداراتهم فاعتمد
عليّ وكفى بما قلته لك بيّنة على موضع الثقة منها فاودعك الآن واعذك بالعود
عند المساء

فانصرف الطبيب وانقلب نوال راجعاً الى مضجع مدام جردي بهوومه
واوهامه وقبل ان يستقر به المقام وفد اليه الخادم يدعوه الى مقابلة زائر جاء
بحاجة اليه

فخرج المحامي الى الزائر وكان كلرجو فلما دنا منه خاطبه قائلاً -- المحمد
الله الذي هدانا اليك بعد ان كنت قد يئست من مرآك

كان هذا الرجل بعيد الشهرة في محلة سان لازار ونوتردام دي لورات
يتالمب اليه نفر من الناس بطلب المال ديناً كل مائة بعشرة وهو يرجي مطالبتهم
ويتمهل في اقتضاء ماله حذر الخسار في المقاضاة فيؤثر ان يستوفي حقه
بالامهال خيراً له من تعريضه للفقدان بطريق الاحفاف . وكان نوال قد
عرفه عند جوليات فلاح له من سيرتها معه انه يوءخذ بالملاينة والمداهنة
والتمليق فاجلسه نوال الى جانبه وعانق يسالة عن صحبه ويستعلم حاله فاجابه

كلرجو بالاسهاب متكلمًا عن اسنانو وعينيه ونحول بدنه الى ان صرف النظر
عن الصحة الى المال فقال له

— لا خفاك ان المال قد اعوزني في هذه الايام فتقدمت اليك بطلب
ما لي رهن ذمتك وقد حان اجل الدفع فلا تخبب طلبي

— بالله يا كلرجو لا تنمادي في المزاح ودع الاحاح

— وهل في ما قدمت شي من المزاح

— كيف لا وقد كنت كتبت اليك منذ ثمانية ايام ان تمهلني الى حين

لعجزني عن الوفاء بمطلوبك

— قد قرأت ذلك الكتاب

— فما قولك اذن فيو

— كان يقتضي ان نعلم من امساكي عن جوابك انكاري قبول اقتراحك

فتهم في اعداد ما يلزمك من الدين

فتضجر نوال من انكاره فقال — لم افطن لشارتك فافعل ما بدا لك

— ألا تعلم ان هذه هي المرة الرابعة التي جددت فيها الموائيق ؟

— نعم انني جددت الموائيق بعد ان ادبتك الربى الباهظ فكيفيتك

الاسف على تعطيل مالك

— لا اشكو من هذا القليل ولكن اراك تبطئ في دفع الدين طامعًا في

الملاينة فلو عرضت اسمك بطريق الاحالة الى آخر لما كنت لتفاعد طرفة

عين عن اداء المطلوب

— ما ضرني لو تحولت وتناقلتها الايدي فطافت البلاد وانا عند

عذري معك

— كلاً بل كنت تخشى المفاضاة فتسرع الى الوفاء لكن اراك نطمع في لين

جانبي الى حد النسيان فتيقن انني ما كنت للاح عليك بالدفع العاجل لو لم

اكن في حاجة قصوى الى المال

— بالله لا تلج عليّ بالطلب وأنا صفر اليدين
 — فلا تلني اذن يا صاح اذا رفعت الامر الى الحكومة
 — ما تغيبك الشكوى شيئاً وانت تعلم يقيناً انني لا املك درها بل كل
 ما اتمتع به هو لمدام جردي

— انني علمت ذلك وهل في بيع ما عندها كفاء الدين
 — فما تبغي اذن مني ألتصد سيجي فيها انا لديك ولكن باضبعة الامل
 وخيبة المسعى

— دع عنك هذا الهذيان وجد بالفاء فانك لو شئت الآن دفع القيمة
 لما تعذر عليك توفيرها

— أني لي ان اوفرها ولا مورد استوفي منه الأ جيب مدام جردي والطبع
 يأبى ان انقدم اليها الآن بالطلب

— لا فائدة من الاعتماد على صندوق والدتك وهي على شفا خطر كما
 علمت وقد سعت في استنزافه حباً بتلك الدائنة في محلة لاروفانس . فاياك
 ان تعدل الى الجفاء في معاملتي فاني انتقم بها منك فاشهر امرها معك واهتر
 عرضها بين القوم . فما كان اغواك في سبيلك معها فاندركت مراراً وحذرتك
 اقبحام الفاقة في الاذعان لوامرها ورغائبها فلم ترعو بل زدت عنوا حتى نفص
 ما في الوطاب وصرت تشاكل في سوء حالك السائلين على الابواب وباليتمها
 تخلص في حبك لفاء تفانيك في رضاها وتغلبك على هواها . فما انت لديها
 الآن الا عارية فلا بد ان تردك يوم نتحقق ففرك وعوزك

فتكدر نوال من تعنيف دائره وفار جاشه حتى لم يسعه الصبر على الذل
 في الوقوف به فسأله

— وما تبغي مني الآن بعد التفرع
 — ليس الا قبض القيمة فجعل بدفعها والا تدفعني الى مطار دتك في دار

— هل يعني لك ان تنتهك حرمة منزلها
 — انني احنال عليها في الدخول فاحملها على ان تستنص منك القيمة كما
 تيسر لها تحصيل غيرها من قبل وانا على يقين من طاعتك لما حتى انها لو
 طلبت منك رياش منزلك لما بخلت به عليها وعندي البينة على ذلك فانك
 الآن تدعي العسر وقلة الحيلة في تحصيل القيمة على انك لم تدعي ذلك عندما
 طلبت اليك في الاسبوع الماضي نقدها عشرة آلاف فرنك . فيالشفاك اذا
 طال قيامك في ساطة هذه الخلالة لا ريب انهما تدفعك للبوار . فاصغ
 لنصيحتي وناكد انني لك من المخلصين

فلم ينالك نوال نفسه ان باح بغضيه فاجابه
 — كفك توسعني شتماً وترميني بسوء النية ظلماً فاعدل عن النصيحة
 وادفع الاوراق الى الحكومة وقد حببت اليّ المقاضاة لديها على تعنيفك واذا
 كنت حتى الان قد اعتمدت في سيرتي فسميت نفسي النفقات العربية فانا
 قادر على الاصلاح وغداً اؤيد لديك ما قلت فتبين انني افيك غداً ما لك
 في ذمتي وانجو من سوء معاملتك ولا انكلف في جلب المال لوفائك الا
 موهنة الطالب ومع ذلك مهما يكن في اقتناعي من الذل رضيت به عن الحطة في
 سماع ملامك ولكن ارجوك ان تكتم عمري لا سيما في الحال الحاضرة لان في
 النفس مقاصد وما رب اسى في ادراكها فلا ابغى تعطيها حباً بك . واذا لم
 يرق لديك امهالي الى الغد فادفع كما رأيت السفينة الى الحكومة واحملها على
 مقاضاتي خيراً لي من احتمال جنائلك وغلاظة كلامك . فاني آمل منها الرحمة
 الى حين

— وهل ترجو منك الصدق في الامهال وانت على ما انت في كل حال
 فتعاملها كما عاملني

— كلاً لانني اتوقع تغييراً عظيماً في احوالي قبل وقوع اجل المهلة

— قل لي وعلى م تعتمد في توفير القيمة

— امس لك ان تعلم بذلك وستضح لك الامر جلياً بعد حين واذا رضيت
الآن احلتك بالقيمة على آخر

— آه لقد فطنت الآن الى الحيلة التي دبرتها وقد اخبرني بها جوليات
وهي انك عزمت على الزواج بفتاة مثرية لكن اخبرني هل هي في شيء من الحسن
ام ارضيت بما لها عن جمالها

— لا ابوح بسر

— انني اسر يا نوال بنجاحك وادعو لك بالتوفيق غير انني لم ازل
المح علىك في هجر تلك الفاتنة التي سلبت منك مالك وهي قادرة على ان تسلبك
حياتك فاقترب من نشا شرط ان يتخلص ظل الماكرة من فكرك فهاهنا الحوالة
بقيمة اربعة وعشرين الف فرنك فاقبضها بعد غد وارجع لك سفنحتك
— اما هي لديك الان

— كلاً لا اكنحك يا نوال انني دفعتها من امس الى الحكومة علماً مني
بمحبوط املي عندك ولكن لا تخف باساً فاني استردها

وقام كلرجو يريد الانصراف وقبل ان يصل الى الباب فطن لغرض
كانت جوليات قد عهدت بقضائه اليه عند نوال فقال له — ارجوك ان تعد
الحوالة بقيمة ستة وعشرين الف فرنك ثم ان جوليات كلفتني ان ابتاع لها شيئاً
من القماش ومن عزمي ان اذهب به اليها غداً

فساء نوال من اضراب خليلته عن مكاشفتها في حاجاتها قبل قضائها
وكذره اعتمادها على جيبه دون سابق علم بذلك الاعتماد

فلاح لكلرجو كذره فاعترضه قائلاً — أيسعك يا اخي انكار طلبها وانت
تعلم انها لا تدع عن الألمان امر به نفسها فاذا ابيت تقديم ما تطلبه الان جاءت
اليك برغائب اخرى ينوء بك حمل انقالها

ثم انصرف كلرجو وغادر نوال اسرهم شديداً لا يدري كيف بصرفه
عنه اذا علم الصكوت بعسره ثم نظر الى الساعة فراًها تشير الى الوقت

المعين لموافاة والده لكنه حاز في امره بين ان يترك امه على سرير الموت وبين الذهاب الى ابيه قياماً بوعده . فرأى اخيراً ان يعدل عن الذهاب الى ابيه فقال في نفسه - انني اكتب اليه بعذري . فقام واخذ رقعة كتب عليها ما معناه ان مدام جردي على خطر جسيم يخشى معه ان تجود بروحها الساعة فآثرت البقاء عندها للقيام بالمفروض عليّ نحوها . وبينما هو يدفع الرسالة الى الخادم لينفذها الى الكونت عرض له خاطر آخر فسال الخادم قائلاً - هل عرف شقيق مدام جردي بمرضها

— لا اعلم ياسيدي

— اما خطر لاحد منكم ان يعلن له مرض شقيقته فليذهب احدكم بالخبر

اليه عاجلاً

وعقيب ان فرغ من هذه المهمة عاود الجلوس في مضجع المخفض ازاء الزاهدة فلاح له في محياها شيئاً من البشر فساها قائلاً - هل من امل ابتها الفاضلة بالشفاء

— اتكل على الرحمن وهو خير طبيب



الفصل الرابع عشر

الخلاف بين دايمرون و تاباري

عقيب ان صد المستنطق تاباري فارسله خائباً وابى ان يلبي دعواه في ثبوت ساحة البرت اندفع الثغاف الى الطريق بعزيمة لا تفتتها المصاعب ولا تبليها المتاعب وخصوصاً اذا كانت الغاية ملافاة شر نشأ عن بدء فعل الفكرة في خلاص النيكونت من التهلكة التي رجه فيها عن غير ذنب جناه ولما كان قد اعياه الجهد كما اعيى المستنطق من قبل فاضتكمه الجوع لاذ بهطعم على الطريق فطلب الى صاحبه ان ياتي بهما تنهياً وفيما كان ياكل تواردت الى ذهنه الخواطر فانهمكته وطالبته نفسه بمقابلة البرت ليسكن روعه ويسليه على نكته قائلاً - ليتني ابلاغ هذا البري خبر اشتغالي في خلاصه وسعي في توفير اسباب مناصه الى ان فرغ من طعامه فنهض للحال ودفع ما عليه وانصرف يعدو الى محلة سان لازار فطرق الباب ودخل صاعداً السلم الى منزل صديقه مدام جردي ليستعلم حالها فاستقبله نوال وقد لاحت على وجهه امارات الحزن والكآبة لاعتلال صحة تلك التي اعندها في ماضيه امالة . فحياه تاباري وتقدم معه وهو يناجي نفسه في الطريقة التي يتخذها توصلها الى معرفة نتيجة ما انتهت اليوز يارة نوال ابيه على رغم ما كان يراه على وجه صديقه من اثار الغم محاولاً كتم رغبته في تحريره وبحثه عن اسرار تلك المناظرة لانه كان يخشى ان ينم به توغله في التنقيب لدى الحامي فيذيع امره ويعرض نفسه للظنة . فدخل تاباري اثر

نوال مضجع مدام جردى وكانت لم تنزل في تلك الساعة ذاهلة غير انه طرأ عليها تغيير بين وهو انه تسنى لها تحريك جفنيها تحريكاً مبهماً
فسال ناباري نوال همساً - ماذا رأى الطبيب .

— قال ان لا امل بالشفاء .

فدنا حينئذ ناباري من سرير المحضرة وقال - ما اشد عذاب هذه المنكودة الحظ بحسن الله اليها ان يتنهد بها اليه لكن آه لو عاشت فدرت بما يعانينها ابنها الحقيقي في السجن أما كانت تموت غماً من اجلو

— صدقت يا اخي وقد تقدمتلك بهذا القول فكنت اود لو اطال الله عمرها فمتعني بحبايتها لا كفر لديها عما جنبته به عليها . لقد شعرت الان يا اخي بالمر فقد هـا وندمت ندماً شديداً على ما فرط مني ازاء ما فتسببت كل مساوئها وتثلث حسنائها ولكن اين انا من نيل هذه البغية وعن قريب يقطع بها الله فيكنفها مريض البلاء وانا احب اليها المنية من الحياة قيد البلية وقد رايت رأيتك في براءة ساحة ابنها الحقيقي
— فمن يكون اذن الجاني

فاحمر وجه نوال من هذا السؤال في موضع التعجب والحيرة حتى لاح لناباري اضطرابه فحاول للحال ازالته بهذا البيان قائلاً

— ما سالت يا اخي متعجباً من اشتباه وجوه هذه المسئلة الألفي ببراءة الشاب عن ضعف مني وقلة اختبار ولي بنة ادعم بها الحكم وهي ان من كان ساذجاً كالبرث يقصر مدى عن ارتكاب جنابة فظيعة فضلاً عن ذلك ان كل من سمع بهذه المسئلة قد رأى بما رايت وحكم بما حكمت وحسبته سلوى اتفاق الراي على تبرئته

ولما كان هذا الحديث قد دار بين المحامي وصديقه عند سرير المحضرة اتصل بالزاهدة العابدة شيء منه فاضطربت جداً وخشيت ان تكون الغيرة او الطاعة العمياء في خدمة الانسانية قد اوقفتها في محل يشبه بتزاهته لاسيما

عندما طرق اذنها خبر الجنابة فعاتبت نفسها على الخدمة في ذلك المنزل والوقوف فيه

ثم استأنف نوال الكلام فقال - انني اعاهدك كما عاهدت امس الكونت دي كومارين على الدفاع عن ساحة البرت

كاد ناباري عند سماع هذا الكلام ان يضم نوال الى صدره فيبوح له بسرره متفقاً معه على انقاذ النيكونت لكنه خاف ان يغمض من قدره باسهار امره فرأى ان يصبر على الكتمان الى ان يتحقق نتيجة ما تنضي اليه حال البرت . فقال لنوال

- احسنت يا اخي بما كشفت لي من ثبات عهدك وصدق ودك وما اتيت من الادلة عن علو همتك وشهامتك واخلاصك نحو من كان لديك بمقام المغتصب وقد كنت اخشى ان تلهيك السعادة ومطافرها عن حب من غادرتهم يمجزون وراءك اذيال الشفاء والنوءس فتداركني بعفوك عما داخلي من الوهم واخبرني بما كان منك مع ابيك الكونت لانه على ما اشرت اليه في حديثك انك كنت في خلونه

وفي تلك الاثناء لاح لنوال نظر الزاهدة محققاً به بتدقيق الراغب في الوقوف على اثر يتوقعه فاومى لرفيقه عن ذلك بلطف الاشارة وقال

- انني اجتمعت به فلقيت منه كل ما به سروري وغاية منامي ولا يسعني الآن ان اتيك مفصلاً جملة ما دار بيننا غير انني استأنف الخطاب في هذا الشأن فاوافيك بالبيان الشافي لانه يشق علي ان املو بالسعادة ونفسي مشتغلة بالحزن عما نال مدام جردي من الشدة والضنك

فاضطر ناباري ان ينقع بهذا الجواب على وعد التفصيل وتقدم الى نوال بالاذن في الانصراف الى منزله حرصاً على راحته من الجهد نهائياً فلم يلج عليه نوال باطالة الوقوف لديه واخبره بما كان من عزوه في استدعاء شقيق مدام جردي واجلى له عن حيرته في تخفيف حزنه واضطرابه عند اشهار خبر اعتلال

شقيقته فاعى اليه ناباري ان يكتم الامر للحال فينبئه به استئنافاً
ثم ودعه وانصرف بقصد منزلة بعد نغيبه عنه نحو يومين . فدخله وهو
يوجس خيفة من كدر قيمته التي كان غدرها الوحدها دون انيس ولا جليس
فاستقبلته منه وهي تزجر متلبسة بالغيرة على صحبه والمحافظة على راحته فيها
له معدات الرقاد وانصرفت فاقتل ناباري الباب وخلا بنفسه يناجيها في حقيقة
ما كان قد وقف عليه في مسألة لاجونشار وبعد اطالة الفكرة تاكد صحة ما
ابداه لكنه طالب عزيمته بصرف الجهد توصلاً الى الجاني . فهجس قائلاً - لقد
تهوأت في الجاني معتمداً على اراء الناس وقد قيل « جد وراء من كان له في
الجناية ارب » فلو قلنا ان للوارث حظاً عظيماً في قتل مورثه كان ايضاً
للمحمول على القتل سهم في الجناية وهو احراز ما يكون عليه من الحلي والمال .
فالظامعون يقتل الائمة ثلاثة وهم البرت ومدام جردي والكونت دي كومارين
فما تبين لي ان البرت غدا براء من التهمة ومدام جردي ايضاً لغمها الشديد
وحزنها على قتل الائمة عند تصفحها الخبر فبني علينا ان نبعث عن امر الكونت
فلا ريب انه لم يقدم بنفسه على ارتكاب هذا الاثم الفظيع بل ساق اليه آخر
فمن ترى يكون ذلك المرتكب وقد دللنا الآثار على كرم اصله فهل يكون
ايضاً لهذا الثاني معين ثالث . ذلك ما يجب عليّ تدقيق النظر فيه . ثم يبدو
لي في المسئلة وجه آخر يستوقف الفكر عنده وهو ان تلك الائمة قد اتنا
بتبدل الطفلين ادلة تشير الى حذاقتها واقتدارها على الشر فلا بد ان يكون
لها يد سابقة في الغدر والمكر دفعت من نمكر بهم للفنك بها تحلصاً من شرها
وبالجمله ان في المسئلة سرّاً بيته عقلي في سبيل استغلاله اما الذي تاكدته من
امرها هو ان الفنك بها لم يكن ناشئاً عن امتلاكها الباب الذي يتوصل به
نوال الى استرجاع حقوقه بل كان عن غاية تحاكبها على ما اوضحته في التفصيل
الذي وجهت به التهمة الى البرت . ذلك ما يقتضي عليّ دراسته ومن اللازم
ان افق على سيرة هذه الائمة فاحيط علماً بها وسادرك ذلك متى جيء بترجمة

حياتها الى المحكمة

ثم عاد ناباري الى مراجعة البيانات التي قدمها في تخطيطه البرت فرأى ان ليس فيها ما يثبت وقوع التهمة عليه . لكن الاتفاق او الصدفة مهدت سبلاً للوهم فاغلقت عليه ابواب السجن . ولكن ما اضلّ الفرائث احبائنا وما ابعد دلائلها من مواقع الحقيقة وقد تخففت ضلالها في دعوى ذلك الخاطئ الذي كان قد قصد نحو الساعة الخامسة مصنع بائع الاسلحة فابتاع منه مدية وذهب فقدمها لاصدقائه قائلاً لهم - « انني قد ابتعتها للفنك بزوجتي الجائرة التي تمكركي وباولادي » ولما كان المساء سمع الجيران لغطاً ونزاعاً شديداً في منزل الخاطئ يتلوها وعيد وتهديد . وفي الغد اتفق ان الخاطئ وخادمة نغيبا فوجدت المرأة ملفاة على الارض مضضبة بدمائها وتلك المدية كانت قد بلغت من ظهرها مدي النصل . على ان الفنانك لم يكن زوجها اصلاً بل خليلها ولكن قد انت الفرائث بما ينفي التهمة عن الثاني ويوقع بها الاول . فما لي ولا البرت اذا انكر عليّ بيان المكان ليلة وقوع الجناية فعليّ ان اثبت بعده تلك الليلة من موقع التهمة وباطال كل مظنة . فعسى ان يكون جنرول قد اهتدى في بحثه الى الجاني الاثيم . آه من لي بعنق البرت من السجن ولو بما ملكت بدني اسفاه ماذا بجلّ لي اذا حبطت آمالي وخانني المجد في خلاص من اخذته بحبالي ثم نهض ناباري فاستلقى على سريره ونام مزعوجاً مشغول الفكر في عاقبة امر البرت فرأى في منامه كاه وسط القوم يوم يجنشد ليشهد قتل الجاني في ساحة (لاروكات) وامامة المظلوم البرت برسف بقيوده منكس الراس صاعداً السلم المؤدية للطع معتمداً على عاتق النسيس حتى اذا بلغ الطع اجال نظره يمينه وشمالاً فاصابت عيناه فللحال تقطع وثاقه وبسط يده مشيراً اليه قائلاً بصوت جهوري

— « هذا قاتلي »

فعندئذ هاج الشعب وماج فندفت عاه الشتايم كما تندفق المياه من

القباح . فاراد الفرار فحال دونه الرعب فحاول ان يغض بصره فتعذر عليه ذلك لان قوة داخلية كانت تدفعه للنظر حوله . ثم رفع البرت صوته وصاح — « انني بريء والجاني هو ... »

فلماظ اسما تنافله الشعب لكنه لم يفهمه وما طال الزمان حتى اطار الجلاذ رأس البرت

فعند ذلك انتبه تاباري من نومه فزعا ومكث بضع دقائق مضطربا حتى تاكد لديه ان ما رآه كان حتما ولكن خاف ان يكون ذلك الحلم نذيرا فاخذ يتذكر حديث البرت ويراجع في نفسه ما وعاه لعله يظن لاسم الجاني الذي اعلنه ولما اعياء البحث نهض من فراشه فاشعل الشمعة وجلس على الكرسي يعنف نفسه وبواخذها باقتحامها الاشتغال في مهنة لقي فيها امر ما كان من دنياه بعد اذ توهم فيها اللذة والمجد . وبالبتني وقفت في محنتي عند المتاعب فكفيت فلقى الفكر من الجنابة زورا على البريء وقد نهني الدهر للعدول عن السير في هذه الخطة منذ حاق بي الفشل في دعوى الخاطئ مع امرأته . وما زالت الهواجس تبهده تاباري وهو يرقب ساعة خلاص البرت حتى دنا ذلك اليوم فقصده نحو الساعة الثامنة دار المستنطق وتقدم اليه بالعدر عن اقباله اليه باكرا فاستقبله دايرون هاشا باشا يريد ان بلاطفه اصلاحا لما كان منه قبلا في التماس تخليه سبيل البرت

فساء تاباري هذا الاستقبال وخاف ان تكون تلك الابتسامة سخرية منه واستغنافا به فامسك عن التصريح بما كن في خاطره وما قصد المستنطق لاجله لكن لم يسعه اغفال السعي في تجريد ضميره من عوامل الريب والشك فافتتح الخطاب معه بكل هودة ناظرا الى فواده مثبرا احساساته وعواطفه مناجيا عقله ورشده اما دايرون فلم يتحول عن عزمه ولم يغير حرفا ما رشح في ذهنه ولا لوم عليه لان حديث تاباري لم يكن الا من قبيل المجاز عند وجود الحقيقة بعد اذ وضعت لدى المستنطق البيانات الجلية في تخاطمة البرت وانهمامه فقال له

اخبرنا تباري - اسالك يا سيدي التهل في الحكم على هذا الشاب الى ان تستوفي العلم باحوال ماضي تلك الآية وما يكون قد احرزه جفروا من الادلة في هذا الشأن واطلب اليك ان تنج لي مقابلة التيكونت فاخلو به في سجنه وما اخالك تنكر علي هذا الطلب لقاء ما قدمت من النصب . فابى المستنطق عليه الخلوة في ذلك الحين ووعده بتلبية طلبه بعد اربعة ايام فاجابه تباري قائلاً

— يشق علي يا سيدي هذا الانكار ولكن لا حيلة لي الا بالرضوخ والاذعان عملاً بالامر

ثم نهض يريد الانصراف للحال معاذرة ان يدفعه الجدل الى الحدة في الكلام فيمتنع عليه نيل رغبته . فانقلب راجعاً وقد اضر في نفسه الانتقام من المستنطق لعناده كما آلى على نفسه انقاذ البرت من تلك التهلكة التي زجه فيها فهجس قائلاً - يا لشقاء ذلك السجين الرابض في سجنه اسير الاضطراب والقلق يناظر الموت في كل لحظة

ان دا يرون لم يكن يتطلب للايقاع بالبرت الا المدة التي عينها فيسعى جهده في اكرامه على الاقرار بذنبه ولكن لم يجد من يشهد له بما كان من البرت في ليلة المرفع . فعد الى توفير السعي في اجلاء هذا الغامض فدعا باربعة من احذق الشرط ودفع اليهم رسم البرت فارسلهم الى بوجيفال وارباضها منقيين باحثين عن الآثار موعزاً اليهم ان يطلعوا سكان تلك النواحي على الرسم لانه لا بد ان يكون قد عرفه او لقيه احد بزلاء تلك القرية ليلة وقوع الحادثة وعقيب ان انفذ رجاله عاد فطلب اليه البرت . وكان تلقى صباحاً التفصيل الشافي عن حال السجين وحركاته ونحوه في تلك الظلمة لكنه لم يذكر الكتاب فيع شيئاً ما يشير الى تحقيق الجناية . قال . انه لم يسمع ركراً بل كان مطمئن البال مفكراً باكل وبنام شان من لم يهجس بشر يدهم او خطر يؤلمه وفي تلك الاثناء دخل البرت بين خفرائه غرفة المستنطق ولكن على

حال لم يكن عليها من قبل لانه كان يتوقع المنية رابط الجاش غير هياب ولا جازع فكانت عيناه تحكي لناظره عن رضاه بالموت والرضوخ لاحكامه دون رهبة وبالجمله انه كان ممن نقلهم المصائب فلا تجند لهم فلما راه دا يرون شديدا العزم ثابت الجنان عدل عن الخطه التي كان قد اخذه فيها قبلاً وعرف ان من كان في مكان البرت لا يخشى وعيداً ولا بهاب تهدبداً بل بزداد ثباتاً كلما زاده اعتنائاً فرأى ان ياخذه بالرفق فيما كي فواده لعله يصيب منفعة في اثاره اشجاناً فحدثه ولا حديث الاب وداراه ولا مداراه من طب ابن حسب فمرّضه بذكر حبيبته وانتظارها ساعة النوم المتوقفة على لنظته تدر من فبه مفراً بما كان من اثر ماضيه وحاصل الامر ان فصاحة المستنطق لم تتبع في فواد البرت بل ما زال يحجب بالايجاز عن كل ما كان ينترح عليه مؤبداً براءة ساحته مؤكداً حقيقته نرايته

فلم يبق للمستنطق من الحيل في حمل البرت في الاقرار وتحويله عن ذلك الاصرار الاطربقة واحدة وهي انه جعله ازاء جثة تلك الائمة المتفولة من اربعة ايام فتاثر البرت عند النظر اليها كما يتاثر غيره حينما يبدو له مشهد هائل او تروى له حادثة مفعمة وبينما هو لديها قال احد المحاضرين - لينها تنكلم فتنصل الخطاب

فاجابه البرت قائلاً - لكنت انجو من ذنابي باهون الاسباب فغضب دا يرون جذاً لحيوط مسماه وعدل عن الرفق الى الحدة فامر الجند ان ترجع بالتمهم الى السجن قائلاً في تنسو - لا بد ان اتوصل الى اخذه باقراره

فما بال دا يرون يريد تخطئة البرت بعد اذ كما رأيناه يسعى في نجاته لا ريب ان العامل في هذا الانقلاب هو وقوف المستنطق في مجال اشتبهت عليه فهو المسالك فتوهم ان ما جمع لديه كان الحقيقة لا شبهة فيها وان اصرار البرت على انكارها بعد من باب المكابرة والعناد فصار بوداً الآن لو تمكن

من تخطئة البرت وثبتت تهمته وما كان بحملة ايضاً على الابقاع يو هو الخوف
من ان يرمى بالليل عن غرض في دعواه فجد يحاول تحت جلاء الحقيقة تنزيه
نفسه عن هواها

فقام الى بوجيفال واقام هناك يصغى الى ما كان يتلى عليه من تفاصيل
الحادثة دون ان يعلق منها بشيء حديث الا ان بعضهم اخبروه ان امرأة
لا يعلمون بشأنها ومكانها كانت قد باحت لديهم برأى القاتل خارجاً من
دار الائمة ثم اخبره البعض الاخر ان ناباري كان ايضاً ساعياً على العربية
سعي الثفافين في الاهتداء الى اثر الجاني في هذه المسئلة الغامضة وكان في اثره
نفر من الرجال فقابلة الثفافون وتحدثوا معه . فقال لاحد الثفاف ما اذيع
زمانك في اذاعة هذا الرسم بين القوم وما اكثر الشهود اذا كانت اجرتهم
دراهم معدودة ثم قابل آخر فقال له - لا ريب انك ساذج بل غبي في سعيك
على الطرقات وراه رجل قد اتخذ الزوايا مأواه فراراً من المنبئين عليها
فلا جدر بك ان تنقب عنه في الخبايا . ثم التقي باخريين كانا على مائدة
الشراپ في بوجيفال فادار معهم ذكر الحادثة وتكلم عن حذافة الجاني فقال .
حكى ان رجالاً راوه ثم روت لنا امرأة انها خاطبته وسارت معه بعيداً

فساء دايدرون فنجول ناباري في بوجيفال وعزم على ارجاعه الى باريس
اما ناباري ومن معه كانوا قد تواروا في الحجاب

فاضطر المستنطق ان يعاود منزله كثيراً حزينا وعند دخوله استقبله
المخادم برسالة برفية كانت قد جاءت من روان موقعة باسم جنرول . وهذا
مبناها :

« وجد الرجل وفي هذا المساء اقدم باريس ولدينا شهادة ثينة »
« جنرول »



الفصل الخامس عشر

كلارا ودايرون

لما كانت الساعة التاسعة من صباح الاثنين علق ينيهاً دايرون للذهاب الى دار الحكومة حيث كان يتوقع لقاء جنرول وناباري وقبل ان ياخذ تمام الالهبة للانصراف دخل عليه الخادم باعلان قدوم احدى التفتيات وفي رفقتهما عجوز تبغي مكاشفته وقد ابت اشهار اسمها دون حاجة تدفعها الى ذلك فامر المستنطق ان ياذن لها بالدخول وقد توهم فيها نسبية احد المتهمين في دعوى يشتغل في البحث عنها فاراد ان يستقبلها عاجلاً لينظر في ما تريد ويرسلها عنه حالاً

وكان اذ ذاك واقفاً عند المستوقد يبصر في حفة رقاع الزبارة منتبهاً فيها عن اسم يريد تحقيقه وبينما هو قابض على تلك الحقة بقلب النظر في ما وعت سمع حفيف رداء السيدة عند الباب فلم يشبه اليه ولم يلو عليها بل صوّب نظره الى المرأة ازاءه ولاول نظرة وقعت على صورة الزائر المنعكسة عليها وقعت الحقة من يده على ظاهر المستوقد فزعاً شان من تمثل له شبح هائل فاراعه وهمس قائلاً - أ كلارا مقبلة اليّ

ونخيفة ان يكر به الوهم لوى الى الباب فتحنق شخص من هتف باسمها اي كلارا تلك التي رمت بجبها فمالت عنه الى النيكونت فحار دايرون من جرائتها واقدامها على زيارته وحدها لان قيمتها التي كانت في رفقتهما مكثت خارجاً ولا

غرو اذا انفتحتم كلارا نجرع الملام في زيارتها دايريون لان حبها لالبرت
 وضنها بجباته قد موّنا عليها المتاعب وذلّالديها المصاعب بل زادنا في حسنها
 رونقا لم نانس به عين المستنطق من قبل فتقدمت بلطف الى دايريون
 والفت عليه التحية فائلة

— لم ازل ثابتة على عهد الولاء معك فهل عندك مني ما عدي منك

— نعم كل اخلاص

ثم جلست كلارا على الكرسي الذي جلس عليه تاباري من قبل ليندر مع
 دايريون امر الفاء القبض على حبيبها وقالت
 — هلاّ عرفت بما قصدتك له

فاوحى اليها دايريون ايماء العارف بالغرض وفواد بضطرب خوفاً من
 الانقياد اليها وقبول رجائها فمكت حائراً لا يعلم بما يجيبها اذا طلبت اليه العفو
 عن حبيبها

فاستأنفت كلارا حديثها فائلة — لقد اتصل بي من اخبار حادثة الامس
 ما ذهب بروعي فاحرمني الهجوع والثاني من غمي على فراش من دموع لكنني
 عندما علمت ان قد عهد بفصلها اليك سرّي غمي وزال كربي فاشكر لطفك
 وانني على جميلك لقبول الحكم فيها رحمة بي

فلما سمع دايريون شكرها وثناءها بكلام يتطر لطفاً اطرق خجلاً وقال
 — لست في شيء ما اثنين به عليّ

وكان صوت دايريون بنهدج حتى تنبه خاطر الفتاة اليه فتوهمت انه
 ناشئ عن ذكرى ما كان من امره معها سابقاً فقالت له

— ان الاسباب التي تفرض عليّ شكرك لي واضحة وحسي بوقوفي لديك

وسبيل نقرتي منك سبباً يقضي بذكر صنيعك لانه لو وكل امر البحث عن
 حقيقة الحادثة الى رجل آخر لامتنع عليّ الطريق اليه وبعدت مني حيلة
 التسلية في استجلاء الغامض على انني آمله بك ان تنيدني عما اوجب الفاء

القبض على ذلك المظلوم وزجه في السجن دون رحمة
فتنهذ دايرون تنهذاً اسمع كلارا غير انهما لم تستطع بيانه فاستطردت
الكلام الى ان قالت

— ان لمعي بلطفك وحلمك بجملتي على ان اتكلم بحضرتك ولا احاذر
خطراً وقد تاكدت لي مودتك فاعتماداً عليها اسالك ان تفرج عن المظلوم
سريعاً واعلم يقيناً انه برىء

ان كلارا كانت تتكلم شان من كان على يقين من امره جاهلة ما انطوت
عليه تلك الحادثة من التفاصيل التي وجهت كل التهمة الى حبيبها اما
دايرون فتناثر لكلامها واضرب عن ملامها في عرض الطلب خاضعاً لحكم
تلك العيون التي كانت تشفع لديه بحركاتها الفئانة فمكث صامتاً لا ينتهي من
عجبه وحيرته في ازاحة الستار عن خبايا تلك المسئلة التي لا ريب تزعزع اركان
سعادة كلارا . وقد كان في الامكان ان يقابلها بالصد كما قابلته عندما باح لها
بمحبته لكنه لطف اعتراضه على اعتقادها ببراءة ساحة البرت ولم يبرض بذلك
فوزاً فقال

— ان لدي من البينات ما ينكر براءته
فقامت للحال كلارا مزعوجة تهنرض عليه بالاشارة فاستأنف دايرون
الكلام قائلاً

— بل اوكد لك انه اثم
— ما اخالك ترعى الاوهام
— كلاً بل انا عند حد اليقين وانا شئت اطلعنك على الوقائع حرفاً
حرفاً

فما كادت كلارا عند هذا الكلام تصدق بوجودها بحضرة الرجل الذي
عهدت فيه الرقة واللطف والحب بل كانت تكذب بما سمعت وما نقلته اليها
آذانها وحملت كلامه من العجب على الابهام

— اما دا يرون فكان لم يزل لديها غضبض الطرف تلوح على محياه
 اشارات الحنان والرافة الى ان قال

— يشق عليّ يا سيدتي ان آتيك بالحقيقة دون تمويه وقد نالني من
 العلم بها ما نالك وسهنا في المصيبة سواء واحب اليك ان تاخذها عن صديق
 ما غوى في حبك ولا سعى في نقض ما ابرمه من جهة قلبك فتاهي اذن لاستماع
 الشكوى وجردني نفسك من هواها وتدرعي بالصبر على احتمال البلوى .
 كلاً ان الحكومة لم تخطئ المرء في الفاء القبض على التيكونت دي كومارين
 وقد ثبت لديها انه هو الفاتل بادلة صريحة

وكان دا يرون عند نصر يحو بالشكوى امام كلارا كالطبيب الذي يصب
 في كأس الدواء نقطاً من السم عملاً باصول الطب ابتغاء المنفعة ولبئس من
 عينها الاثر الذي وقع في نفسها من كلامه حتى اذا رأى انزعاجها امسك عن
 الكلام . فكان يتوقع منها سكب الدمع والتلف على وقوع حبيبها في انياب
 الشدة . لكن كلارا لم تنال بشكواه فصدمتها قائلة

— كذب من رماه بهذه التهمة فما كان البرت فانكاً ولا سناكاً ولو قدر
 انه اقر من نفسه بذنبه لانكرته عليه وخطأته فيه

— انه لم يبع حتى الآن بذنبه ولا بد ان يصرح به تحت عيب البيئات

التي القيت على عاتقه فكانت كلها واضحة ولا وضوح الشمس رأد الضحى
 — لا اصدق التهمة ولو اتفقت البيئات عليها وانا كما علمت اعلم منه
 بنفسه فلا اقول بذنبه واجاهر بتبرئته بين العباد كما اعلن كذب المفتري في
 كل البلاد

واذ حاول المستنطق الاعتراض فاطعته كلارا الكلام فقالت
 — انك تدفعني ايها المستنطق الى ان ابدل صفتي فالبس في مناظرتك
 غير حالي وانتقب بغير نقاي فاقوم لديك قياحبي لدى والدني شحاً بصيانة
 حياة هذا الشاب ورغبة في اقناعك وازالة الاوهام من صدرك . فاعلم اني

احب هذا الذي منذ اربع سنوات وهو يحبني حباً لا يفي الكلام بحق وصفه
وتعريفه فشرح لي قلبه وكشفت له صدري حتى كان كلانا واحداً في التوكل
والفكر فلم آنس فيه كل هذه المدة الا ما كان باعثاً على تمكين رباط الحب
بيننا وتوثيق عراه . به نزلت نفس الانسان منزها وفي قلبه حرف فضلهما . به
تخضت الكرامة واليو لفت السلامة وبالجمله ان الله خصه بخلال هي للانسانية
كمثال . فاني لمن كانت هذه صفاته ان ياتي جنابة لا يقدم عليها الا الضواري .
وقد عرفته منقطعاً لذاته عن لذاته بينما كان كل من رآه حسده على نعمته لان
والده كان يفتنه ويبغي بيعه منه فقام معي بفاسني الشفاء والعناء الى ان من
الله علينا بالفرج فمالي ارى المتعري يلج علينا بالتزام الضنك والشدّة بالله قل لي
ما الذي يدفعه الى التحامل علينا

— لا خفاك ان البرت لا حتى له بالشهرة التي نفلها والمال الذي تنعم
به حتى الآن وقد اقرّ بذلك واذا كانت حنيفة هذا التجرد سرّاً في صدر عجز
خاف ان يدفعه الزمان قضى عليها قبل الاوان

— يا للنظيمة وبالعار اذا كان المدعي قد اسند دعواه الى هذه البينة
الوهنة لا ريب ان ما افترى به عليه كاف زوراً وبهتاناً وقد تحققت اسرار
التي اشرت اليها فعرفتها بوجوها اذ كان حزنه من اذاعتها شديداً ليس فقط
بالنظر الى ما خالطها من التمويه بل مخافة ان تكون لديّ من دواعي تعطيل
موثقة الحب المبرمة بيننا . اما انا فعبثت باوهامه وسعيت في تبديد اكداره
بقولي ان حبي له لم يكن مستوداً الى الشهرة ولا معتمداً على المال بل اساسه
الاتفاق . فمالي وللارجاف والتشنيع فاني احبه ولو اعترض عليّ الجميع فلما
ناكد ثباتي على حبه على رغم الاشاعة شكر لحسن وفائي وقال لا احيد عن
حبك حتى يعترض دونه فنائي

— لا يند عنك ايها الكريمة ما يعترض للانسان على غمو وهو من
الخواطر التي تسوقه الى تلهو وهو لم يتعدها بل يجري معها كالذاهل المائل

فلا ينسبه الى غوائلها الا بعد ان يكون قد افتحها جهلاً . ولا يبعد ان يكون
البرت قد جرى على ذلك في ما فعل بعد اذ تأكد من ابيه الجفاء وحرمانه من
العمة التي تمتع بها طويلاً فحاذر ان يسقط من اعين الناس فوضع بينهم ذليلاً
بعد ان تبوأ من المجد مكاناً رفيعاً ونال قدراً جليلاً
فاكهر وجه كلارا ولاحت عليه سماء الكتابة كأن بها قد مالت الى جانب
الشك فقالت

— ترى أهوى به اللم الى ارتكاب تلك الجناية
— لا استطيع ان اقطع بذلك وقد ارانا في اقدامه على الجريمة وتاهبه
اليها حكمة بنية بها عقل الناقد البصير لكن اكدي ايها السبدة انني لا اسلك
في مقاضائهم الا ما فطرت عليه من الحرص على العدل والرحمة واعلمي انني لم
ازل على العهد ارجى الولاء فاصبري واكتبي حزنك الناس الى ان تجلوا لديك
عاقبة الامر لئلا يشمت بك الاعداء فيكثروا من ذمك في التطوُّح بحب
هذا الشاب المننون

— بالله لا تخاطبني بحديث العموم فاني لا ارضى بمقتعا
— ان حبك يعصب على عينيك فيريك الضلال هدى والعدل اعتدا
فابقي على كرامتك وشي بسلامتك الى ان تكشف لك الايام حقيقة ما خطر
ببالك انه وهم من الاوهام ولا تفتني من الحياة فسوف يأتيك الزمان
بحبيب سواه

وكان هذا الحديث يمر باذن كلارا لفظاً لا تدرك معناه فقالت له

— عد علي بنصيحك لاني لم افقه موداها
— ما جئتك الا بما تلاه علي قلبي من نصوص حبك فاحفظي عني
ولا ازال اكرر عليك القول راغباً اليك بالتزام الصبر عند هذه النائية
وقدمي احزانك فداشرفك واسكبي ما شئت من الدمع ندامة على عهد
دنست به حبك وخلوصك واطلبي الى الله ان يعاجلك بنسيان لان من

احببت كان من دون اهلك

ثم امسك دايمرون عن الكلام وجلّ لان كلارا كانت قد ضايقها
الاشجان ولم يعلم ان قلبها كان لم يزل حياً حتى استأنفت الخطاب فقالت له

— تبين لي من كلامك قبلاً ان البرت اقنع المجناية وهو مفتون

— لا انكر ما قلت واقول

— فاذن كان لا ذنب عليه

— ليس لنا ان نحكم بما اتزوى في زوايا الصدور بل الحكم في ذلك لله

وحده اما نحن فلا يسعنا الا الحكم بانمو وربما تسنى للقضاء ان يخففوا من عقاب
شيئاً او ان يصفحوا عنه لكن لا يدفعون عن شهرته ما لحق بها من العار . بل

تدرون على جسمه مدى حياته

فاستوقفته عندئذ كلارا وهي غصبي وقالت

— تريد بذلك ان تحملني على هجره والتخلي عنه حين الشدة فاذا كنت

قد رأيت ما يراه بعض الرجال اذا دهم خلاصهم مصيبة او ناهم نائبة اما انا

فلا انحوّل عن عهدي ولو نزلت لحدي فالمرأة عموماً هي اوفى الاصدقاء

واخلصهم عند حلول المصائب ولا بد ان تكون عينك قد اكدت لك هذا

الامر وان كان قد فاتك فاعتبره مستانفاً فنجد عند المظلوم المنفرد في نكبته

امراً تبكي لبلواه ونحو لا ذاه . فاعلم وتيقن انه مها تكلفت من الجد والنصب

في الجهاد معه لا اعدل عن حبه وقد اخبرته لي من اول عهد الصبا حبيباً

فابقى على عهدي ولا اخلف بوعدى فاقوم اثراوح معه عب العار الى آخر

ايامي . فارمو بنبالك تشق صدري قبل جلده . ارشدني الى السلوان يا من

نقدمت اليّ بالله اهدني مورده . كلاً كلاً انني لا ابغي به بدلاً فيبعد التخلف

عنه ذلاً . هو حبيبي اذا سكن السجين ونصبي اذا هجره ورفيقي ابنا سار وشقيقي

ولو عاش شاردآ في الفنار . نعم نعم انني له ايات استقر . وارد مورده على

الخبر والضر

وفي اثناء هذا الكلام استجنّ دايرون بكفيه يريد اخفاء لوعنه واطفاء
حرقته فقال في نفسه - ما اشد حب كلارا لالبرت واحرصها على حياتها آه لن
كان لي من يحبني ويرعى ودادي كما ترعى كلارا وداد البرت لكنت اشريه
بروحي قبل ان افديه مالي

ان المحبة التي اكدتها الفتاة لخطيبها بعثت في فواد المستنطق الغيرة والحسد
فقال . ما لي ارى بعض الناس يجرمون لذة هذا الحب وفي قلوبهم من
العواطف والاحساس ما في قلوب الآخرين أبعد ذلك جهلاً من المرأة بقدر
تلك الاحساس . فما بالها آثرت حب البرت على حبي على انني قد احرزت من
الكلمات وجمعت من الاسباب التي توهلني اليه . وبينما هو يناجي نفسه بهذه
الخواطر لاح له انزعاج كلارا وتصريح انفسها فخطر له ان يطن الجرس ليدعى
الغلام اليه قصد ان ياتي به يعالج به ضعفها واذا نسيت فيه الاهتمام بهذا الشأن
انكرت عليه ذلك بفوقها

— ما قصدت يا اخي في دعوة الغلام

— رأيتك مزعوجة فقصدت ان افرج عنك

— لا يغرّنك ضعف بدالك ظاهراً وقد ربط الله على قلبي وثبت

جاشي فان الحزن الذي توسمته في كان ناشئاً عن اذاعة اسراري ولولا ان ما
بحت به كان من اجل البرت وفي سبيل خلاصه لكان غمي اشد ما رأيت وهي
اعظم ما علمت وعانيت . ثم انني عرفت نفسي لتعرضها للدفاع عنه على انه لم
يأت ذنباً يستحق الدفاع بل كان بريئاً طاهر القلب صافي السيرة نزيهاً

وتحفظت كلارا للانصراف فاستوقفها دايرون باشارة منه يريد ان يجهر
على فوادها فيجرمها امل النور بخطيبها معافي ولما استأنف الخطاب معها
بفاتحة الاسف واللف فاطعته كلارا الكلام قائلة

— كفناك كفناك ما حملتني بجديثك وصبا ونيقن ان لا فضل له لاقناعي

على انكار من مال اليه القلب وصبا . فامكت على عزمك واعنقذك لكن

ارجوك ان ترحم شفتائي وترثو لبلائي ولو كنت حقاً صديقي لكنت اعاهدك على نصرني لكلك تأبى الخلوص معي في خلاص حبيبي

فاضطرب دابرون عند هذا الكلام واستقبل صابراً سهام الملام فحاول من نفسه عبثاً التحول عن اعتقاده بجنابة البرت لان المصلحة والمحبة كانا يتجاذبان فواده فلا يقوى معها على الحيلة في استجلاء الوجه الذي به يتوصل الى تبرئة الجاني خلافاً لما كان يهد فيه من اللطف بالمجرمين والرفق بهم

ثم نظر الى كلارا وقال لها بصوت خافت - لو بسطت لديدك ما وعت الاوراق من البيئات لقطعت برجائك وعدلت بك عن حب ذلك الجاني - فما عساها ان تكون تلك البيئات التي توعدتني مراراً ببسطها فهات ما عندك منها

- فليكن اذن ما رغبت به وسأتيك بيان ما احرزته الحكومة دليلاً على تخطيطه فلا تنوهمين بي خصماً لدوداً بل ما زلت لك صديقاً ودوداً ولكن لما كان الزمان لا يسمح لي بسردها الآن فحسبي بواحدة منها حجة سديدة تقع قذى في عين كل معترض وهي ان الجنابة كانت في ليل ثلاثا المرفع وقد تعذر على المنهم اشهار المكان الذي استقر فيه تلك الليلة قال انه خرج فيها من منزله ولم يعاوده الا عند اثانية من منتصف الليل وقد انت اثوابه وكنفوه بما رسخ عليها من الآثار ما يفهم المدعي زوراً

فقاطعت كلارا الحديث فرحة به قائلة - مهلاً يا اخي مهلاً أهذه هي الحجة التي تويد بها التهمة . ألتخذ خروجه تلك الليلة وتأخير عودته سبباً للجنابة - نعم يا سيدني

- فياخبيبة امل الخصم اذن في دعواه اذ جاء باوهن الادلة تأييداً لمرامه وانفاذاً لما ربه فان البرت كان ليلة الثلاثا عندي وفي داري

- هل كان البرت تلك الليلة بالقرب منك

- نعم

فتضعفت خواطر دابرون عند هذا الاثبات حتى ظن نفسه في غفلة
اوسيات ثم استأنف السؤال فقال

— هل رأته جدتك وقيمتك وخدمك في القصر . هل تكلموا معه
فناظروه

— كلاً يا سيدي انه جاء الي خفية عن اعينهم لانه كان قد بدا له امر
احب مكاشفتي به سرّاً وانصرف عني دون ان يدري به احد
فتنهد دابرون تنهداً هذا معناه — انها تبذل أقصى الجهد في نجاته وقد
رأت دون انفاذه تعريض شهرتها

اما الفتاة فتناولت معنى تعجب دابرون تأويلاً اسندته الى رضاها عن
الاخلاء بالبرث فقالت له

— ان تعجب من كلامي ايها المستنطق بغض من شرني وقدري

— ما قصدت يا سيدي . . .

— لا تحاول تاويل تعجبك الى غير ما اشار فاعلم ان من كان في مقامي
تسنى لها ان تستقبل خطيبها دون باعث فلا تتجمل من الوقوف به ساعات
استغرقها بيان الخلوص والولاء

وكان الغضب والغبط قد صبغا وجهها فاضهرت الحقد على المستنطق
فاعترضها قائلاً

— ما كان من قصدي الا ابتاع بحرمته والغض من مكانتك كما توهمين
لكن عجبت من اخلاف التيكونت اليك خوف الرقباء على ان امر خطبتك
اليه قد ذاع وشاع فدنا عهد القران فضلاً عن ذلك انني حرث من وقوفي
بك وعليه تلك الثياب الوسخة

— اذن انت في ريب من حقيقة كلامي

— ان الزمان يكذب بها . . .

— اسالك ان لا تنهر عرضي مدعياً علي بالكذب والبهتان وتبين اننا

لو كنا مذنبين لما تقدمنا ببينات تبرئ. ساحتنا لديك فنكبتنا عن نهم الرجاء
وانصال طلب السماح

فساء داهيرون تيه كلارا واستصغارت لفدره فاعترض عليها قائلاً
— لا يفرب عنك انني مستنطق وعلي واجبات لا يسعني اغفالها فانصل
بي خبر الجناية فنقبت في اسبابها وبحثت عن الجاني فتبين لي انه النيكونت
دي كومارين فالقيت القبض عليه عملاً بالسنة الجارية ان بوخذ الجاني بذنبه
فاستكشفتنه وعرفت منه انه انيم فما فائدة المعترض على الحكم في نخطئة الجاني
اذا كان هو الشاكي على نفسه. وقد كان من الواجب ان اصم اذاني عن سماع
دفاعك ولولا انني اودك واري عهداً بيننا حصل قدماً لما اطلت الوقوف
بك باحثاً عن مسئله لا قبل لك فيها ومع ذلك انني كنت راضياً عن
حديثك معي عند حد الصداقة اما الآن وقد حدث عن نهم الولاء فاخاطبك
مخاطبة الحاكم المعترض واطلب اليك ان تاتي بالبرهان

— ان كلامي ياسيدي ...

— مالي ولكلامك ابدي دعواك بالبرهان

فنهضت عندئذ كلارا وقد شخضت عينها الى المستنطق تحكي عما شمل
فوادها من الحيرة وما عرا سرها من الريب والشك فقالت
— أيلذ لك ان ترى البرت مذنباً جانباً ام يحلو لك الحكم عليه ام هل
لك من ثار تاخذ به منه وقد غدا رهن بديك . هلاً نزع بك الهوى فتعاملت
عليه وفي نفسك من مراثر الماضي ما امالك عن عهدك بالرفق والعلم . اكد لي
انك لا ترافعه كخصم تود تنكيله

— كففاك تسددين سهام التفريع والملامة

— أذملت عما كان بيننا حين صرحت لي بحبك وكشفت لي من خلوصك
ما صدقته وشكرتك عليه ولم أنكر عليك التعاهد معك الا لا عئلاني بحب من
نقدمك بالطلب فصدفني والدمع من عينيك شاهد على حسرتك وكيدك

فجعلك الدهر ان تكون حكما تامر في دعوى من رماه بعينه وجوره . ولي في قبولك الحكم عليه دليل بين صريح على الانتقام منه

ان كلام كلارا كان كالسهم النافذ في صدر دايرون وقد ادهشته بفصاحتها وطول باعها في الدفاع على انه كان قد عهد بها الي عندما كان يتناب مترها واعجب من كل ذلك انها كانت تناجيه باسرار نفسو كأنها صداها

— ان المحزن الذي نهك بشنع بك عني فاضرب صفحا عن قذفك بي ولا لوم عليك لجهلك الامور ولا بخال لك ان الحكم على البرت يناط بي وحدي ومعى اعوان لا يرضون بما قدمت بيانا لتبرئة ساحة حبيبك او خطيبك . فان صدقت كلامك واذعنت لما نصرحين به كان ذلك مني علما بما انت عليه من التزاهة اما الآخرون فانهم يأبون الا الاذعان لما تنهي به اليينات وما يقضي به العدل

فاذرفت عندئذ كلارا الدمع وقالت باخمد صوت — لئن كنت قد تماديت يا اخي في الطعن فغفوا لان الشفاء والبلاء يدفعان الى التبه والضلال فلا تاخذني بذنب ما نعدته ولا نعودته

— لقد اكدت لي قبلا اخلاص طيبي وسلامة نيتي فلا اعند كلامك معي طعنا بل ان ما يكدرك بوطني

— فالرجاء بك ان تسعدني على تأييد ما قدمت ونصديق ما ابنت وما انا افص عليك قصتي بلا تمويه ولا رثاء

ان دايرون كان على يقين من محاولة كلارا خداعه فلم يقصد ان يصدها بل كان يعجبه ثبات عزيمتها فقال في نفسه — ترى ما عسى ان تاتيني به من الفريات او ما الذي توهم افناعي و

فاستأنفت كلارا الخطاب فقالت

— لقد علمت يا اخي بما حال من الموانع دون اقتراني بالبرت لان والده

الكونت كان ياتي ان يزوجه مني لفكري فاضطر البرت ان يجاهد في سبيل
 اقناع ابيه نحو خمس سنوات كان يتمكن اثناءها من رضى والده حيناً ثم بعدل
 عنه الى ان توصل منذ شهر الى ادراك سوله والمرام . فساء جدتي تردد
 الكونت وانكاره ولكن لم يسعها الا التسليم لرغبتي بيد انها رأت من الحكمة ان
 ترجى. العقد لاجل غير مسمى قصد ان تبعد بافكار الناس عن المظان
 فيرمونها بالطع في الثقب من الكونت ثم رغبت الى الفيكونت في اثناء خطبتي
 ان لا يكثر الترداد الهنا . فقضي عليه وعلي ان لا تتقابل الا لماماً . ومكثنا
 مدة على هذه الحال الى ان علمت عنه يوم الاحد انه في شغل ينعد به عن
 موافاتي . فداخلي من هذا الابطاء هم وقلقي فاخذت اردد في ذهني توجيه
 السبب الذي يبطئه عن القدوم الى ان كان الغد فممت انتظر قدومه وبيننا
 انا ارفب الساعة بوجد مبرح دخل علي الغلام بكتاب يطلب الي البرت فيه
 ان اضرب له موعداً فيود ان يكاشفني فيه بما خطر له بهزل عن رقيب قائلاً
 انني ابقي في اخلائي بك مشافهتك بما يترتب عليه سعادة مستقبلنا وراحته .
 وقد ترك لي خيار اليوم والساعة مع العهد على كتم الامر فبعثت اليه بالجواب
 افيده موافاتي مساء الثلاثاء الى باب الحديقة المشرع الى الطريق الففر وكان
 الذي حماني على اختيار تلك الليلة هو ان جدتي كانت قد احبت ليلة انس
 دعت اليها الخلان والاصدقاء فتسنى لي في خلاها الاخذلاء لعله في حجاب
 عن العيون

— ارجوك ان نسي اليوم الذي كتبت فيه الى البرت

— نهار الثلاثاء

— هلاً يمكنك نسمة الساعة

— انني انذت الكتاب عند الثالثة او قبلها بقليل

— كلبي اذن ما ابتدأت به

— ان الزمان وفني الى ادراك امنيتي فغليت عن الجمهور وانحدرت

الى الحديقة قبل ابدان الساعة المسماة وبينا كنت اعالج الباب لافتحه اذنت
الساعة بالتاسعة فطرق البرت الباب قبل ان يتيسر لي فتحه فلخبرته بعجزي
ودفعت اليو المفتاح عله يجمع فكان حظه فيه كحظي فاضرب عندئذ عن
الدخول ورضي بمكاشفتي من تفارج الباب فتحدثنا برهة ثم عن له ان يتسلى
المجدار فاعترضت عليه في ذلك وقلت له اياك ان تركب الحذر فتكدر
وحسب ذلك الانكار من نفسي فاضطرت ان اذعن اخيراً لحاطره فتسلى
المجدار وكان اعلاه مرصوفاً بالزجاج فتدلى يستند على الشجر الثابت في حدوده
الى ان وقف بي وجهاً لوجه وقص علي القصة التي نحن في صددها فجلسنا
ذهلاً من الليل على المتكأ حذاء الحديقة ثم دفعنا المطر الى السرادق فقمنا
تنجس في ظله الى ان انتصف الليل فقام وانصرف عني من حيث اتى غير انني
كفيت مونة العناء في تسلى المجدار اذ اتيت بسلام البستاني فصعد عليه وتدلى
الى الطريق

ان لهجة كلارا في سرد القصة كانت تحكي عن صدقها دون اشكال حتى
حار دايرون في امره والتبس عليه وجه الاعتراض فقال
— هل عاجلكما المطر قبل تسلى البرت المجدار
— كلاً بل اصابنا عندما كنا على المتكأ فنشر البرت ظله
— فاسمعي لي اذن ان انقطع لنفسي قليلاً

فقام دايرون وجلس على طاولته فاخذ رقعة يدعو بها البرت اليو ثم
كتب اخرى الى احد الشرط يكلته فيها الذهاب الى الموضع الذي اشارت
عنه كلارا في حديثها ليتحقق علو المجدار ويبحث عما يكون ثم من الآثار في
صعود البرت وانحداره . واوعز الى الشرطي ايضاً ان يوبد ببحثه بما ينفي عنه
كل ريب

وكان قبل ان يتبدى بالكتاب الثاني قد دعا الغلام بسلك الاشارة
اليو فحضر بين يديه فقال له

-- دونك هاتين الرسالتين فاذهب بهما الى الكاتب . ابلغه رغبتي في انفاذ ما بشران اليو واياك الابطاء واذا كان كونسنتان في الخارج فانتظره او فارسل من يدعوه اليك لانه لا بد ان يكون في انتظاري . سر اذن عجلًا واحذر التأخير

وعنيت ان فرغ من عمله عاد الى كلارا فقال لها
— ملاً حُظمت لديك الكتاب الذي بعث به البرت يطلب اليك

الموعد

— نعم وربما كان معي

فقامت كلارا ونقبت في جيوبها الى ان وجدتته فدفعته الى المستنطق فاخذه المستنطق وقبل ان يتصفحها تبادر الى ذهنه الوهم بان الفتاة كانت ربما قد جعلت هذه الرسالة في جيوبها من قبيل الاحتيال لان ليس من دأب السيدات ان يحملن في جيوبهن رسائل الاحباب لا سيما تلك التي تتضمن الاشارة الى الخلوات وما لبث ان قرأها سر بعام ثم قال

— اراه اغفل تاريخها ولا شارة عليها

فلم سمعه كلارا لانها كانت تشتغل في احراز بيعة توكد فيها ذلك الموعد وثبتت تلك المكاشفة فقالت له

— بتقى كثيراً للانسان انه اذا اراد الخلوة ورغب بها احدثت به الرقابة وشخصت اليو العيون . فاسال يا اخي اذا شئت غلمان النصر لعل احداً رآه معي تلك الليلة

— ألا يذكرك ذلك

— كلاً اني لا اخاف اذاعة الامر وقد توقف عليه خلاص البرت فاكبر دايرون سيرة كلارا واعجب بخلوصها خصوصاً عندما رأى فيها هذا الانقلاب العظيم من العي الى النصيحة التي بتية بمثلها احذق الحامين ثم فطنت الى دلائل آخر على وجود حبيبها تلك الليلة بقرنها فقالت

— ان المفتاح الذي كنت قد دفعته لالبرت لم استرجعه فلا بد ان يكون قد بقي لديه فابحث عنه لعله حفظه عنده فنهت ثاكذ زيارته

— ساسعى في الوقوف عليه

— ولك ايضا ان تبعث من ينظر في الموضع فيتحقق الجدار الذي

اشرت اليه

— لقد نقد منك في هذا الراي فبعثت بطلب الفحص في احدى الرسائلين

التي انفذتهما مع الخادم

فقامت كلارا عندئذ وقد نهلت وجهها بشراً فمدت يدها الى المستنطق

قائلة

— انتي اشكر فضلك على ما سمعت من اجلو سعياً بوكذ لي انتصارك

للحق واخذك بناصر المظلوم من الظالم وقد بدا لي ايضا دليل آخر وهو لا بد

ان يكون البرت قد حفظ ايضا لديه الرسالة التي كنت وجهتها اليه نهار الثلاثاء

— كلاً فانه احرقها

فغضت طرفها كلارا واحجمت لتوههما بهذا الجواب شيئاً من السخرية غير

ان دايريون قال حقاً لانه كان قد تذكر ما فعله البرت عندما تلقى تلك

الرسالة بعد ظهر الثلاثاء اذ القاها في المستنطق فقال في نفسه لا ريب انها من

الفناء ولذلك كان جوابه عليها بعد ما تصفحها « لا تستطيع معاندني او مقاومتي »

ثم حوّل نظره الى الفناء وقال لها

— اما كان يسهل على النيكونت ان يشرح لي الامر الذي علمته منك

الآن فلا يضلني بكتماؤه ويتبته الحكومة ايضا

— ان حرص البرت على شرفي وشيعة بعرضي جعلاه على ان يفدي حياته

خيراً له من ان ييوح بشيء ما او دعته سره وعاهدته على كتماؤه

فلم ير دايريون اعتراضاً على هذا الكلام بل جاء جواباً لسؤال اقترحه

على البرت اثناء استكشافه ففصر عنه لسبب غامض فقال دايريون

— يقتضي ابنها السبدة نعمة للفائدة المطلوبة منك ان تسردي ما بسطته
الآن بمحضرة الكاتب ليسطره امامه فتوقعينه ولا بسوك فلك فان الحال تقضي
عليك بفعل هذه المشقة

— انني بكل سرور اذعن لشارتك فما من عتبة تحول دون نجاة البرت
الواسعي جهدي في تذليلها فلو رفعت دعواه الى المجلس الاعلى لكنت تقدمت
بنفسي وجاهرت بما عندي من العلم بامر دون حجاب يمنع من النجلى او الخوف
لانني ناكث ثبات حبه واملاكك خلوص قلبه فلا اخاف منه صدودا ولا
اخشى في عقد ولائو ردودا

ثم قامت ونظمت رداءها ومكنت قبعنها شان من يبغى الانصراف فقالت
— هل من حاجة الى اطالة المكث هنا ليعود الباحثون بما جمعوه من
الدلة في مهمتهم

— كلاً

— لم يبق اذن علي يا اخي الا ان اوكد رجائي واويد اعتمادي على
رحمتك ولطفك بالبرت فتعجز له ان يهجر السجين طلباً للراحة

— انني اعدك بالافراج عنه متى بلغ ذلك مني حد الامكان
— بالله عجل بتسريحه احساناً لمن تسالك العفو عنه وقد ناكث براءة
ساحته من التهمة لا تدعني بين مغالب الشفاء وانياب البلاء رحماك انجدني
نجاة البرت واذا شئت انظرحت على قدميك مستجيرة

فبسط للحال دايرون ذراعيه وانفضها قبل ان تهوي للارض وفواده
يخفق تحت عوامل الحب والالفة فكان بحسد الاسير على حاله فيود لو كان في
ظلمته وتلك الفتاة تسعى في نجدة فقال لها

— انك تطلين الي ان آتي امراً يتجاوز حد الامكان وانت تعلمين
يقيناً بعجزى عن تلبية طلبك في تسريحه من نفسي ولولا انني كنت اقوى على
تخليه سبيله لما كنت اتقاعد اصلاً عن اطلاقه رحمة بك وضناً بدموعك

ولولوعك

— وكانت كلارا تزداد اسفاً وهللاً فمزقت ثوب الصبر الذي كانت تجملت به من قبل وكشفت للمستنطق نملها ولولوعها فقالت
— بالشغائي وشدة بلائي . اني بسعني ان اصبر على ما حاق به من الشدة والبلاء . وما يساوره من الضيق وهو لي خير حبيب بل شقيق . ربّ اوح في قلبي ما ألين به فؤاد فضائي . ارشدني سبيلاً اصون به سلك حياتي . فبهن استجير ومن اطلب النصير على دحض العذال ونقصيد النبال . ترى من يجديني فانطرح على اقدامي . من يعدني بالعفو عن البرت فيقيدني بشكره مدى ايامه

ثم امسكت عن الكلام برهة تمه فيها دمعها المنهمر وقالت
— هلاً بصادف صوتي مجيباً ويلقي ندائي حبيباً . بلى بلى اني اقصد من وجب عليه انقاذ البرت من الهوة التي زجه فيها . ودفعته الى الشدة وفيها فيها بلى بلى انني اذهب الى ابيو الكونت الذي تغلى عنه وبعد منه كأنه لم يكن ولده ومن كده . فعلي ان اذكره بما عليه . واحول نظاره اليه
واصرفت كلارا للحال تنزو نزو الغزال وفي اثرها قيمتها وقد غادرت دايرون من حسرتي بين حبي وميت بردد كيداً وقهراً ياليت ياليت
آه اني ما اخطأت الغرض في اختيارها لي حليمة وقد احزرت من الكمال كل صفة جليمة . الآن عرفت قدرها واستجلت عيني بدرها فياندمي على حبها واحسرتاه على خسارة قلبها
وبينا كان يتاسف ويتلهف خطر في ليه خاطر كالسهم الخاطر فانتبه

وقال

— ترى هل صدقت كلارا في روايتها واخلصت في حكايتها ام كان ذلك من منقوها . كلاً ثم كلاً ان كلارا ما نقلت بهتاناً ولا قارنت عليها انساناً لكن اخاف ان يكون الخداع قد نظرق اليها عن غيرها فاعثدت به طمعاً

بأحرار خيرها

ان تاباري صدق في ما عنه تنبا . وقد قال لي انه لا بد ان تعرف بمكان
البرت في تلك الليلة معرفة لا يتسنى لك صدها عن حقيقة يصعب ردها
ان في الفضية سرّاً لا يستطيع الآن استجلاءه فاخاف المكر والخديعة ولما
طال به الافتكار دون ان يقف منه عند حد بين جلي نهض وقال - الامور
مرهونة بأوقاتها ففي المرافعة نخلي الحقيقة بأوضح طريقة

الفصل السادس عشر

وفاة فالري

وكان عجب الكونت من وفود كلارا عليه اشبه منه عجب دايمرون اذ
دنا منه الغلام وهمس في اذنه قائلاً
- ان السيدة كلارا دارلانج تريد مشافهتك
فهتف الكونت دهشاً - قدوم من تعلن لي يا غلام . اكلارا اقبلت اليّ
فتردد الكونت برهة في الجواب على التماسها خيفة ان تسمعه حديثاً مزعجاً
لان كلارا لم تكن توده مطلقاً وذلك لما نالها من جفائو فقال في نفسه - ترى
ما الداعي الى هذه الزيارة ربما كان قدومها قصد السؤال عن حال البرت .
وعقيب ان اخذ يفكر في الجواب على طلبها بين الرفض والقبول رأى اخيراً
ان يذعن اليها رعاية لحرمة من كان قد رضى عنها زوجة لولده فاعوز الى

الغلام ان ياذن لها بالدخول الى الردهة في الطابق السفلي حيث تنتظره ربنا
يكون قد فرغ من طعامه . فما طال زمن انتظارها حتى وافاها الكونت فقامت
اليوكلارا وانحنت امامه احتراماً فابتدأته بهذا الخطاب
— سيدي الكونت . . .

فقاطعها الكونت يريد الغرض ثراً فقال — لا ريب انك قدمت في
طلب العلم بحال ذلك الشقي
— كلاً بل جئتكم بما عندي من العلم بمسئلاته واخص ما عرفت منها انه بريء .
— تدبري يا ابنتي كلامك قبل ان ترميه
— ما قلت الا الحق وما عرفت الاه وقد كنت الان بحضرة المستنطق
احد اصدقاء جدتي فنصصت عليه حقيقة الحال فاذعن وقال ببراءة ساحة
البرت

— هل هو قال بذلك . اخاف ان تكوني على ضلال
— كلاً بل انتي على هدى والامر واضح لانني اتيتك ببينة لم تخطر ببال
احد من شهوده وقد ذهبت عن خاطر البرت فاعلمته بمكانه يوم وقعت الجناية
واكدت له بالادلة الصادقة ان البرت كان تلك الليلة سميري الى ما بعد
نصف الليل

— تلك بينة قاصرة
— كلاً وقد دعمتها بما ينبغي كل ريب
فحار الكونت عجباً وقال في نفسه . أصدق قول كلارا بتحول فكر
المستنطق عن اتهام البرت

فاعترضت عليه كلارا وقد ساءها ترده في الحقيقة فقالت — مالي اراك
يا سيدي تنجح في دعوى البرت نهج الخصم وانت ابوه . هل انت في ريب من
براءة ساحته وتصلو من التهمة . أتذكر ابنك فتتخلي عن السعي في نجاته . آه
ان نفاعك عن الاشتغال بانقاذه يوذني به . على انني قسراً عن كل ما كان

بجول دون مبادرتي الى نصرته اقدمت على الخطر وركبت الحذر في سبيل
خلاصه

ان افناع الرجل على تصديق ما يثمنه قريب المال . فما كادت كلارا
نتم سرد بيانها حتى ارتاح الكونت الى كلامها وسكن الى روايتها دون البحث
عن مصدرها وموردها . فزال من فواده حديث كلارا كل ما كان غشياً
من الريب في وقوفه لدى المستنطق ونوسم في محياها السلام لانه كان
قد شعر منذ ثلاثة ايام بالمرق البرت فشق عليه سجنه واقلفه جداً عذابه
فقال في نفسه . الحمد لله الذي محاه عن شهرتي عاراً كنبته عليها ايدي المفتريين
ثم سال كلارا قائلاً

— فاذا كانت الحكومة قد تاكدت براءته فلا بد من ان نامر باطلاقه

من السجن

— اسفاه ياسيدي ان نسرجه لم يكن مناطاً بالمستنطق بل باعضاء
كثيرين ولذلك قد جئت اطلب اليك مساعدتي على العمل بتعجيل سراحه
— في الحيلة

— هل لمن كان مثلي ان يرشدك ياسيدي سبيل السعي في نجاته وانت
اعلم مني بالاسباب التي يجب عليك اتخاذها توصلاً الى هذه الغاية ألسنت تجود
بما لديك حباً بنجاة البرت

— لا ريب في ذلك

ان الكونت كان كالذاهل عن نفسه منذ التي القبض على الفيكونت
فاضطربت افكاره وقلقت خواطره فلم يحاول اصلاً استنباط الحيلة في استجلائها
بل كان راضياً فيما صار اليه صيانة لنفسه من ألم الشقاء . فكان صوت كلارا
في اذنيه كالصور يوم النشور فنهض من غفلته ونشط من عقاله يستقبل بوجهه
نور الامل ويشعر من نفسه بقوة الشباب فتقدم وقال

— هيا بنا اذن

ثم بهت قليلاً وقد شملته الكآبة وعرته الحيرة فقال - لكن الى اين نذهب وعلى مَ نعوّل في سيرنا واي غرض نستهدف فلو كانت الاحوال على عهد ما الاول لتسنى لي ان اطرق باب الملك فاشافه بهذه القضية لكن اليوم ليس للأمر ان بسطو باوامره على الشريعة فاذا تقدمت اليه بالطلب احالني على المحكمة ويين لي ان ذلك من خصوصياتها فلا قبل له بالاعتراض على اعمالها فنضطر ان نتنظر الحكم على ان البرت يقاسي في سجنه المذاب ويتوقع من طرفه عين الى اخرى نهايته ان شرّاً وان خيراً . فمن اذن نرجو الفصل في هذه الدعوى عاجلاً

— بالله يا سيدي لا تتردد في الامر وسر بي الى الاعضاء والوزراء فانا احدهم بالنضية واطلب اليهم فصلها وعسى ان تفتح كل النجاح فضغط الكونت على كف كلارا مسرورا بجديتها شاكرًا همتها وغيرها قائلاً لها

— لقد طاب املك يا كلارا بالحقيقة لانت من خيار بنات جنسك وقد اناك الزمان وسيلة تمتلكين بها فوادي الفاسي فقد تاكدت الان سموّ خلاالك وعرفت سنا كمالك فلا ريب انك جديرة بان تكوني في اسرتي وبمقام ابنتي هنيئاً لالبرت بقربك وسقياً له اذا استحق امتلاك قلبك . لكن لا يسعنا يا حبيبتي ان نخبط في ميرنا ولا بد لنا من صديق نسترشده في هذه المهمة ليهدينا الرجل الذي نطالبه بشفاء غمتنا وتنفيس كربتنا فمالنا الا ان نسال نوال الدلالة عليه اذ كان محامياً عارفاً باصحاب الحل والعقد فتشخصت كلارا الى الكونت عجباً واندهالاً

فصرف الكونت عجبها بقوله - ان نوال ولدي وشقيق البرت وهو من تجلة الادباء وخيرة الحكماء عارف بالاسباب التي يقتضي علينا الاستمساك بها ان ذكر نوال في عرض هذه المناظرة التي كانت آخذة بلب كلارا ذهب بروعها فجاز في فوادها كالسهم حتى لاح للكونت التبايعا فقال لها

— لا تخشي بأساً فان نوال سليم النيسة صافي الطيبة بود البرت مودة
حقيقية فلا يداخلك من جهته ريب وتاكدي انه يكون في مقدمة الجهاد
لانه أمس كان قد صرح علناً بحضرتي ببراءة ساحة البرت وعزمي على تحملي
الذرائع التي تنضي به الى نجاته من اسره

لم يرنح خاطر كلارا الى هذه الادلة بل كانت تهجس فائتة - ما فعل
نوال بالبرت . ولم تحرج جواباً

فاستطرد الكونت حديثه قائلاً - فلننبعث الان بطلبي وهو لدى والدة
البرت المحنضرة

— فمن تكون والدة البرت وهل هي في الوجود

— نعم يا ولدي وانا الان اقتصر على التلميح تاركاً لالبرت حق اكمال ما
ابتدأت به لان الزمان لا يمكنني من الاسهاب في هذا الباب

ثم تردد برهة فرأى بدل ان يرسل في طلبه ان يذهب اليه بنفسه فيتم له
بهذه الحيلة مرأى فالري التي كان قد طال بعدها منه وصدها عنه

من الامور ما يسلم بها القلب ويندفع الانسان اليها فيجول دون مرام
حائل فيجاهد الفكر في شأنها في مجال الحيرة الى ان ياتي الزمان بمجلسة من
عنده فيستمسك بها الانسان ويندفع اليها وراء ستار العذر وهو الشهوة او
الميل وقد سماه العامة بالتوفيق او المحظ . فقال لكلارا

— ارى من اقرب الوسائل وادناها الذهاب الى نوال

— هيا بنا يا سيدي

— لا اعلم اذا كان بليق بك ان تسيري في رفقتي اليه

— فما ضرني لو خطرت في صحبتك ومن اجل البرت اذ كان لا بد من

وجودي بينكما ازبادة الابضاح في تفصيل القضية وانا ابعث القيمة الى جدتي
لتخبرها بذلك فتدعوها الى انتظارنا هنا

— اني اليك

ثم تنس الجرس وواعز الى الغلام ان يفرن الجياد للانصراف
ولما نهض بكلا را يريد ان يتحدر على الدرج امسكها بيدها يريد محاصرتها
قائلاً

— انك بالبشرى التي جئتني بها اليوم جددت شبلي فيليق بي اذن
ان اخاصرك ببيان شكري لك

وعندما استويا على العربة اشارت كلا را الى السائق ان ياخذ في طريق
سان لازار . فجدت الجياد في السير الى ان بلغت المحل المقصود فترجل الركب
وصعدا بهداية الخدم يريان غرفة مدام جردى . وكان الكونت اثناء صعوده
مضطرب الفكر دائم الخفقان لقربه من مقابلة التي تلف بجها . واذ بلغ باب
الدار استقبلتها الجارية فسالها الكونت مشافهة المحامي فاجابته انه خرج منذ
برهة لكن علمت انه لا يتاخر عن العود

— فمخ نتظره

فتقدم الكونت بكلا را وامامها الجارية الى الردهة حيث كان ثلاثة
اشخاص وهم كاهن الرعية والطبيب ورجل آخر وسيم الطلعة تشير حلتة وما
زُرَّ به شرحه الى انه جندي فكانوا يتناقلون الاحاديث وقوفاً عند المستوقد
فلما وفد عليهم الزائران تعجبوا جداً وبهتوا فلما دنيا منهم انقيا عليهم التخمية فحبوها
باكرم منها ولكن ما لبثت عيونهم لتخالس النظر متسألين بالاشارة عن حال
الداخلين عليهم . فهم الجندي للاحتفاء بالسيدة كلا را اما الكونت فازعجه
وقوفه بينهم وهم في خلوة فرأى ان يباهمهم بالمخاطاب مبيتاً الغرض من زيارته
فقال

— اسالك العذر سادتي عن وجودي في خلوتكم ولولا حاجتي عند نوال
لما نفقت حرمتها ومن الواجب ان اشهر لديكم اسمي فاننا الكونت دي كوما رين
فلما طرق اذن الجندي هذا الاسم انتصب غضباناً وعينه نقدح شرراً
ثم تقى جانباً مخافة ان ينم به غضبه

فلم يتبين ذلك الاثر من حضر الا كلارا وبينما كانت تهيب مجلسها
مال الكونت الى الكاهن فهس في اذنه قائلاً

— ما شان مدام جردي

فتقدم الطبيب الكاهن بالجواب على سوال الكونت رغبة في التقرب
منه فقال له

— اخشى يا سيدي ان تنقضي اجلها قبل انصرام اليوم
فامر الكونت بده بجيئه شان من أثر في نفسه الخبر وامسك عن الكلام
برهة ثم قال

— هل عاودها الرشد

— كلاً وقد عرض لها ليلاً عارض من الحسى ذهب برشدها فلم يبق
على روحها . وها ان النفس بانتظارها ليقضي بما تدعو اليه الواجبات
الدينية . ولا بد ان يكون الالم قد اشتد الان عما كان قبلاً
فما كاد الطبيب يسم حديثه حتى سمع انيتها من اقصى الغرفة المجاورة مصداق
قوله فقال له الكونت

— اسمع ايها الطبيب انين المهنضة

اما كلارا فمكثت مكانها دون ان تدري بشيء مما كان يجري بالقرب
منها غير انها كانت تشعر بتصرم انفاسها وخرج صدرها من فعودها في مكان
التخشرت فيه الكرب وانتشر فيه البلاء فلهنت من الكونت بينما كان يسأل
قائلاً

— آهي هنا

فاجابه المجندي بصوت جاف — نعم
ان شدة ارتباك الكونت اذهلته عن كل الحركات التي كانت تبدو امامه
ولولا انه بالقرب من فالري لكان فطن لاشارة صوت ذلك الشيخ في جوابه
لكنه لبث مطرقاً يفكر بتلك التي ساهمت لذة حياته فقال

— انني ارغب في مشاهدتها
فاجابه الجندي — ما الامر باليسير

— لماذا .

— ألا اقل من مينة تستقبلها بسلام .

فاجهم الكونت عندئذ احجام من يستجن رشق السهام فاطرق نظره عند استقباله نظر الجندي كما يطرق الجاني بحضرة الحاكم

اما الطبيب فاعترض الجندي قائلاً — لا بأس اذا دخل عليها الكونت وهي الآن في حال لا تقوى معها على معرفته فيخشى من المماثلة اضطراب حالها وتلاه النفس مؤيداً كلامه بقوله — انها لا تنبى الى شيء وقد دنوت منها الان فاخذتها بيدها دون ان آتس فيها حركة تشير الى اليقظة

لكن الجندي كان اثناء هذا الحديث مفكراً ولما رأى اجماع الراي على السماح بدخول الكونت قال له

— ادخل لعل الله ارسلك اليها

وكان يتهادى في مشيها اليها حتى اضطر الطبيب ان ياخذ بيده مع

النفس

اما كلارا والجندي فلثبا واقفين بالباب . فأكاد الكونت بخطو نحو خطوتين حتى وقف مزعوجاً وكأن بشيء من نفسه يشبكه عن التقدم فهجس قائلاً عندما رآها عن بعد — ويلاه ماذا ارى أهذه فالري تلك الفاتنة بجهاها

اما هي فلما وقع رائد نظرها عليه شعرت بقوة غريبة انعشتها قليلاً فاجلستها على الرغم منها ورفعت يدها الى جبينها فنزعت عنه ما كان متلبداً عليه من الثلج باشارة الطبيب وارسلت فرعها الى الورا وهتفت باخذ صوت

— أنت كوي

فعند هذا الهتاف نهزأت اعضاء الكونت وجمد في موقفه جمود من

اصابتها الصاعقة وعيناه شاخصة الى فالري وقد تبدلت هيئتها فماج النور على جبينها ينبعث من عينيها فيوحي لرائبها الشبان والانعطاف . ثم استأنفت الكلام فقالت بصوت مازجه الانين

— الحمد لله الذي هداك اليّ بعد ان طال نغيبك عليّ فلو كنت تدري ما قاسيت من العناء وعانيت من الشقاء ارحمني وادنيت مدى بعدك مني . آه يا كوي لولاك لكنت الآن رهن اللحد جزى الله من اقعدهك عني . ناشدتك الله قل لي ما الذي ابطأك عني حتى الآن وعلمك ان تدور مع الزمان . آه اهلك يا كوي . اخلائك واحبابك . ألا يعلمون ان كل من في حماك بهواك لكن انا وحدي في كل من في حماك . كلاً كلاً انني فطنت الى السبب . . . وقد كنت رأيتك منصرفاً عني غضباً لان احبابك ارادوا ان يفصلوا بيننا فوشوا بي عندك وارجنوا بحبي لغيبك آه ترى بما جنبيت حتى اصدق بي الاعداء فكانوا عليّ الداء . أليس ان سعادتي ثارت في نفوسهم ثورة المحسد والغيرة فحملوا عليّ ولجوا في عذلي لدى من هو اعز الناس لديّ وقد تاكدت انكارك عذلم وشاينهم بوجودك عندي واقبالك اليّ

اما الزاهدة التي كانت قد انزاحت عن موضعها لتتألمب العواد في مضجع المريضة ارسلت انظارها في تلك المحضرة حائرة طائفة

لكن فالري استأنفت حديثها فقالت — آه نا اخون بعهدك وامكر بودك هل بداخلك ريب في خلوصي وقد تيفنت انتي انا منك ومن خيرك وفضلك نعم انت لي وكل مالي انت فما رغبت بشيء الا وكان لي اضعاف ما رغبت فكنت لك قلباً وقالبا منذ اول يوم انزل على قلبي طابع حبك فما ترددت في قبوله كاتني لم اخلق الا لاجلك كوي ألا تذكر عهد حبنا القديم يوم ضربت على الفتر بيد المساعدة فحرمت نفسك لذتها رحمة بي وقد كنت صرحت لي بعجزك عن تعزيز مكاتي لقلّة ذات يدك اذ كنت قد قدمت بارس طلباً للنفقة . وكنت حباي قد عزمتم ان تصلح بناء داري في رصيف

سان ميشال . آه ما كان ايهج تلك الايام التي مرّت بنا وما اقصر تلك
الساعات لزيادة سرورنا فيها اذ كنا نقف عند النافذة المطلّة على قصر التويلري
فنجعل النظر معاً في رياض الغناء ومقاصير الحكمة البناء . آه ألا يانس خاطرك
بذكر اوقات الصفا اذ كنا نجتمع سواء في الحداثق فنقناظر وكأن كلاً منا
عيون نتمتع بجمال محبانا لكن قد خدعني فموت عليّ لانك لم تكن طالباً
الفقه وقد رأيتك ذات يوم في الطريق على عربة يجري وراءها غلامان عليها
حلة موشاة بالذهب الخالص فما كدت اصدق عيني بما نقلت ولما عدت المساء
اخبرتني صريحاً انك من محمد كريم واسع الثروة . فلم صرحت لذيّ بذلك
فقال الكونت في نفسه - ترى أتهذو ام تروي الحقيفة . وكان الدمع
يطلب من عيني فيموه بيده كالفتى فاعظم الطيب والنسيس بكاءه فقالا ما
بال هذا الشيخ يبكي بكاء الفتيان هل له سرّ في صدر الزمان

ثم استطردت مدام جردي حديثها الى ان قالت

— امرتني ان اهجر منزلي على ذلك الرصف فما است واذعنت لا وامرك
وانقذت لمطامعك فجعلت لي اساتذة فاخذت عنهم بعض العلم . آه كوي
ليتك كنت حقيفة طالب علم لا غنياً لكفتيتني ألم شاة الظنون وصنوف
الكدر ان المثرين لاشقى الورى فلا يصفو قلبهم ولا يطمئن خاطرهم . لانهم
لا يعلمون بشأن المتقرب منهم وحقيقة حبه لم فيتوهمون به حبياً بل ربما كان
طامعاً بما لهم تلك افكار ملأت قلوبهم غيرة وحسداً فمزقها الحذر والفسوة لم
يَ يا حبيبي هجرنا تلك الدار وفيها اكتمل بدر سعادتنا وعظم املنا في الراحة
والهناء لم لم تدعني حيثما وجدتني اما كنت تعلم ان السعادة والغبطة لمن اقوى
الاسباب التي تثير في نفوس الناس الاطماع والحسد . كان من الحكمة ان نكتم
سعادتنا كتمنا الاثم ولا نشغل في الثرى الذي كان اس انحطاطنا بل دلنا
ان الافتخار بمحبتنا حملك على اشهارها على رغم رجائي في كتمها فنالنا منها ما
نالنا وعلم الكل بمكانتي منك فنقولوا لعنك الاقاويل المتضاربة ورموك بالاسراف

حباً بي حتى اطرفت خجلاً من المكانة التي تنبأ بها عن يدك كنت تعجب بحسني
وهجني فيسرك هتاف الناس بي اما انا فكنت ابكي علماً مني ان تلك الحال
تؤدي بي الى الخسة والعار وكما سمعت الناس يتحدثون عني كما يتحدثون عن
اولئك النساء اللاتي يعنين في زينتهن لا فتنان الرجال وما كفاني ذل النذف
باللسان حتى هترت عرضي اقلام كتبة الصحف وعنها عرفت ايضاً بعزيمك
الزواج آه كان من الواجب ان ابعد منك فاصد عنك لكن الهوى تغلب
علي فاقعدني عن القطيعة على بساط الذل والدناءة وقضى علي ان اجرّ ذبول
الشقاء والعناء واشد ما كان حزني وقلقي يوم وافنتي الصحف تنقل خبر زواجك
وانا لم ازل لديك كما كنت قبلاً خليلتك فانقطعت تلك الليلة في غرفتي
وحيدة وما قولي كذا ومعني الهم فقلت في نفسي . يا الشقاء تلك الطاهرة النقية
التي غرّها الجلاء فادناها بمجائله من صدر قد ضمني قبلها فكان ناكس العهد
خافر الذمة . وكنت اتوقع الجزاء بالبلاء حتى لقيته اليوم اذ ابني علي الدهر
بالقهر واحرمك خليلتك . لهي عليها انها كانت تودك مودة صادقة فخنث
عهدها وصرمت ودها بل جعلتني عوناً . عك على فتلها لانها لا ريب قد قضت
كدهاً من حبنا

وكان الحضور يصغي الى حديثها دون اعتراض لكن كلارا كان قد
اعياها الوقوف بالباب فبحثت ناحية على ركبتيها وقد جعلت مندبلها في فيها
لتميت حركة تنهداتها وزفيرها قائلة في نفسها - ترى اما هي والدة البرت
اما الزاهدة فكانت جالسة دون ان نعباً بامر من الامور ظناً منها ان
ذلك الحديث الذي كانت ترويهِ فالري لم يكن الا حلاً او هذياناً حتى انها
نهضت اخيراً متقدمة الى السرير وقالت للمريضة

— تدثري حذر البرد

فاعترضها القسيس والطبيب فائبلين مع الجندي - دعيها تتكلم دون

باعث

فاستأنفت فالري روايتها قائلة - من الذي وشى اليك بخيائني وارجم
بصرف مودتي عنك يا للطغاة ما افدرهم على بث الشقاق فانهم نجسوا اعمال
وراقبوا خلواتي حتى تبين لم ان ضابطاً كان يزورني لكن فانهم ان ذلك
الضابط هو اخي وشقيقي لويس الذي لما بلغ الثامنة عشرة وكان في عطلة من
الاعمال دخل في سلك الجندية قائلاً لامو « يا امي دعيني اذهب فاخفف عنك
انقال المعيشة » وسار بين الجند سيرة ملكنة قلوب اخوانه وقربته من رؤسائه
فرقه في الجندية حتى اصبح اليوم رئيس كتيبة واقام على حيي بكل امانة ولو
مكث في باريس لما صرت الى الحال التي انا عليها الآن . لكن وفاة والدتي
قضى عليّ بالقيام وحدي في هذه المدينة الحافلة وفي تلك الاثناء عرف لويس
بغرامي فحننت صدوده لكنه ما لبث ان صفع عن ذنبي ورحم قلبي قائلاً ان
كنتم الحب المعقود بيني وبينك يا كوي كان الشفيع الوحيد لي عنده . فتامل
واعنبر كيف انا صان شرفك وذاد عنه بعرضه . وكان يتردد اليّ خفية لاني
انا التي جعلته ان يتجمل من مقابلة اخيه علناً وحرمت على لساني ان يجاهر باسمه
بين الناس لئلا يفقدوا به من اجل سقطتي وحذر ان يعلم به واحد كمت اسعى
في استقبالي سرّاً لكن واسفاه انقلب عليّ ذلك السر ضراً اذ بعث في نفسك
الريب واشرب قلبك التهمة فانصل به ما كان من امرك فغضب جداً الى ان
عزم مبارزتك فمنعته من اتمام عزمه واتيت به بادلة راهنة تذهب بحقه من الذود
عن حوضي فيالضبيعة ايامي وبالحنية مراحمي لكن مالي وللأسف على ما فات
فحسي بوجودك الآن عندي اعظم اللذات فصدق يا كوي روايتي وساكتب
الى لويس ليوافيني بشهادته مؤيداً حقيقة بياني وصدق لساني وما اخالك تنكر
شهادة جندي اكتسب ثقة العموم

فصاح الجندي قائلاً - لقد صدقت شقيقي في روايتها
لكن المريضة المحضرة لم تسمع الكلام فاستطردت الحديث الى ان قالت
بصوت المجهود

— كفى بوجودك عندي علاجاً ناجحاً وها انتي اشعر الآن من نفسي
بقوة ناشئة فتقدم وعانفتي

فمدت ذراعها تريد ان تعانقه وقالت - لكن اسالك يا كوي ان تبقي
على ولدي استخلفك الله ان لا تنزعه مني يا لنعاسة الام اذا فصلت عن ولدها
لا تنكر عليّ بقاءه عندي لثبيله شرفاً عارياً فتعند ذلك نعمة تقابل شغائبي
لا لا دع ولدي لديّ فان الارض وما سمعت لا نعوضني منها لذّة سهرتي عند
سربه بالله ابني لديك ابن حليلتك فلا اسمع لها ان تعانق ولدي كلّاً كلّاً
انتي لا ارضى بسواه بدلاً خذولي هذا الولد الغريب وعليّ بابني لا تنهددني
ولا تشوعدني بالنطبعة اعطني ولدي وافعل ما بدالك كوي جرد نفسك من
السوء واعمل بما ينفي بحقوق الانسانية مالي اراك تصم اذنك عن سماع
هتائي ونفص طرفك عن مرأى دموعي اباك ان تاتي الخلاف واخش الرحمن
على كبر سنك فانه يعاقبنا عقاباً شديداً آه اخاف يا كوي مقاضاة اولادنا
اذ بطلنا كل منها بما له علينا فنكون لعنة في فيها وقد بترأسى لي الآن ان
ولدي يتعامل عليّ فيتهددني بل يتقدم ليلطمني . بالله ارفعوه عني آني تجرأ على
لطي ألا بدري اني امه . فصيحاً يا كوي وعفوا لند كفاني ما عانيت وحسي
عقاباً بما قاسيت عفوا ايها الخليل اذ لم يبق مني بقية اقوى بها على الاحتمال
والطاعة

وفي ذلك الحين فتح باب الغرفة من جانب سلم الدار وطلع منه نوال
على عادته مكده اللون مكهنراً الكنه كان ساكن البال مطمئناً . ولما ابصرته
المنضرة اخذتها رعدة شديدة فمحظت عيناها واهتز جسمها فرفعت راسها قليلا
وقبضت كفها موجهة الى نوال وقالت

— وبحك يا جاني

ثم اشدت عليها الرعدة فالثمتها على وسادتها فدنوا منها ليتاملوها فاذا

هي قد ماتت

فنكس الحاضرون رؤوسهم وهبتوا شان من يمدق بمحضصر اما تلك الكلمة التي بدرت من فم فالري لم تدهش السامعين لانهم عرفوا دلالتها على البرت الا الزاهدة فانها لم تكن لتفتنه شيئاً من الحديث الذي دار بينهم
اما نوال فلاحته على وجهه اثار الحزن والغم فسقط باكياً عند سريره واخذ يدها فقبلها وغسلها بدموعه نادباً حظها مناسفاً على فقدها وكان الى جانب الزاهدة والكاهن يصليان الى الله ليتداركها بعفوه ويقابلها بحلمه ورحمته
اما الحزن على فالري فكاد يذهب بروح الكونت دي كومانين لولا ان كلارا والطبيب قد تقدموا اليه فرفعاه الى جانب النافذة ليتنسم الهواء لان القلق والاضطراب كانا قد اشتدا عليه فكادا بعثمان بانفاسه وما لبث قليلاً حتى زالت كربه وخفت شدته قال بانصاره الى فالري تلك التي جادت بروحها حباً به ووجداً عليه

وكان بود لو ان الله فسخ باجلها زهاء الساعة فعاودها الرشد لينطرح على اقدامها مستغفراً عما اساء به اليها ساكباً دموع الندامة على اعنساfo وانقطاعه عنها دون سبب الا الوهم فعنف نفسه واخذها ليس فقط بالجناية على فالري بل على حليته التي امامها ايضاً حباً به . فلا ريب ان الله قد عاقبه بذلك عن سوء فعلاته فعظم الخطب على الكونت حتى لم يسعه الصبر عليه فعلق بيكي نادماً على جهله وغروره . ولما رآه شقيق مدام جردي يستحب رثا له ونقدم منه قائلاً

— تاكد ايها الكونت ان شقيقتي قد محمت خطاءك واغفلت ذنبك قل وفاتها فحلّ عنك البكاء واذا كنت لا ترضى بقولي فما زلت تعتقد بكدرها فانا اغفر ذنبك واصفح عن خطائك
— اني اشكرك جزيل الشكر ولكن رماه ما كان اشد وطأة الهم على قلبها قبل موتها

فاعترضته كلارا قائلة -- حسيها مزايلة الدنيا وفي نفسها من الحزن

اصاب ابنها ما تنوء بمحمول اعظم الابطال
 فقال الكونت - ينتضي ان نسعى يا نوال في انقاذ ابنها من السجن فنقوم
 لديه بما ترئب علينا ذكرى الجميل امه الفقيده
 - انني وعدتك يا ابي بالسعي في انقاذه جهدي
 وكانت تلك المقاتلة اول عهدهما بنوال فتظرت اليه نظرة تودن
 بالكرهية والجفاء فتبينها نوال دون ان يعترض عليها فقالت كلارا
 - ان البرت دفع عن نفسه التهمة التي رموه بها اعسافاً لكننا نطلب
 الآن تسريحه مسنوداً الى الحقيقة التي اطاع عليها المستنطق
 فسالها نوال - ما هي تلك الحقيقة
 - ان البرت كان عندي ليلة حدوث الجنابة
 فخدجها نوال منججاً من كلامها المرسل دون حجة تؤيد صحته ليصح بناءه
 المحكم عليه . فاحست كلارا بريده فرفعت راسها نيباً وقالت - لا تعجبني من
 كلامي وانا كلارا كريمة دارلانج
 فعندئذ اخذ الكونت دي كوماين بقص القصة التي روتها كلارا بتفصيلها
 حتى اذا انتهى قال له نوال
 - انك تعلم الآن يا سيدي بحالي فلا يسعني اجراء المرغوب وغداً
 نتباحث في هذا الشأن
 فاعترضه الكونت قائلاً - لئن كنت تكرم هذه الفقيده فعليك في نجاة
 ولدها من ربة الذل والعار
 فحنا نوال راسه احتراماً وقال - ان طاعتك يا مولاي غنم فاني انطلق
 الليلة الى القصر وعسى ان يكون لي الفوز بالمرام فابلغك نتيجة ما ينتهي اليه
 جدي برفقة البرت
 - ثم انصرف غيباً ودع الفقيده الوداع الاخير وتلاه الكونت
 وكلارا فغادرا الزاهدة عند سرير فالري اما الجندي فكان قد شحخص الى دار

الشيخ حيث ترتب عليه ان يقوم بما تفرضه عليه الشريعة من الرسوم المألوفة عند
انصرام الاجل

الفصل السابع عشر

ترجمة حياة الأئمة لزوج

ان رواية كلارا كانت قد ذهبت بروح المستنطق فاذهلته وبياه يصعد
الدرج التي تقضي به الى رواق غرفته انصر تاباري في ناحية فسر بلفياه
ودعاه اليه

لكن الثفاف المتطوع كان في اضطراب شديد يمنعه من الوقوف في سبيل
ما يقصده فدنا من المستنطق وقال له بعد التهمة

— لا تلهني ياسيدي اذا سالتك العذر لتعذري عن اطالة الوقوف
لديك فان لي اشغالا تدعوني الى قضائها عجباً في منزلي
— لكن آمل ان التقي منك ...

— لا فائدة يا مولاي من الاسهاب وقد تحققت براءة المتهم وقد بدا لي
بعض ادلة اطلعك عليها قريباً ... لكن لديك الرجل المشنف الاذان الذي
تكلم عنه جنرول فسيططعك عما كان من امره ولا بد ان ياتيكم بفائدة يحسن
الوقوف عليها

وانصرف تاباري يعدو في طريقه واستمر داهيرون سائراً الى ان وقف

عند غرفته وكان ثم البرث جالساً هناك على متكأ يخفّره الجند فقال له دايرون
وهو يفتح الباب

— سادعوك اليّ عاجلاً

فدخل دايرون الغرفة حيث كان كونستان في انتظاره ينظر رجلاً
يوهم الناظر اليه لحسن بزمته انه من المثرين فما وقف عنده المستنطق بل وجه
الخطاب الى الكاتب فسالة قائلاً

— هل انتهت اليك رسائلي

— نعم يا سيدي وقد اجريت ما توهذن به فان المتهم عند الباب وها
ان صاحبنا مارتين قد عاد الان من محلة الانفاليد

— هل تحققت الامر طبق المرام

ثم حوّل نظره الى الشرطي وسالة قائلاً

— ما رأيت

— ان الطارق كان قد نسلق الجدار

— هل كان ذلك منذ امد مديد

— كلاً ان المدة لا تتجاوز خمسة ايام

— أأنت على يقين من الامر

— لا ريب فيه

— هل وضحت لديك الدلائل والآثار

— وضوح النور في هذه العاعة وان السارق كما تبين لي من قصد

الطارق في الحيلة التي اتخذها للدخول الى الحديقة قد نسلق الجدار فتدلى

قبل المطر وانصرف بعد هطوله كما قدم المستنطق في بيانه وقد استجلبت ايضاً

الحقيقة في ما بدا لي من الآثار الراسخة على الجدار في الثغوب التي احدثها

السارق ليسهل عليه نسلق الجدار فمنها ما كان جافاً ومنها ما لاح فيه اثر

الوحول . لكنه عند خروجه يلوح لي انه صعد سلماً الى اعلى الجدار فرماه في

سفيح لجهة الحديقة وتدل على الجاسب الطريق وقد قلت بوجود السلم لما تبين لي
ايضاً من آثاره في الارض وعند ذروة الجدار
— هلاً تين لك شيء آخر

— نعم انني عثرت على شيء من الجلد يشبه ان يكون من الكف الذي
كان في يد السارق وقد تمزق عند انحداره من تشبهه بالزجاج المرصوف على
طول الجدار

فاخذ المستنطق قطعة الجلد فتأملها فاذا هو كما قال الباحث قطعة من
جلد الكف ثم قال للرفيق

— املي ان تكون قد اجريت ما عهدت به اليك خفية فلم تدع احداً
يدري به

— مولاي دولك الخيلة التي درتها توصلاً الى المرام انني دخلت دار
المركيزة فطلبت اليها ان تسخ لي في البحث عن طائر لي فر من منزلي الى الحديقة
وقد استقر على اغصان شجرة عند الجدار فلم تنكر علي الطلب فجئت في
الحديقة رهة ثم انصرفت الى ما قصدت له

— احسنت يا مارتين وسابغ رئيسك عمك ما يكون لك في نتيجة كل
الرض

ولما فرغ الشرطي من سرد تفاصيل بحثه ودع المستنطق مسروراً من
ثنائه غائماً رضاه وانصرف لسانه تاركاً المجال خالياً لدخول البهت . وعندما
مثل بمحضرة المستنطق سالة قائلاً

— اما نبيك الذكر الى واجب الاقرار بما كان من امرك ليلة حدوث
الجناية واين كان مقامك فيها

— لقد اخبرتكم يا مولاي بما عندي من العلم بذلك

— كلاً وقد اراك تدعوني باصرارك على الانكار الى التكذيب باقرارك
فاحمر وجه البهت عندما تلقى هذه الشتيمة من فم المستنطق وانفدت

عيناه كيداً فلبث صامتاً لا يجيد ما يدفعها عنه فاستأنف المستنطق خطابه قائلاً — لقد علمت يا البرت بما كان منك في تلك الليلة وكما قلت لك ان ما من خافية تخفى على الحكومة

ثم استطرد البيان الى ان قال بصوت خافت — انني لقبيت كلارا كريمة ارايح

فعندئذ انبسطت اسرة جبين المنهم وحدثته نفسه عند ذكر هذا الاسم بقرب النجاة من خطر كان قد قنط من التنصل منه لكنه لم يجر جواباً فقال له دايمرون — ان كلارا اخبرتني بمكانك في تلك الليلة وما قولي كذا إجابة اريد اقتناصك بها لكنما قد اخذت عنها تفصيل ما كان منك ثمأما فعند هذا الكلام فتح البرت فاه وسرد النصة تويد بوجوها ما فاهت به كلارا حتى لم يعد بعد ذلك من مظنة اوريد

ان التوفيق بين الروايتين وصحة اسنادها ذهبا بالريب لكن لا بد لذلك القليل من قائل لان الحكومة اذا عثرت على جنابة ما كان لا بد من الوصول الى الجاني

فقال المستنطق مخاطباً البرت بكل عنف — انك خدعتني في اقرارك الاول بل كنت حملتني وحملت الحكومة معي على ان نقيم الخطر في هدر دمك فلم لم تنطق بالصدق جواباً عن اسئلتي

— مولاي ان كلارا كانت قد عاهدتني على كتم السر عندما اباحت لي مقابلتها خلسة فلم يسعني اذن ان ابوح بسرهما معرضاً شرفها لدى الحاكم

— هل كنت ترضى بسفك دمك حرصاً على ذلك السر — مولاي لم اكتنك ذلك السر الا لعلني بان كلارا ستوافيني عاجلاً عندما ينصل بها خبر سيجي فندفع عني بما تعلمه من حفيقة امري فتكون قد كنتني ملامتها في اباحتها من نفسها ما حرمتني علي

— احسنت يا البرت اما الآن فعد الى السجن حيث نقيم حرّاً الى حين

يبدو لنا وجه الحكم النهائي في دعواك وساوعز الى الخفاء ألا يعارضوك في
حررتك

فودع البرت دايرون وانصرف الى محبسه . ولما خلت الغرفة دعا
المستنطق الشاهد الذي جاء به جنرول فدخل وكان اسمر اللون قصير
القامة اشط شعر الراس قوي البنية تلوح على عيائه اثار الفضيلة والنزاهة فلما
مثل بحضرة المستنطق ساله قائلاً

— ما الاسم

— ماري ييار لروج

— أ أنت نسب كلودين لروج

— انا زوجها

— كيف نقول ذلك وقد عرفها الكل انها أئمة

— ربما انها ارجفت بذلك لتغمر سيرتها التي هجرتها من اجلها

— اما عرفت انها قتلت

— ان الثفاف الذي كان يجذ في ظلي اخبرني بذلك وقد نالت جزاءها

— اترضى لما بهذه الميثة وانت زوجها

— مولاي لا تلمني اذا كنت انكر عليها الرحمة لانني لقيت منها في قيامي

معها عذاباً لم يبق في فوادي على الحنان والشفقة وقد كفاني ما قاسيت عقاباً

لعصبياني امر والدي وانكار نصيحه وقد كان اشار اليّ قديماً ان اقلع عن

الافتران بها لما كان بعلم من سوء سيرتها وجيدها عن نهج الآداب فسددت

دون ندائو اذني ونماقت معها ولكن على العذاب واحتمال الشتائم واستقبال

الاهانة على اخلاف ضروبها وكفى بوقوفي الآن في هذه الدعوي حطة لقدري

فلا يخقرن سيدي شاني لرت سرباني وقد شهد بكالي وكال آلي كل من عرفني

وعرفهم في البلاد . فتباً لها من شقية لقد دنست شهرتي بسيرتها التي كثيراً ما

انذرتها بسوء العاقبة اذا استمرت عليها

— هل انت اندرتها بسوء المصير
 — نعم ياسيدي وبالينها اصغت الى الانذار
 — وما السبب الذي كان يدعوك الى اندارها فبيته الآن ولا توجس في
 نفسك خيفة من سوالي فمتى كان عهد هذا الانذار
 — قديماً من نحو ثلاثين سنة لانهما كانت قد طمحت بها نفسها المغترّة الى
 التداخل في شؤون الكبار زاعمة ان من كتم السرّ على السوء جلب لنفسه
 السرور والمال اما انا فكنت اندرها بالضرّ والبوار قائلاً لها — مالِك
 وللتداخل في كتم مساويء الناس فان ما يعود عليك للحال لا يغنيك
 عن الخسار في الاستقبال
 — عجباً كيف انهما لم تكن تصغي لوامرك وترضخ لها وانت زوجها ولك
 حق السيادة عليها

— اسفاه يا مولاي اني كنت اذعن لاشارتها مأموراً
 — فما هي الامور التي كانت زوجتك تحاول التداخل فيها اباك الكتمان
 لان الحكومة تطالبك بابراد الحقيقة كلها فضلاً عما فطرت عليه من التزام
 الصدق وانكار الباطل
 فصّرّح الرجل للحال قائلاً — اني منذ زهاء خمس وثلاثين سنة كنت
 قد كلّفت بهذه المرأة فواضعت ابي الراية في التزويج منها فابي وارسلني الى
 الغربية امل ان يسلمني حب كلودين فاقمت شريداً! مدة ستة اشهر لم برق لي
 فيها طعاماً ولم يذق جنني مناماً فابت الى ابي وانا ضئيل ناحل البدن لان
 حب كلودين كان لم يزل يفعل في قلبي فعل النار في الشع . فلمسا راي ابي
 ان لا حيلة في التفريق بيننا خاف ان ينالني من سقي علة متلفة اباح لي اخيراً
 الاقتران بها

واذ رآه المستنطق قد حاد عن الموضوع الذي ينبغي الوقف عليه قال له
 — عجل بالنتيجة المرغوبة

— لا بد يا مولاي من الخطيئة وما أقوله تهيد إلى ما تريد . ففي الأيام الأولى اقيمت معها على سعة عيش ورخاء راضياً عنها كل الرضى على رغم ما كانت تكلفني من النفقات في سبيل حلالها وزينتها . . .

— لله خل هذه التفاصيل وصرح بالمقصود

— إلى أن طاف ذات يوم في دارها خادم الكونت دي كوماين النازل في قصر على مسافة ربع ساعة من القرية وكان اسمه جرمان وهو الذي كان له يد في ذنب تلك الفتاة التي كانت تنزل في جبرتنا وقد توارى في المخاب دون أن يعلم أحد بموضعها . فلما رايت الرجل في الدار سألت زوجتي عما كان من غرضه في الوقوف عندنا فاجابت أنه يريد أن يقدم لي طفلاً أرضعه فأكرت ذلك وكشفت لها رغمتي في انكار أرضاعه لأن الرزق الذي قدره الله لنا يكفيننا تلك الخدمة . أما هي فاحتمالت إلى بالف سبب قائلة إنها لم تخلق لتلزم البطالة بل تود العمل لتوفير المال ذخيرة للاستقبال وخصوصاً لتعوضني من كد يمينها ما أسرفته وما زالت بي حتى اقنعتني

— إما أخبرتك بالعمل الذي يكلفونها الاشتغال فيه

فدهش لروج من هذا السؤال وتبت لدي سرّاً أن ما سمعته عن الحكومة كان حقيقة لا تمويهاً وهو أنها لا تزال تدأب السعي والبحث حتى تنف على جليلة الأمر الذي ترغب فيه . ثم استطرد ببيانها إلى أن قال

— مهلاً يا سيدي ستعلم ما كان شيئاً فشيئاً . وبعد تلك المقابلة ثمانية

أيام عاد الرسول إليها مساء وفي يده كتاب يطلبون إليها فيه أن تقصد باريس لتعمل الطفل إلى دارها . فاجابت إلى الطلب وأعدة بالسفر صباح الغد على العربية . ولما كان الصباح نهضت كلودين فترتبت وتاهمت إلى السفر فرغبت برفقتها فسرت بذلك ولم يلح لي ثم ما يؤذن بانكارها وإذ انتهينا إلى باريس شغقت كلودين إلى دار إحدى السيدات واسمها مدام جردي لتعمل الصبي واقمت بانتظارها في الحانة إلى أن مرّ بي ساعة وأنا على تلك الحال ففصلت

من موضعي وخرجت اطوف بدار تلك السيدة فسالت الخدم عن شأنها
ومكانتها فأخبرت انها خليفة الكونت دي كومارين فتكدرت جداً وساء لي ان
ارى زوجتي مرضع المسبح لكن ما الخيلة وقد كان لها ملء الرغبة في القيام
بتلك الخدمة ...

ان هذه التفاصيل المملة كانت قد افنت صبر المستنطق فتأوه وقلبي
جداً فقال للملاح - لله خل الماطلة والاسهاب واكشف لنا الحجاب عن
جوهر المسئلة

- ان كلودين كانت عنية عبيدة فلم تعدل عن عزمها وابت الا الخدمة
عند الكونت وتوصلت الى ان افنعني ايضاً مستندة في اقناعي الى الحب
المعقود بيننا ثم افهمني ان المرأة التي كانت تريد ان تعهد اليها بتربية طفلها
قد انكرت عودنا على الحجة والمحت علينا شحاً براحة ابنها ان نركب عربتها
المخاصة ولو طال علينا المدى فسرني ذلك الراي اذ يتسنى لي ان اجيل النظر
في غرائب الطبيعة التي تنبسط لدي عن جانبي الطريق الذي نسلكه فركبنا
العربة بالطفلين ابي ولدي وولد الكونت فاستطار لب زوجتي فرحاً واخذت
تعاثني كل لحظة وتطلي علي الحال برنة الدينار الذي وضع علي كنفها اما انا
فتكدرت جداً من تلك المظاهر وغضضت الطرف خجلاً عند لقيا مال لا حظ
لجهدي في كسبه فلما لاح استيائي لكلودين حاولت ازالته بسرد الحفيقة زعمائها
بانني اضرب عن فعلتها اذا جلا لي السبيل الذي استوردت المال فيه فقالت
وهي تهز جيبها لتسمعي رنة الدينار

« كن مطمئناً فاننا سنجمع مذكاً الآن من المال ما يكفيك الفاقة في المستقبل
« وهذا سبيل: ان الكونت رزق في هذه الايام غلاماً آخر من زوجته الشرعية
« فرغب في ان يتغلى عن ماله وجلائه لمسبوعه النازل الآن على ايدينا وقد
« اعتمد على همتي وامانتني في تنفيذ ما ربه ورغائبه وسنلقى على طريقنا الخادم
« جرمان والمرضع التي تعني برضاع طفله الشرعي فنترل كلنا في نزل واحد

« وأنا وى جميعا فيه الى غرفة واحدة فاعمد ليلاً الى تبديلها وقد جعل لي
« الكونت جزاء هذه الكلفة نحواً من خمسمائة دينار نقدًا ووعدني ايضاً براتب
« خمسين ديناراً استوفيهامدى حياتي »

فاعترضه المستنطقى قائلاً - أرضيت عنها بما فعلت وقد ارالك نعتز
بمكانك من الادب والصدق اما كان لك ان تصدها عن الاشتراك في الغواية
بل المغايين على المجاية بكلمة واحدة

ارجوك يا مولاي ان لا تقطع بي عن انمام القصة فتعكم علي بما سمعت منها
وهو بعض الذي كان

- كل اذن روايتك

- فما كدت ياسيدي اعني حديثها حتى تغلب علي الغضب وضاق
صدري به فحنمت ان اعاجلها على الطريق لغيظي بما لا تحمد عقباه فصبرت على
تلك الحال اما هي فلما ادركت سر غصي اخذت في حديثها طريفاً آخر
وعلفت تمازحني قصد ان توجه افكاري الى عكس الموضوع قائلة

« يا لك من غيٍّ مهلاً فلا تستخدم غيظاً قبل ان تدرك الحقيقة وهي ان
« الكونت يطلب ان يرى المسبح في داره فاولاني من المال ما اولاني طمعاً في
« ابداله اما خليلته فقد ابت ذلك ولم تسلم ابنها الا محافة اغصاب خليلها وقد
« اخذت الالهة لاسترجاعه بطريقة سرية كاشفتني بها عندما خلت بي في
« الغرفة وحالفتني عليها فقالت انها لا تقوى على هجر ولدها وترية الغريب
« وطلبت الي ان اعدل عن تبديلها سرّاً فتنفذ في نحو خمسمائة دينار وتعدني
« بما وعدني به الاب مدي حياتي على انها ترقب اعمالها فتعلم بحقيقة ما يكون
« مني في هذا الشأن اذ جعلت في جسم ابنها علامة لا تحي وقد سعت جهدي
« عبثاً في استجلائها . فاعلم الآن انني ساق على هذا الطفل فلا ابدله فاموه على
« الكونت بالخلاف وبذلك يتسنى لي ان احرز من الجهتين مالا بكنوننا
« الفاقة ويكفل لنا الراحة والسعادة . فبدد الوهم عن سماء فكرك واعتقد

«بجذاقة ودهاء زوجتك»

ذلك ما نقلته عن كلودين روينيه لم اسمعك بالحرف الواحد ان هذه المسئلة اقلقت دايرون وازعجته جداً فتاه رشده في تشعب المسالك اليها واختلاف وجوهها فبينما اهتدى الى الحقيقة من وجه فيها انتفض عليه الآخر برواية مسنودة الى حجب موكدة فكان يود لو يستكشف لروج ملياً فيسأله بيان كل كلمة فاه بها ولكن تعذر عليه ذلك لجهل الملاح وغباوته فكان يضطر دايرون ان يصغى اليه دون اعتراض خشية ان يلقى افكاره فيضيع رشده وهده في سرد القصة . ثم استطراد لروج حديثه الى ان قال

— ما كنت لاصدق كل ما كانت تفعله كلودين ولم يكن يرتاح خاطري الى ارائها لكن المحب كان يمسك بي عن متابعتها فكنيت احمل على الرضوخ لها قهراً وما كان يقضي عليّ بالاغضاء عن اعمالها انما لم تنغ بها اصلاً مضرة القريب . ولما كان المساء افضت بنا الرحلة الى نزل على الطريق فترجلنا ودخلنا كننا للبيت فيه فاستقبلنا ذلك الطاغى جرمان ومريض على يدها طفل آخر عليه حلة تحاكي حلة الطفل الذي كان على ذراع كلودين فاجسست عندئذ خيفة لا سيما عندما رايت ان العربية التي كانت بانظارهم تحاكي عربتنا بوضعها فداخلني الريب وهجست قائلاً . ربما كانت كلودين قد اختلفت الرواية الثانية قصد تسكين غضي فعمزت للجمال على مراقبة الطفل الذي كان في كفالتنا فجعلته على ركبتي الليل كله وعقدت علامة على كتفه منديلاً . وعقب ان فرغنا من الطعام جرى بيننا ذكر المنام وموضعه فلم يكن في ذلك التزل الا غرفتان للبيت كانهم قد بنوها خصوصاً لتنفيذ ما رهم . فقال صاحب التزل بيت النساء في غرفة والرجال في غرفة وكنت في تلك الاثناء قد تبينت لها خفيها في حديث كلودين مع جرمان فاشتد غضي وكيدي غير انه لم يسعني الا الصبر على مر الايام فسعيت في ابطال نظام صاحب التزل مظهراً بالغيرة

على زوجتي وما زلت مصراً على ملائمتها حتى اضطر اولئك الاشقياء على
اجابة طلبي فبت اذن مع كلودين والمرضع في غرفة معاً واقمت الليل كله
منهياً لا اكري حذر ان اعرض ذلك الطفل لخطر الحرمان في تبديله ولما
انتصف الليل سمعت حركة من جانب كلودين فتربصت اذ ذاك بها شراً
الى ان تاكدت سوء قصدتها بما شهدت فدنوت منها وامسكتها بيدها
وعلقت اوجعها ضرباً حتى افافت زميلتها فصاحت مذعورة الى ان اسمعت
جرمان الماكر فاتي الينا وبيننا نحن في تجاذب واقباض بدا لي اخيراً
هذا الري وهو انني انتضيت مديتي وبضعت بها زند الطفل الذي كان الى
جانب كلودين علامة ترسخ عليه مدى حياته . ثم طلبت الى جرمان والمديّة في
يدي ان يوقع مع المرضعين بيان الحال الذي خطر لي تسطيره فلي للحال
وعاهدني على كتم الامر لئلاّ يعلم به سيده فيقضي عليه بالطرد بل بالثلف
فقال له دايرون - هل حفظت عهده فابقبت تلك الشهادة لديك
- نعم ياسيدي وهي معي

— هاتهما

فاخرج للحال لروح الصك وقد ابلاه الزمان فقال المستنطق - خذها
يا مولاي مشنومة منذ الليلة التي سطرت فيها
فاطلع عليها دايرون وقرأ القصة ملخصة طبق الرواية التي سمعها باذنيه
فقال في نفسه

— ترى فماذا جرى بالشهود الذين وقعوا

فظن لروح انه يسأله بيان حالهم فقال - ان جرمان قضى نحبهُ غرقاً
وكلودين قتلت كما علمت اما المرضع الاخرى فلم تنزل حية . وقد اتصل بي
ايضاً انها قصت القصة على زوجها واسمه (بروسات) يتزل في قرية كومارين
فعلني دايرون اسم المرأة ورجلها ثم سأله قائلاً :

— فما كان بعد ذلك

- في الغد تمكنت كلودين من نسكين روعي ونحويل غضي اما الطفل
 فشفي من جرحه ولا بد ان يكون راسخاً على ساعده
 — هل اتصل بدمام جردى شيء ما جرى بينكم
 — احب اليّ المجهل في هذه القضية
 — لماذا
 — لما كان بعد ذلك
 — قل لي وما جرى
 — مولاي ان ما جرى كان امراً خاصاً بي
 — قل ولا تكتنني شيئاً لان من كان متجمللاً بصفتك حريصاً على
 الادب ضيقاً بالصدق لا يهاب امراً في مجال التصريح به وخصوصاً اذا كان
 قد تعرض لمثلك تغريراً للشر فاقدم عليه قسراً فبح بها عندك تكفيراً عن
 ذنبك وتيقن انه اذا لم يكن في ما تصرّح به فائدة لنا بيد الدعوى حسب
 سرّاً لا يسوغ اذاعته واذا كنت تخجل في سرده فاجعل ذلك عقاباً لما كان
 منك في الماضي
- كفى يا سيدي بما نلته عقاباً لتلك الزلة لان المال المحرز بالخداع يجني
 على صاحبه فحسبي اذن جناية عليّ سيرة كلودين معي وترعها في الغواية فان
 منزلي اصبح سوجودها مثابة اللهو والطرب يتتابها شبان البلد على اختلاف
 مكانهم وفي احدى الليالي بعد اذ كنت اندرت كلودين بسفري الى (روان)
 تضليلاً لما عدت الى المنزل بداهة فوجدت كلودين تجالس شاباً مفسوداً
 فدنوت من الشاب فاخذته بتلابيبه والفتيته من النافذة الى الارض ثم عدت
 الى زوجتي فاوجعتها ضرباً ولكن لا يخال للرجل ان بالضرب يتسنى له اصلاح
 امرأته لان كلودين اخذت منذ ذاك الحين تخنل في استقبال خلائها سرّاً
 ونموه عليّ بظواهرها . وفي تلك الاثناء استرجعت مدام جردى ابنها فكانها
 بهذه الذريعة قد رفعت عن عاتق كلودين كل ما كان يقعد بها عن التهادي

في الشر فخلا لها الزمان وطابت ساعات انمو لديها وكان لتلك الشقية والدة
تسير سيرتها وترى رأيها في الغي والضلال فكانت تساعد على طلب الله
والبقي وبالجحمة ان منزلي غدا بوجودها حانة بل قل (مجمع الخلان) يتألب
اليه الشبان اثناء تغبي فيشربون ويطربون وينهمون حتى الصباح الى ان
دارت الالسة في القرية بسوء سيرتي فتوهم البعض رضاي عن تلك الفعلات
واشتراكي فيها متسائلين عن مورد المال الذي كانت تنفق منه ابدًا زوجتي في
الخمر واللهو والزهو على انها كانت كلما نفذ وطايبها بعثت الى الكونت وخليته
بالطلب اليها فيأتيها منها ما يكفي ملاذها وكفاء رغائبها
فلما سمع دايدرون هذه القصة اخذته الشفقة على لروح فامر له بالجلوس
قائلاً

— سرّي عنك ولا تكتب

— دعني يا مولاي افرغ جعبي واشفي كربتي باكمال حديث اود كتمان
مستأنفاً . فرثي لي احد الاصدقاء وهو كاهن الرعية فاعلمني بما كان من امر
زوجتي اثناء تغبي فللمحال قصدت احد المحامين وطلبت اليه ان يرشدني
طريقاً اتصل به من ربي تلك الباغية . فلم ير في ذلك حيلة يدفع بها عني
فحرت في امري فعولت اخيراً على ان اتخلي لها عن كل ما اتصل بي منها بسبيل
الخدعة وكتبت اليها رسالة ابلغها فيها هجرها والانفصال عنها ما دمت حياً
لاني آبي ان ادفع كرامتي للذل والهوان غير انني حرمت عليها بيع الارض التي
كنت اشتريتها قصد الاتناغ بربعها في مستقبل الايام وزايلت الدار بابي
جاك

— وما جرى لامراتك بعد هجرانك ؟

— غاية ما اعلم عنها في تلك الاثناء هو انها هجرت اليه بعد عام من رحيلي

— هلاً لقينها مذ هجرتها

— كلاً

— أأتى تنكر ذلك وقد كنت في دارها قبل حدوث الجناية بثلاثة أيام
— صدقت يا مولاي ولكن رجوعي الى الدار كان اضطراراً وقد
احوجني الاهتداء اليها الى ان اسال عنها مسجلي وهو الذي توصل من العلم
بعنوان مدام جردى الى مقر كلودين لانه كتب اليها يسألها الدلالة فاجابته
الى ذلك . واذ كنت في ذلك الحين في روان طلب اليّ صديقي جرفي ان
اسافر الى باريس على سفينة فليت امره . ودخلت دار كلودين فالتقيت
صديري وتصرفت انفاً كدراً لانني رأيتها على الحال التي كنت هجرتها
عليها فلم تبدل من عوائدها شيئاً فرايت الخمر الى جانبها تترشف منه على
هواها

— كل ذلك يا اخي لم يفدني الجواب على سوالي وهو ما كان غرضك
عند امرأتك

— جئتها يا سيدي بطلب رضاها عن زواج ولدي جاك في صك سطر
المسجل وقد وقعت فدونك

فاخذ دايرون الصك وبعد ان تصفحه جيداً سألها قائلاً

— هلاً بحثت عن الفاتك بزواجك

فاضرب لروج عن الجواب فالح عليه المستنطق به قائلاً — هلاً ربيت
احداً بطنك

— تلج عليّ يا مولاي في بيان ما وضح لديك ولا خفاك ان الفاتك كان
ربما احد الذين سمعت كلودين في خدمة ما ربههم فاستنزفت اموالهم جزاء فعلتها
ولما استوفى دايرون العلم بما يريد صرف لروج عنه مشيراً اليه ان ينتظر
جفرول خارجاً ليصير معه الى المنزل حيث يقيم على نفقة الحكومة الى حين
ثم قال له

— اننا نهلك لفاء جهلك وعنائك

فما كاد لروج يفصل عن المقام حتى نهض كونستان حائراً من رئيسه في

تجميل ارسال الشهود قبل ان يستكشف الامر تماماً فقال
 — اري ياسيدي عجباً في كلام الرجل وقد كان من الواجب اطالة الوقوف
 معه لاستبلاء ما يكنه صدره

اما دايرون فصدف كنهاً عن الجواب وغاص في لجة الفكر يتجاذبه من
 فواده عاملان قويان وها الواجب والمحبة فلم ير للتفريق بينهما سبيلاً فلزم
 حدود الاثر وراعى الثاني جهد الطاقة لان مشافهة كلارا كانت قد اذكرته
 عهداً ادى فواده وطلّ دموعه فألّى على نفسه ان يهجر مهنته فيخلص من لوم
 نفسه وجواها . ثم عاود الافتكار في الدعوى التي اصبحت لديه من اعظم
 الباي فقال في نفسه — كيفما تحولت القضية ان البرت هو ابن الكونت دي
 كومارين الشرعي فلم يكن الجاني كما دلّني عليه الحال ومن اللازم ان ابعث
 بطلب الاب اليّ فنظر الى الكاتب وقال له

— وجه يا كونستان من ياتيني بالكونت دي كومارين
 يا محبرة دايرون في وقوفه ازاء الكونت واضطراره للعدول عما قرّره لديه
 قبلاً بشأن ابنه نوال وباخية امل هذا الشاب عند تبليغه القضاء بانحطاطه
 من ذروة السعادة الى حضب الضلّل . لكن ترى من يكون الجاني منهما .
 فاخذ يردد الخواطر فيرمي تارة هذا وتارة اخرى بصيب ذلك الى ان طلع
 عليه الكونت دي كومارين وكان قد لقيه رسول دايرون عند انصرافه
 بكلارا من دار فالري او مدام جردي



الفصل الثامن عشر

تحقيق الوهم

ان تاباري كان اذا رأى امرأ سعى في تنفيذه عجباً اي ان قوله كان مقرونًا بالفعل فلما انزاح عنه المستنطق فحاد عن نهجه اخذ يجد من نفسه بمساعدة بعض اصدقائه واعوانه توصلًا الى الجاني فشخص الى بوجينال ودخل بالحيلة منازلها كلها باحثًا منقبًا واستمرَّ على هذه الحال نحو ثلاثة ايام الى ان تبين ما ياتي :

ان الجاني لم يترجل عند موقف رويال جرياً على عادة ركاب تلك الضواحي بل استقام في سيره الى شانو وقد تصوّر تاباري الجاني شاباً اسمر اللون اسود شعر اللحية كما حفته له رئيس الموقف وعماله . وكان هذا الراكب قد بلغ الموقف عند الساعة الثامنة ونصف مساءً فما كاد يطأ الارض حتى فرّ كالظل وقد رآه يعدو على طريق بوجينال رجل وامرأة من المألوف فاجاز الى ما وراء الهجاز الفائم على ضفتي السان فادى ما عليه من حق المرور على ذلك الطريق دون ان يلوي على شيء . ثم رأى رقيب طريق رويال شاباً يعدو سريعاً الى ان بلغ الموقف فطلب الى الرئيس ان يجيز له الركوب في الفطار الى باريس . وقد انت كل الادلة طبق الصورة التي رسمها العمال في شانو ورقب الهجاز . فضلاً عن ذلك انهم هدوه الى خباز ازنيار فكاتب اليه ان يوافيه عجباً

ذلك ما وقف عليه ناباري فقصده بعدئذ دار الحكومة لينتقى ما رآه من الاوراق التي تضمنت تفصيل دعوى الائمة لروح فلم يجد تلك الاوراق لكنه التقى في الرواق بجنرول وصاحبه الذي مرّ بنا الكلام عنه فلما رأى جنرول ناباري ماداه فخاطبه قائلاً

ما فعلت يا صاح أوجدت الجاني الذي تسأت عنه في ابجاثك قصد ان تزري بهتي فتسعى في ابعادي من خدمتي

لكن ناباري لم يتعرّض للجواب على كلامه لان الخطأ الذي افتحمه في سرعة الحكم على البرت لين عريكنه وعدّل طبعه فقال

— بحق لك يا جنرول ان نقول ما شئت استصغاراً الشاي

— اما توصلت الى ادراك هذا السر الغامض بعلو همتك وحذافتك

فهز ناباري رأسه وقال -- اني اودعت دار الحكومة بريئاً لا ذنب عليه وهي الآن تصدني عن السعي في تمثلية سبيله

— ان هذا الامر للعجيب والعجيب منه الخطأ الذي ارتكبت في ما ادعيت

— لا تلج في ملامتي واعلم اني وان كنت شيناً فلا ازال في هذا الفن فتياً

وقد غرّنتي الصدفة واطعني التوفيق في موافقتي مرات نهت فيها وفخرت على

اقراني وقد ارعوبت الآن وانتديت الى الصواب فعرفت جهلي وتحففت

غباوتي فوالله يا رئيسي جنرول بدل ان تعذلي اسرع في مهادني على الخير

عليك كيف اسير لادرك السوءل مدني برأيك فانجح والأقعدت على بساط

الذل والقلق مدى حياتي

ولما كان جنرول فخوراً اثر فيه تذال ناباري وخضوعه فهو معاضده

فقال له

— ربما كان حديثك اشارة الى حادثة لاجونشار

— اسفاه اني كنت قد توهمت نفسي قادراً على السعي وحدي في سبيلها

فسرت متكللاً عليها فلم انجح ونلت شرّاً اضناني

ان نظاهر تاباري بالذل والخضوع كان حيلة يريد بها استخدام جفروا
في غايته اما الزعيم فاصر على التردد في الجواب طمعاً في زيادة النذل على
تاباري فقال له

— سرّي عنك ولا تكثب فاني لا انكر عليك المساعدة والاخذ بيدك
لكن ارجوك الانتظار الى الغد فان الاعمال التي تزاخني اليوم لا تسع لي
بالتفرغ الى السعي والبحث ومع ذلك فاني اير سبيلك اليوم لتهتدي اليه
فاسالك هل عرفت الشاهد الذي قدم في صحتي
— من يكون

— ان الرجل الذي ينتظر عند باب غرفة المستنطق هو زوج الأيمة

لروج

— يعز عليّ تصديق ذلك . أنتخبر مني يا اخي فتستقلني
— كلاً وان شئت البرهان فتقدم اليه بالسؤال عن اسمه يجيبك انه بطرس

لروج

— هلاً كانت آيئة كما ادعت
— كلاً وما زوجها لم يزل حياً
— أ يعلم شيئاً من امرها

فاعاد الزعيم بايجاز رواية لروج ثم سال تاباري قائلاً - ما قولك

بذلك

— لا راي عندي الا ... ولكن لا لانني لا اري شيئاً
ثم استوى تاباري واقفاً ولطم جبينه شأن من تذكر امراً بعينه فاغفله وقال
— اخاف ان انهدى الاجل الذي ضربته للاجتماع بالخباز . ثم تقدم

الى جفروا فودعه ووعد باللقاء في الغد
فتوهم الزعيم ان جفروا كان نائماً في مراده لكن المتطوع كان صحيح العقل
سليمه فراح يعدو لموافاة الخباز قياًماً بالعهد الذي بينهما وبينها هو منطلق

لقيه دايرون فلم يقف بحضرتيه بل استمر سائراً دون مهل . واخذ يهجم في طريقه قائلاً

. — ان نوال الذي كان يتمنى على زمانه المجد والعز اخشى ان يفقدها بعد الايناس بهما برهة لان وجوده في دار الكون لا يغنيه شيئاً اذا رمته الاوهام واستهدفته المظنون وما اخاله عالماً بتلك الادلة التي اتى بها لروح بل كان قد اعتقد اعتقاد الكون بوقوع الابدال والتغير وكذلك مدام جردي فانه لم يتصل بها شيء من ذلك غير انهم ربما اختلفوا قصة لبيان اثر الجرح . ولكن مدام جردي كانت تعتقد كل الاعتقاد بان نوال ولدها ولا بد ان تكون قد نظرت في الدلائل عند استرجاعه

وهنا وقف ناباري وقوف من اعترضه في مسيره افنى فخاف عاقبة الامر الذي انتهى اليه في هيسه وهو — ان نوال كان قد عمد قتل الآيمة لروح بغية ان يقطع بها عن الافرار بحقيقة الابدال فاحرق ما لقيه لديها من الرسائل والصكوك التي تؤذن بذلك

ثم انكر هذا الوهم كما ينكر الاديب السوء فقال في نفسه

--- تباً لهذه المهنة ومساقتها لقد ادت بي الى الاعتقاد بما تأباه نفسي فاني لي ان ارنح الى الخواطر التي تدور في خلدي وقد كان لدي نوال في مقام ولدي فالقته زماناً طويلاً وعرفت منه الوفاء والهبة والدراية والحكمة الى غير ذلك من الصفات التي مالت بي اليه فحملتني على ان اقف عليه كل ما ملكت يدي من نفود وعقار . فضلاً عن ذلك ان الفاتك او السفاك لا بد له من محرك عظيم يبعثه على ارتكاب المجنانية ولا محرك لنوال الا اذا حسبنا الصفات التي ذكرنا سبباً في جملة الاسباب التي تدفع الانسان الى الشر

فما زال يسير هاجساً في باله متردداً بين الوهم والحقيقة الى ان وقف بباب داره فرأى عنده عربة فقال في نفسه — ان جبراني يستقبلون الكرام في ديارهم وبينما هو مفكر في امر الراكب طلع عليه من الجيرة كلرجو وهو الصراف

الذي مرّ بنا ذكره فان هذا الرجل ما انتاب محلاً الا وبعث الناس على
الاعتقاد بخراب ذلك البيت كما يدل وجود النعش بباب المنزل على موت
السكان. ولما كان ناباري عارفاً به استوقفه وساله قائلاً

— ما لي اراك في جهنم هل اتصلت اموالك الى البحيرة

— هكذا الدهر قضى

فارتبكت افكار ناباري فرغب في زيادة البيان لانه كان يأبى ان

يؤاجر من كان في عسر وضك فاستأنف السؤال قائلاً

— فخراب من تنذر

— لم اسع وان اسعى في خراب احد واذا شاب قلبك ريب فعليك

باستكشاف المحامي صديقك وهو يبتئك عن حسن معاملتي له

فساء ناباري هذا الكلام وقوي في نفسه جانب الخوف والحذر من نوال

ولكن فطن للمال الذي جاد له به فعدل الى السكينة وحباً بالاطلاع على جلية

الامر قال

— لا ينكر ما تكلفه مدام جردي من المال في نفقاتها

فرأى كلرجو ان يدافع عن اصحابه دأبه في كل حال فقال — لا تشدد

النكير على مدام جردي ونوال بل على تلك الخلافة المهمة التي استترفت ثروة

نوال ولو تأتى لها ان تلتمهم لما نقاعدت عنه طرفة عين

فعظم على النفاق المتطوع الامر واكنه رأى ان يكتم كدره لئلا ينبه خاطر

الصراف فيمسك عن الفائدة فقال له موافقاً رأيه

— انني عالم بسيرة نوال ولكن من كان في عمره لا يؤاخذ بالهوى غير

انني اسالك بيان ما تكلفه تلك الفاتنة من المال

— لم يخصصها بمال محدود ولكن ربما كانت النفقة تتجاوز نحو خمسمائة

الف فرنك في اثناء اربع سنوات

كأن بحروف هذا الجواب صواعق قد انقضت على رأس ناباري فردد

ذكر القيمة حائراً دهشاً ثم حاول تسكين اضطرابه فقال

- لقد بالغ نوال في فقائره ولكن من كان مثرياً لا يبالي ببذل الالوف
 • - لا توهم باصاح بمقدرته فلا يخفك انه غدا صفر اليدين لا يملك شيئاً
 ولكن يسرني ما علمت انه عازم الاقتراض بنتاة تسعده على الوفاء وقد بلغ
 مهرها نحو ٢٦ الف فرك ذلك ما حملي اخيراً على امهاله

وهنا ودع الصراف تاباري فاستأنف المسير وغادره في الطريق حزناً
 شأن الاب اذا علم بسوء سيرة ولده وعلى رغم ما اتصل به من اخبار نوال كان
 تاباري لم يزل يحاول ازالة الالوهام من خاطره والارتياح الى الاعتقاد به
 ادبياً حكماً . وبيناه يفكر في حال نوال مرت به امرأة عليها الحجة الجبال مر
 السحاب فركبت العربة وطارت بها دون ان يتبين الشيخ محياها ملياً . فطرق
 الباب ودخل اثرها للحال فاستقبله البواب ويده قعته وعلى كفهِ دينار
 يصر فيه معجباً بسوء المرأة فقال لسيدة

- ما رأيت امرأة احرزت كمال هذه الزائرة التي فصلت عنا منذ بضع
 دقائق فيا ليتك تقدمت قبل انصرافها لتتفق وصنفا

- من تكون هذه السيدة

- انما انت تطلب اليّ العلم بحال نوال جردي وقد اطعني على
 النصر بح بدبنارها فسالتني حقيقة ما اشاعة الناس عن اقتراضه وقد رايتها
 مزعوجة من تلك الاشاعة فما خلتها الا خيلته بوء بدظني بها خروجه كل ليلة اليها
 - أ كان يخرج نوال ليلاً دون ان اعلم بذلك

- مولاي انه كان ينصرف خفية من باب الموقف فحسبته براعي بذلك

راحتي فاضربت عن النوسع في السؤال عن هذا الانصراف الخفي

فما كاد ينتهي البواب من تفصيله حتى انقلب تاباري راجعاً الى الطريق
 يريد اقتصاص اثر تلك السيدة ولحسن الجدد كانت عربتها قد بلغت عطفة
 شارع سان لازار فجذ في اثرها وما زال يعدو وراها الى ان اوقف العربة

الزحام اضطراراً على مسافة منه ولكن ما طوى بعض المسافة حتى استأنست
العربة الكثر وجهة محلة «ترونسه» فجدد عزيمته وأصر بكثر وراها وهو يقول.
ما الذي أذهلني عن تعليق اسمها في مناظرة الصراف اما كان من الواجب
على من يرغب في نيل غرضه ان يأخذ الالهة اليه . ولما كان ناباري شيخاً اجهد
السير فخاف ان يقعد به اللغوب عن اللحاق فعاجله التوفيق بعربة تكثر من
الجهة الاخرى فاصدة الناحية التي ينتهيها فاشار الى السائق بالوقوف فركب
بعد ان وعده بالمكافأة دون ادراك الغاية التي يطلبها فجرت به العربة وكان
ناباري قد تصرمت انفاسه جهداً فاستراح قليلاً ثم اطل من العربة فلم ير
غرضه فسأل السائق موضعه فاجابه انه لم يزل نصب عيني فقال له ناباري
اياك ان تذهل عنه ولك مني ضعف ما وعدتك به

ان ناباري كان يؤذ لو اباح ماله توصلاً الى الحقيقة فيبرمج باله من
الاهام التي ازعجته ولا سيما في تعطيل شهرة من احبه محبة الاب ابنة

ولما كانت العربة قد انتهت به الى ما وراء «الشوشه دانتين» ابصر السائق
عربة المرأة واففة على مسافة ثلاثين خطوة منها فقال لناباري
- سيدي ان العربة قد وقفت قريباً

فاطل ناباري ليتحقق التول فابصر تلك المرأة تعدو على الرصيف ثم
دخلت مصنع بائع الكشمير فقال في نفسه - لا غرو اذا انفق نوال ماله اثناء
اربعة سنوات وله خلية تناب مثل هذه المصانع ولم يكن الا القليل حتى خرجت
من ذلك الموضع لتلج اخر وما زالت تنتقل من محل الى اخر وناباري يذوب
جزعاً الى ان عاودت الركوب في العربة وجدت بها على طريق «فوبور موغارتر»
ثم عطفت على محلة لا بروفانس حيث ترجأت المرأة عند باب منزلها

ولا حاجة الى القول بان ناباري كان يقفوا اثرها وقد تلهب فواده غيره
على الاجتماع بها بغية تحصيل الفائدة منها عن العلم باحوال نوال فلما وقفت
بالباب ترجل ناباري فدفع الى السائق ما وعده به وازيد وطلب اليه الانتظار

وراح رجلاً إليها فطرق كن البواب وسأله

- ما اسم السيدة التي مرت بك الان

فامسك البواب عن الجواب

فالمح عليه ناباري بلهجة نوءذن بالسيادة والكرامة فاضطر اخيراً البواب

الى الجواب فقال

- انها تدعى مدام جوليات شافور

- ابن ماواها

- في الطبقة الثانية

فصعد المتطوع إليها وطرق باب ماواها فاستقبلته الجارية وادخلته

الردهة قبل موافاة سيدتها اليه فانهز ناباري الفرصة لينتهد ما فيها من الاثاث علة

يجد بيان سر صاحبه فكان كل ما ازدانت به تلك الردهة محكم الوضع ثمنا فقال

عندئذ في نفسه - لقد صدق كلرجو

وقبل ان يتوغل الرائر في الافكار دخلت جوليات عليه بعد ان بدلت

ثيابها الفاخرة فجملت عليها ثوباً اخر لا يضل ناظرها في استكشاف امرها

وايتلاء سر يسرها

فدنت منه وحينئذ قائلة - ما غرضك عندي وقد طلبت مشافهتي

- اني من اخص المفربين الى نوال

- فاجلس غير مامور

فجلس ناباري وجوليات ازاءه فبادها بهذا الخطاب - اني جئت نشان

معضلة يهلك الاحاطة بها علماً فان شخوصك الى دار جردي . . .

فصاحت جوليات وهي في حيرة شديدة من اذاعة سر ذهابها - من

اعلمك بذلك هل كان جردي ممن يثون الرقباء والعيون على الطرق . وقد

تبين لي الآن بعض الغرض من زيارتك وفيما اتيت . فقد كلفك ربما مواخذتي

بالذهاب اليه لكن لا تخفك ايها الزائر الكريم ان نغيبه عني افنى صبري وذهب

بنما سكي فلم ارَ الا موافاقته رغبة في الوقوف على اسباب ابطائه

— لقد افتممت بذلك حذرًا

— لماذا . ألعنه رغب عني فما لي الا اقتران بسواي . فلم لا يسبح بهسره

— لا علم لي بذلك

— بلى بلى وقد انصل بي شيء من سر انقطاعه عن لسان كلرجو صرافه

فضلاً عن ذلك ان سيرته معي واحتجابه عني كل هذه المدة دليل بين على ما ينويه

ان ناباري كان يود ان يستنبط من مناظرة جوليات العلم بمكان نوال
ثلاثا المرفع فمدّ لذلك احواله يقتنص بها طائر الفكر دائماً حول هذه القضية
فسالها قائلاً

— انتكرين زواج نوال

— كفى بوجودي معترضاً دون عقده ولكن فليتزوج بمن يشاء ويكنيني

سوء اعماله

— هلاً تحيينه

— كنت احبه من قبل حباً صادقاً اكيداً اما اليوم تبدل نهجته فصرت

اود هجرانه

فاجابها ناباري منكراً عدول نوال عن حبها ناظرًا حيلاله كأنه يستشهد
ما لديها من النفيس على صدق هيامه . فادركت جوليات من نظر ناباري
معنى خطابه فقالت معترضة عليه

— اراك تخذق النظر في ما ازدانت به ردهتي من الاثاث الفاخر لتؤكد

لي حب نوال ولكن اعلم انني لست ممن تغرم الظواهر او ممن يعتقدون
بالعرض دون الجوهر فان المال عندي لا يقوم مقام الحب فقد كان الخلق

يو ان يغنيني بجوهر قلبه عن جوهر عيو

— ما اخاله يصد عنك صدود من كفر بجوك

— كيف لا وقد رأيتني بأبي الاجتماع بي جهاراً كما بأبي الوباء وبمرض
عني كما يعرض عن البلاء وينتفي على ذلك أنه في الثلاثا من الاسبوع الماضي
قصد بي الملهي فاكثرى مباءة جعلني فيها لذاتي وانصرف عني تلك الليلة
— ومن كان رفيقك عند انصالك عن الملهي

--- أنه عاود الملهي عند نصف الليل فانصرفت معه الى المرقص ومن
ثم الى مناوله طعام العشاء فلم يكن لي اثناء وجودي معه حظ النظر اليه
ولا يناس بحديثه

وهنا وضع لدى تاباري ما اكده جنابة نوال فاربد وجهه وخفى قلبه
ولولا ان جوليات كانت في تلك الساعة شديدة الغيظ للاح لها ما اعترى
تاباري من الاضطراب والقلق ولكنه لم يملكها. ففرصة الانتباه الى ذلك فاستطرد
حديثه قائلاً

— ربما كان قد عوضك من انس جلوسه معك على العشاء ما امسك
عنه في الملهي

— كلاً وكأنك لم تجمع به في مجالس الانس لتخبر طبعه فلا يند عنك
ان نوال اذا جلس على مائدة الشراب فترشف منه ملء زجاجة فقد رشده
وغادر بسكره رداءه وظلته ومحفظته . . .

فما اتمت جوليات حديثها حتى نهض تاباري وقال

— ويل أم الشقي الطاغى لقد ادركت الآن ما قصدت له

ثم انصرف وغادر جوليات في خوف شديد من مظاهر الغضب والحدة
فدعت وصيفتها وقالت لها

— لقد غدر بي الزائر فاسمعه عن نوال قذفاً وطعنًا اخاف ان ينوبني
منها شرٌ جسيم فاخرجني الى الشارع واثنى برسول اوجهه اليه برسالة خاصة
انه خاطره فيها الى غدر الرجل وسوء به

فلما ركب تاباري العربية انقلب بسرعة البرق الى دار الحكومة وقد

اوغر صدره حقداً على نوال علماً منه انه هو المجاني على تلك الائمة
 وكان يود لو اختلفت الحكومة آلة للعباد غير التي تعمل بها لذلك
 العهد فتجاذي من لم يرتكب فقط جناية انبل بل من سعى بجبله ان ياخذ ايضاً
 البرى بذنبه فاضمر في نفسه الانتقام من نوال ثم هجس قائلاً - لا بد ان
 هذا الشقي قد غادر لباسه في القطار ليسرع الى خليله ولكن ترى لو ذهبت
 للتفتيح عنه أأثر عليه لا لا لا ريب انه يكون قد عاد فاخذه حذر ان
 ينم به . فما برهاني وحجتي عليه وانا لا ثقة لي في مدام شافور لانه اذا طالبتها
 بالشهادة فرأت نكبة خليلها رثت لحاله وبخلت بها

ولما بلغ منتصف جادة ريشليو شعر تاباري بشيء غشى على بصره فخاف
 ان يعرض له عارض في الطريق ياخذ بحياته فيستفيد نوال من موته خيراً
 فاستأنف المسير الى ان انتهى الى بطاقة كتب عليها اسم طبيب فاستوقف
 العربية ودخل المنزل وهو على حال من الفلق والاضطراب لا توصف فحالما
 مثل امام الطبيب طلب اليه ان ينفذه للعال فاراد الطبيب ان يعترض على
 طلبه فاني تاباري الا الفصد وثمر عن ساعده فاذعن الطبيب اخيراً الى الطلب
 فارتاح تاباري من الشدة التي كانت قد استولت عليه وانحدر من منزل
 الطبيب بعد ان قابل عناءه بما تيسر وسار الى دار الحكومة فتسلح بالاوامر
 اللازمة للبحث في موقف القطار ومضى اليه في صعبته ضابط فاسفرت البجائة
 عن الغرض المقصود اذ عرف ان العمال في ادارة الموقف قد وجدوا مساء
 ثلاثا المرفع في القطار رداء وظلة فدفعوهما الى تاباري وبعد التفتيح عرف
 انها لنوال ثم اتى يده في جيب الرداء فعثر على الكنفوف الرمادية اللون وعلى
 جواز سفر من شاتولم يمتنع به صاحبه . وعقب ان احرز تاباري تلك الادلة
 الصريحة على تخطئة نوال عاد بالضابط للعال الى دار الحكومة برغب في
 الاجتماع بالمستنطق

فاتفق ان دايمرون كان قد تاخر في ذلك اليوم عن الخروج من

غرفته بداعي اختلائي بالكونت دي كومانين ومفاوضته بالحديث الذي نقله
له لروج وقد كان الامير توجه ميتاً منذ اعوام . فدخل ناباري غرفة
المستنطق ملهوفاً دون ان يبالي بمن كان حاضراً لديه فصرح جهاراً بما عنده
قائلاً - انني اهتديت الى القاتل الحقيقي وهو وريثي نوال

فنهض دايرون حائراً من مساهة ناباري وقال . لقد اصاب ظني الغرض
- فعمل اذا يا سيدي بورقة الطلب اليه قبل ان ينع بالفرار لانني

اخشى ان نتقدمنا خيلته بالخبر فيفر من بين ايدينا

فاراد المستنطق ان يستزيد المتطوع بيأناً فاضرب ناباري عن الجواب
قائلاً له - ارجوك قبل البيان بما هو من همك الآن ان تطلق سبيل البريء
للحال

- لا يشغلنك من امره شاغل وقد كنت عزمتم ان ارسله قبل قدومك

فلما سمع الكونت اسم نوال تقلص ظله من الغرفة دون ان يدري
الثفاف والمستنطق

الفصل التاسع عشر

بلا لا وهناء

كان نوال قد آلى على نفسه بذل ما في وسعه دون انفاذ البرث من
ظلمة السجن فطرق باب اولياء الامر عبثاً دون طائل . ولما كانت الساعة

الرابعة شخص الى منزل الكونت غاية ان يفيد حبوط مسماه . فاجابه الغلام
دائيس - ان الكونت قد خرج نحو ساعة ولكن لا باس اذا انتظره سيدي فرما
يعود بعد قليل

- اييك

- ارجوك يا مولاي ان نتقدم الى غرفتك الخاصة طبق اشارة اييك
فنام نوال الى الغرفة حيث اخذ يقلب النظر في اثائها شأن المالك في
ملكه فوقع نظره على شجرة النسب المرسومة في لوح موشى بالذهب ومناطة
بالخائط فشخ بانفه عند ما رأى اتصالها بالملوك والامرا وبينا هو يحدث نفسه
بالمجد الذي رقي ذروته دخل الكونت الغرفة فاحنى نوال راسه احتراماً لديه
ثم رفع نظره اليه فلاح له اضطراب الكونت واغضابه حتى كعاد ينشئ
منه التلف

فاراد نوال ان يستكشفه السبب . فاعترضه دي كومارين قائلاً - مه
يا شقي الى لئلك ان يكون ابي بل ان بدعي بنسبي وحسي . تباً لك من
فانك ظالم لك لم تكف بما جنيت على تلك الائمة حتى رايت ان تعقب فعلتك
بالجنانية على امك مدام جردى والايقاع بن كان بريئاً
فحاول نوال ان يدفع عن نفسه التهمة

فناطعه الكونت بقوله - نزل عنك الخداع وقد وضحت الحقيقة . نعم
انت الجاني ولو سمعت باذنك ما فاهت به والدتك عند آخر دقيقة من
حياتها لما اثرت البقاء . وقد شهدت على غدرك بقولها عند الرمي الاخير .
هو الجاني هو الجاني

وبينا كان الكونت يصرح بهذا الكلام احجم نوال حتى اسند الى الجدار وقد
شخص عيناه فاخذته الرعدة وسكت وجنتاه قصة خوفه فاذا عت سر ملهه
واضطرابه

فاستطرد الكونت حديثه الى ان قال - كفى بما علمت دليلاً على

اعندائك ولم اعلم بذلك وحدي بل قد انصل امرك بالحكومة وقد ارسلت في طلبك . ومن الواجب علي ان ادفعك اليها لكن اطلب اليك قل ان ننصل عن هذا المقام ان تسطر على الورق اقرارك بالذنب ثم اذا شئت الاختار فافعل ولديك في السجاية ما تختار من آلات العذاب

— لا حاجة الى سلاحك فاني قد اخذت بالاسباب التي تمنعني من البقاء في ظلمة هذه الحياة . لكن لا افعل الآن
— تباً لك من ذليل

— لا افعل قبل ان اقنط من سبيل الخلاص

— انك تحملي علي ان اخذ بيدي منك

— مالك الآن وللحديث في ما لا جدوى منه وقد دنا الاجل فاعلم اني قد ارتكبت ما ارتكبت من الذنوب ولا انكر كما اني اعنفد بقيتا انك انت الذي حملتني على ارتكابها . فاسعدني على النجاة وانا اوكد لك وفاتي قبل ان يقبض الشرط علي
— كلاً

— فعليه اني ادفع نفسي الى الحكومة مختاراً واصبر اذا شئت على ما ينالك اثر ذلك من البلوى وما يدهمك من الذل في دخولي السجن
فغضب الكونت غضباً شديداً ثم هوى لجهة السجاية يريد ان ينتزع منها السلاح فاعترضه نوال قائلاً — خل الخصام فلن تقوى علي
فاحجم الكونت متردداً في نفسه بين التسليم لرغبة نوال او القبول بالذل والعار ولما كان شديد المحرص على شرف شهرته راي ان يرضخ له بالمال المطلوب فيكفي شره ويسلم من غدره فقال له — ما حاجتك الي
— قلت لك ان تنقذني ما ملكته هنا في هذه الغرفة

ان الكونت كان قد استورد من صرافه مبلغ ثمانين الف فرنك بغية ان يوثق بها المنزل الذي كان من عزمه ان ينزل فيه نوال فخطر له ان يدفعها

اليه فقال له - خذ ما عندي الآن وقيمة ثمانون الف فرنك
 - ان هذه القيمة غير وافية بالمرغوب توصلاً الى النجاة من شر الاعداء
 وكنت قد اعتمدت عليك فقدرت حاجتي الى خمسمائة الف فرنك حتى اذا
 مددتني بها كفيتك شر وجودي وبلاء قيامي في بلدك
 وبعد مفاوضة عنيفة عند الكونت فراراً من شر نوال الى صندوقه فاخرج
 منه رزمة من الفراطيس المالية فطرحها عند اقدامه از دراء بو
 فقال له نوال - لا تتعادي في الاحتمار انك بذلك تخملي على ان ادفع
 بنفسى الى الحكومة ومن كان لا يملك شيئاً لا يخش في اقتحامه الاهوال
 خسراً فاربأ على ضلعك
 ثم هوى الى الارض فالتقط الفراطيس قائلاً - عدني بانجاز المطلوب
 ما بقي عليّ

- اذهب وكن على ثقة من تلبية مرغوبك
 - وانا اعدك بان الحكومة لا تدانيني حياً فادعك الآن وادع ادنك
 هذا الحكم وهوانك انت جرثومة هذا الشر الذي نالني فاسأل الله ان ينتقم
 لي منك
 ولما كان بعد ساعة من رحيل نوال دخل الخدم غرفة الكونت فوجدوه
 طرماً على الارض دون حراك

خرج نوال من دار الكونت فاخذ في جادة «الاويفرسيتي» بقدم بعثر
 من الوجل عند دنو الاجل فكانت تميد بو الارض لشدة اوهامو وتراكم وسواسه
 فخيّل له ان ما عليها من حي وجماد شهود عليه تجاهر باسمه ونصرّح باسمه
 فيتهادى في مشيؤ يميناً وشمالاً محاذرة الوقوع في ايدي من يطارده على انه لم
 يكن له في ذلك الحين من رقيب الا نفسه ولا معنف الا ضميره . وكان تارة
 ينهأ له ان يدفع بنفسه الى الحكومة نجاة من شاك الضمير واذاه وتارة اخرى
 يحاول استنباط الحيلة ذوداً عن نفسه فيتجافا الرشد ويتاباه فاصر اخيراً

يعدو ناحية محلة اللاتين على غير هدى عدو المجرم اذا جدَّ في اثره الشرط وما لبث ان وقف وسط الطريق بداهةً كأن بخاطر من نفسه قد امسك به عن السير فارشده الى العدول عن السرعة رحمةً به لئلا يتهمة الناس فيعارضوه . وبينما هو على تلك الحال هجم في نفسه قائلاً

— لا بد لي من حدة انتهي اليه ورأي اعول عليه . ولكن أنى لمن كان كان على حاله من الفلق والارتباك ان يستجلي الحقيقة او يهندي الى الراي الصواب وما زال يضرب اخماساً باسداس الى ان بلغ على مقربة من الاوديون ففتيت له الفكرة على اضطرابها ان يبدل زيه حذر ان يداهمه الشرط فيلقوا القبض عليه اعتماداً على ما اتصل بهم من تحقيق حاله فلاح له على طريقه حانوت حلاق واذا عمد الى الزر ليغمزه اعترضه من نفسه خاطر آخذ عليه اقتحام هذا الحذر فقال في نفسه اخاف ان يتلع الناس من نزع لحيتي سبباً باخذوني به فاكون جيت على نفسي بيدي . ولما جنَّ الليل عادت نوال الراحة والطمانينة ولا غرو فان الليل كافر فخطر له الجلاء عن الوطن بالتحال شهرة غريبة فطلق يناجي نفسه بالبلد الذي يلجأ اليه وبيناه يقاب الفكر في ذلك مرَّ به ذكر جوليات فمما من ذهني اثر السفر فشقي عليه فراقها بلا امل لا سيما انها كانت اصل تلك البلية وعلة سيرته الشقية فعدل قائلاً ان من الواجب عليها ان تقاسمني البلاء والشفاء كما قاسمتني الهناء فمن اجلها جيت وحباً بها عنيت فلبث نوال متردداً في خواطره وكأن بقلبه في تلك الساعة قد غدا محالاً للمساجلة بين العقل والشهوة

فقال — ان جوليات تسر بفراق بل ربما تمت على الزمان طلاقاً ولم يبق لدي من سبب اتمسك به فقد افنت في غرامها مالي وطويت في هيامها ايامي فاحرزت من بعدي مالا يكفيها الحاجة في بعدي اما العقل فكان يناجي هذه الخواطر قائلاً — اياك ان تصحب في سفرك امرأة جميلة فترني بحسرتها الناس فيتسالون عنها وعنك فتعدو تلك التي

اخترتها لسلوكك هداية للبلواك

اما الشهوة فكانت تعترض عليه بهذا الكلام - ما ضرك لو اتخذتها لك
معينة في رحلتك فتساهلك العناية وتعاني معك صنوف البلاء . فضلاً عن
ذلك ان فؤادك يا بني تجافيها وان جافتك فلا يسعك الا تصافيها . ثم عاد
فناجى نفسه قائلاً - ولكن اني لي الذهاب اليها دون خطر التعرض للرقباء
الذين يبتهم الحكومة في كل الانحاء . لا لارها جهلت الحكومة هيامي بجولات
ففاتها النظر في الاحتياط عندها . ولو عدلت عن الذهاب الى الكتابة اعظم
الخطب واشدد الحذر . فتقدم اخيراً الى موقف في جهته وطلب الى السائق
هسماً ان ياخذ به الى منزلها فركب العربية واضطجع فيها غير ناظر الى مستقبله
ولا مفكر في حاضره لا بزجة من نفسه الا الافتكاح بالحادثه التي مرت به
فجلبت عليه تلك الشجون . فتذكر الاسباب التي دفعته الى الجنايه فكانت
القاضية على حبل اجله بالانصرام

ان نوال لما كان قد فرغ وطابه وضاق عليه الموارد وهو لم يزل حريصاً
على حب جولات ساقه النذر الى الاطلاع على تلك الرسائل التي تصفحها
الفارس وعلى غيرها مما كان لنوال ارب في كتبها لما وعث من الادلة التي
تؤكد له اعتقاد الكونت دي كومانين بحصول الابدال والتغيير
فضن بها وسر سروراً شديداً فحسب نفسه في مقام ابن الكونت الشرعي
الى ان نفضت والدته مدام جردي اعتقاده وضربت على اوهامه بما كشفت له
من البراهين الناصعة وخصوصاً بما وسته به حذر ان تمكر بها الآيمة لروج
فتخلف بوعدها لها وعدها عندها

فساء ذلك نوال وغدا كالغريق في اليم اذا رأى شجرة تشبث بما تدانى
اليه من اغصانها على السواء دون ان يميز بينها فاخذ ذلك الكتاب الذي
بعث به الكونت الى والدته وقد اشار به الى حقيقة حصول التبديل
فحاول اقناعها على الخلاف وطلب اليها ان تسلم الى القول بالمقايضة

طمعاً بالربح المالى والمنفعة الخاصة التي كان يرجو ادراكها عند الكونت اما والدته فكانت تأبى السكون الى رأيه والعمل به ولما طال بها النزاع والخصام دون جدوى عمد نوال الى الفتك بكلودين

ان كلودين لزوج كما رأينا لم تكن أئمة وقد وقفنا بزوجها في غرفة المستنطق غير انها كانت قد انكرته على كل من يسالها عنه حتى كسبته مدام جردي فقال نوال اذا فتكت بتلك المرأة كان لي في ابطال شهادتها كل النفع فاحرق ما كان لديه من الرسائل التي توذن بالمقايضة ولم يبق الا على ما كان يؤيد النعمة عليها وتلك الرسائل عينها هي التي اطلع اليه عليها فحذره من موضوعها قائلاً له - انه اذا انصل الامر بالحكومة رجعت به على من كان له في القتل غنيمة

وكل ذلك لم يكن قصد الايقاع بالبرت ولا الانعام بسمة الامراء بل توصلاً الى المال الذي اعوزه في غرام جوليات

وعقيب ان در الحيلة ومهد السبيل الى الفتك سى ثلاثا موعداً المرفع ليفرن القول بالفعل وتضليلاً للحكومة قصد في تلك الليلة المملوءة بجوليات ومئة سار الى المرقص . وقد كان تذكر جداً النقدر دوائه خيفة ان ينم بولدى الرقباء لكنه ازال الهم من صدره بقوله - ليس فيه ما يعبت بمصلحتي . فكان منه ما كان واقام على تلك الحال ينتهر الفرص لادراك سوءه

ولما عثرت مدام جردي على خبر قتل الأئمة لزوج تذكرت جداً وعرفت للحال ان اليد التي سطت عليها هي يد ابنها نوال فقصت ان تجاهر باسمه لكنه تقدمها بما رآه من المحيل فوجه خاطر الثفاف الى البرت وهداه اليه فتمكن من اكتساب شهرته وثروته . وقد استنجد تاباري لياخذ بيده فاطلعه على الرسائل علماً منه بما بين تاباري والثفاف من الصلة

فلبث نوال مضطرب الفكر الى ان جادت امه بزوجها فعندئذ سري عنه اذ بوفاتها تذلت في سبيله كل العقبات ولكن ما طال زمان سروره حتى

اعقبه كدر شديد باذاعة اسراره

فلما بلغت به العربية محلة لابروفانس ترجل سريعاً فدفع للسائق الاجرة
وولج باب المنزل بعد ان نفص الطريق فاستقبلته شارلوت بالترحاب
وقالت له

— اهلاً بسيدي فما الذي اعدك عنا الى هذا اليوم اما علمت ان طول
نعيبك عن سيدتي لمن الاسباب التي تذهب براحتها

فلما سمع المحامي بخبر كدر جوليات وانزعاجها اوى لها وقاطع الجارية
الحديث رغبة في سرعة الدخول على خليله لكنه اوعز اليها ان تغفل الباب
دون كل طارق

ان جوليات عندما سمعت صوت نوال كانت قد وافته مسرعة فاخذها
بيدها وقصد بها الردهة عجباً دون ان يملكها فرصة السلام . فلما خلت به
جوليات وبصرت في وجهه رائته قد تغير جداً فما تمالكت ان سالته
— ما الامر

فلم يجيبها نوال على سواها بل تقدم اليها وامسك يدها وقال - لا اطلب
اليك يا جوليات الا الخلوص والصدق في مودتي

فمن هذا الطلب عرفت جوليات ان في المسئلة اشكالا يريد استكشافها
به او نازلة قد دهمته فيريد ان يوضحها الراي في صرفها فقالت له
— آه لقد نلت يا نوال ما انت من اهل

— بالله دعي التعنيف واصغي الى كلامي فلانجاو بيني الا على ما كان في

موضوعه

وعقب ان اشتهت جوليات بدلاً وتبها عليه قالت له

— نعم اني احبك حباً خالصاً . وهل انت حتى الان لم تناك صدقة

— ان كنت حقاً توديني فاهجري مالك واتبعيني عاجلاً فان الوقت

يدهمنا بشره ...

— لله ما الامر وما جرى

— ان هيامي بك حملني على ان افنم الاخطار طمعاً في توفير المال
لاكني رغائبك وقد صرت الان غرضاً لعبون الحكومة فآثرت الفرار في
صعبتك

ان الدهشة اخذت بلب جوليات فلم تصدق حديثه فقالت له

— وامي ذنب ارتكبت

— افتممت جريمة القتل حباً بك

ان نوال كان قد خشي القطيعة والصد من جانب جوليات اذ انجبراً على
اذاعة شره بحضورها ولكن تلك الخلافة قد ادركت سر خليلها قبل ان يسوح به
فبدل ان تجافيه او ان تبعده منها ارقمت على عنقه فعاقتة وضمتة الى صدرها
بكل لطفه كأنه قد افادها اعظم بشري كانت تتوقعها من كرامات الايام وما
اكتفت بالعناق حتى ففقه بهذا الكلام — كيف لا احبك وقد شهدت من
خلوصك الآن ما لم يخطر لي ببال ام كيف انتفاني في هواك وقد شقيت من اجلي
— فلهي بنا اذن عجباً قبل ان يدركنا الرقيب وقد اشتبهت علي وجوه
اقباله الينا . فتذكرت عندئذ جوليات حاله يوم اتاها زائراً مضطرباً فقالت له
— ما كان اشفاني اذ كنت سبب بليتك بل ربما جالبة ميتتك آه أليس

ان عهد الخطر من يوم الثلاثا الماضي

— نعم منذ ذاك اليوم

— اسفاه لقد بحت بذلك الى صديقك الشيخ دون ان اعلم بسر الامر

— هل جاءك ناباري زائراً

— نعم

— بدار بدار اذن قبل ان يعود اليك

وجذبها بيدها يريد ان ينطلق بها اما هي فتنبضت منه وقالت

— مهلاً ان لدي مالا وحلي اريد ان انقلها معي

— مالك وللأهتام بالمال فاني اعوضك من ثروتي ما تفقد من
وكانت جوليات قد عمدت الى سبط السفر فالتفت فيه شيئاً من اللباس
وما عندها من النفيس فاعترضها نوال قائلاً — اخشى ان اقضي اسي بتقاعدك
عن الذهاب وابطائك في اجابة طلبي عاجلاً

ثم هجس في نفسه قائلاً — ما اشد حب جوليات بالحقيقة انها تود في مودة
خالصة بويدها لي مبادرتها الى السفر معي عرضة للخطر

فما كادت جوليات تنقل السنط حتى طرق الباب فقال نوال — ها انهم
قدموا البنا وكان قد اكمل لون وجهه واربد فاختمت اعضاؤه وتلجج لسانه
فمكث وخيلته جامدين لا يستطيعان حراكاً

فكرر الطارق نفس الجرس فقامت شارلوت الى الباب ثم عادت الى
سيدتها فقالت لها — ان بالباب نفرًا مهمسون

فلما طال على الطارقين الوقوف بالباب صرخ احدهم قائلاً — راعوا
الاحكام

فقال نوال — قطع الرجاء وخاب الامل

— لا لانا نخدر من سلم الخدمة

— أأنخالينهم ذهلوا عن الوقوف عنده

— فما الحيلة اذن

— دعهم يشغلون في معالجة الباب ان لنا بذلك فرصة نمتلكها التديبر

الحيلة

ثم خرجت جوليات وشارلوت الى الخارج ليرقبوا حركات الطارقين ففي
تلك الاثناء اخرج نوال غدارته السداسية من جيبه وصوبها الى صدره وقبل
ان يطلقها كانت جوليات قد عادت اليه فامسكت بيده ولكن لم تنعه من
اطلاقها وبدل ان تصيب صدره نفذت في جهة المعدة فتخادلت ركبنا نوال
ومع ذلك كان لم يلبث مستويًا مستندًا الى المستوفد فحاولت جوليات ان تنتزع

منه الغدارة قائلة له - لا اجيز لك الانتحار ولا سلطة لك على نفسك فانت
لي ومملك قلبي فان تشتر ابدًا . فما ضرك لو دخل الطارقون فالتقوا القبض
عليك فاودعوك السجن . ألا تأمل بالنجاة واما من ورائك حصن منيع اعدل
عن الانتحار واتكل على صدق عهدي معك فاني انتفذك من الهلكة التي تشنهاها
ولا تخف فاني اشري بنفسي عنك

من قد دفعوا الباب فانتهموا منه الى الباب الداخلي وكان
موصداً ايضاً فاخذوا بالمجوبة كالأول . فقال لها نوال وقد وهت قواه
وقلت عزائم - دعيني اموت قبل ان التقي بهم

فاخذ الغدارة بعنف من يد جوليات فدفعها عنه بعيداً وانفذها في قاه
فلم يدرك كل الغاية لارتجاف يده من صيب الدم

وبينا هو على تلك الحال احلق به الشرط فصاحت بهم جوليات دونكم
والطبيب فانه لم يزل حياً

فطار احداهم الى الطبيب واخذ الهاتفون تحت رئاسة تاباري يعنون بشأن
نوال فرفعه على الاكف والقوه على سرير جوليات

فقال تاباري في نفسه - اسأل الله ان تكون تلك الضربة الفاضية
وقبل ان يتأدى في هيمته اعترضه نوال بتنفس الصعداء وقالت لهم جوليات
ادعوا فلا تمهروا عليه بل ربما شفي من جرحه

فاشار ايجريخ ان يبرئ منه فهمس في اذنها قائلاً - ان
ثروتي اسفل الوسادة خذها بارك الله ثم نظر الى الشرط فقال لهم
- انا الجاني . فاكتفى اقراره وان شتم ومنه لمس من

العدل ان يوخذ البهرت الرىء بحرقتي

وعندئذ تدفق الدم من فيه كالسيل فتمكن نوال على رغم شدة
مخاطب تاباري بهذا الكلام - ما كان املي ان تنهم نفسك فتجني عليها . لكن
لا بأس فان من كان اعوانه من النساء كان من الخاسرين

فما كاد يتم هذا الكلام حتى كانت الروح قد بلغت الحلقوم فلم يات
الطبيب الا يشهد منيته

...

وعقيب انتحار نوال ببضعة اشهر كانت المركيزة دارلانج جالسة في دار
صديقتها كريمة دي كويلو نقص عليها حفلة زواج البرت محبدا كما كادرا بعد
ان تبرأت ساحنة من التهمة التي كانت قد لحقته عفوًا تخلف في راسه
كل ما ملكت يده وتخلف عنه رغبة في عبثة الخلاه

اما المستنطق دابيرون فاستقال رئيسه منصبه وانقطع الى الإقامة في
وانو حيث يامل الاقتران

وكان لجولييات بما ورثته عن خليلها من المال اعظم سلوى ولكن ما توالى
عليها الايام حتى انه در قسم عظيم منه بغيرها وضلها

اما ناباري فآلى على نفسه كفارة عن ذنبه باتهام البرت البريء ان يبذل
بجهده والنقد في الاخذ بناصر المظلوم من الظالم والضعيف من القوي



